تاريخ مدينة

طليطلة

(TOLEDO)

سلسلة دراسات في جغرافية وتاريخ مدن الأندلس



الكتاب الأول

جمع وتأليف وتحقيق

ياسر سلامة أبو طعمة

الحامد



تَارِيخُ مَدِينَةِ طُلَيْطُلَةَ

(TOLEDO)

سلسلةُ دراساتٍ في جغرافيةِ وتاريخِ مُدنِ الأندلسِ

(الكِتَابُ الأَوَّلُ)

تَارِيــــخُ مَدِيْنَــةِ طُلَيْطُلَــــةَ

(TOLEDO)

سلسلةُ دراساتٍ في جَغرافيةِ وتَاريخِ مُدنِ الأندلسِ

(الكِتَــابُ الأَوّلُ)

جَمْعُ وتَأْلِيفُ وَتَحْقِيقُ
يَاسِر سَلامة أبو طُعمة

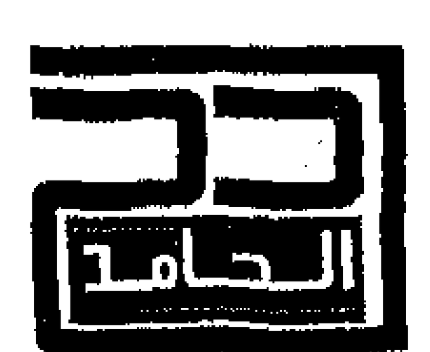




رقـــم التصنيـــــــف : 956.06
المؤلف ومن هـــو في حكمه : إبو طعمة، ياسر سلامة.
عنـــوان الكتـــــــاب : تاريخ مدينة طلطيلة.
رقـــم الإيـــــداع : 2014/5/2204
الواصفـــــــــات : تاريخ الإندلس 711 – 149هـ//الأندلس/
بيـــــانـــات الناشـــر : عمان – دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية اخرى.
(ردمك) ISBN 978-9957-32-841-2

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية.

الطبعة الأولى 2015-1436هـ



دار الحامد للنشر والتوزيع
الأردن - عمان - شفا بدران - شارع العرب مقابل جامعة العلوم التطبيقية
هاتف: 5231081 6 962+ فاكس: 5235594 6 962+
ص.ب. (366) الرمز البريدي: (11941) عمان – الأردن
www.daralhamed.net
E-mail : daralhamed@yahoo.com

الإهـــــــــداءُ

آثـــارُهُ تُنْبِيــــكَ عَـــنْ أخْبَـــارِهِ حتَّـــى كأنَّـــكَ بالعَيَـــانِ تَـــرَاهُ

تَـــاللهِ لا يـــأتي الزَّمـــانُ بِمثلِـــهِ كـــلاّ ولا يَحمِـــي الثُّغُـــورَ سِـــوَاهُ

إلى من دانتْ له الأندلسُ وما حولها؛ ووطأتْ سنابكُ خَيْلِهِ الأرضَ التي لم تطؤها خيولُ المسلمين من قَبْلِهِ؛ إلى الفاتحِ الجديدِ في عهد بني أمية؛ المتوغل في بلاد قشتالة (Castilla) ولُيون (Leon)، ونَبره (Navara)؛ فاتحاً ورافعاً رايةَ الحقّ في وجه الظُلمِ، على مدى ما يقربُ من ثلاثين عاماً، غزا نيِّفاً وخمسين غزوةً، لم تَسقط له رايةٌ، ولا خَابت لهُ غايةٌ، ولا أُسِرت له سريةٌ حتى النهاية، وكان النصرُ حليفَهُ، وله في كُلِّ مكرمةٍ آية.

إلى الروح الساكنةِ بمدينة سالم (Medinaceli) من الثغر الأعلى من الأندلس؛ الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر المعافريّ عليه رحمة الله أُهدي هذهِ الدراسة المتواضعة

ياسر أبو طعمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قالَ تعالى:

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(25)وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ
كَرِيمٍ(26)وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ(27)كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا
قَوْمًا آخَرِينَ(28)فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمْ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا
مُنظَرِينَ(29) ﴾ [الدخان الآيات من 25- 29]

By The Name of Allah the Most Gracious the most merciful

(25) How many were the gardens and the water-springs that they left behind them!

(26) And plantaion and noble buildings!

(27) And the pleasant things in which the took delight.

(28) Thus we made these an inheritance for other people

(29) The heavens and the earth did not weep for them, nor were they reprieved.

أقـــــوال

أَقُـــــولُ:

* لو جَمَعتِ الأُمّةُ العَربيّةُ والإسلاميُّة ما ذَرَفَتْهُ من الدُّموع على ضياع مُـدُنِهَا، ومَمَالِكِهَا، وحَقوقها؛ لأجْتَمَعَ لهُمْ من دَموعِ أحزَانِهِم بِحارٌ وأنهـارٌ، أغرقـت أعداءَهم وإلى الأبد. لكنَّ الدَّمع لم يَكُن يَوْماً من الأيَّامِ لِيَرُدَّ مُلْكَاً مُضـاعاً، أو حَقّاً مسلوباً، أو مملكةً أو مدينةً اغتصبها أعداؤها، لأنَّ ما أُخِـذَ بالسّـيفِ؛ لا يعود ولا يرجِعُ لأهله إلاّ بالسّيف، فلا يَفلُّ الحديد إلا الحديد.

* لو كانتِ الدَّموعُ تَرُدُّ أحباباً قَدْ رَحلوا، أو تُعيدُ للمرءِ شيئاً مضـى، أو حَقّـاً غُصِبِ؛ لاستمطرنا دموعَنَا ليلاً، ونهاراً.

* الدُّموعُ عادةً ما تكونُ سلاحاً للمهزومين، والحسرةُ والنَّدامة أسْهُماً نُطْلِقهـا في الهواء بعد فوات الأوان، فهيهاتَ هيهاتْ.

* عندما غَابَتْ شَمْسُ الأنْدَلُسِ، وعَمَّ الظَّلام ديارَ أمة العربِ والإسلام، ضـنّت الأُمّةُ أنّها سَترتقبُ فجراً جديداً، لكنّها فوجئت بغياب شـمس فلسـطين، ثـم كسوف شمس بغداد، ولبنان فلا تَدْري إن كان سرمدُ هذهِ الأُمّةِ سيطولُ، وهل نداؤنا سيبقى كالمنادي في وادٍ سحيقٍ لا يسمعُ إلاّ صدى صوته ؟.

* الصفحاتُ المشرقةُ من تاريخِ أجدادنا العرب المسلمين؛ سطّرها رجالٌ أفذاذ، صنعوا تاريخَهُمْ بأنفسِهم، بالقلمِ والسيفِ، بالعزمِ والإرادة الحكيمةِ، وشـيّدوا أركانَهُ بانتمائهم إلى العقيدةِ الإسلاميّة، مؤمنين بقضيتهم، ناظرين إلى الشمس التي ستشرقُ من جديد؛ ليقولوا للأجيالِ القادمة: هكذا يُكْتبُ التاريخ؛ فـاقْرأوا تاريخ أجدادكم وافْخروا.

تقسيمات مملكة طُلَيْطُلَة (Toledo)

حسب تقسيمات ابن سعيد في كتاب المُغرب:

مدينة طُلَيْطُلَة	(Toledo)
مدينة طَلَبِيرة	(Talavera)
مدينة وادي الحجارة	(Cuada Lajara)
مدينة طَلَمنكة	(Talmanca)
مدينة مجريط	(Madrid مدريد)
قرية وَقَّش	(Huescas)
قرية مكَّادة	(Maccada)
قلعة رَبَاح	(Castillo de Caltarava)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

الحمدُ للِه مُذيلُ الدّول ِومُفْنِي حَضَاراتِ الجبابرةِ الأُولِ، وقاضٍ علـيهم مهما طالَ أمدُهُمْ بالأجل؛ والصّلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ خـاتم الأنبيـاءِ والرُسُل، والشرائعِ والرسائل والمِلل أقولُ: [الكامل]:

دُنْياكَ أحلامُ الكَـرى لـو زُخْرِفـتْ　　كَم مِن وُجُـوهٍ قبلَنـا قَـدْ قلَّبـتْ؟

كم من مُلوكٍ تُوّجُـوا مـا خُلِّـدُوا؟　　لم تغنِ عـنهم شـامخاتٌ شُـيّدتْ

كم من جُيـوشٍ خُيِّبـت آمالهـا؟　　كم من حضَاراتٍ لها بَأسٌ قَضَـتْ؟

أضـحتْ ديـارُهُمْ خرابـاً بعـدهمْ　　عَمُرَتْ بهم عَهداً تـولّى وانْقَضَـتْ

وكُنُوزُهم مدفونـةٌ فـي أرضِـهِم　　رحلوا فأبقُوها، وعَـنهم قصَّـرتْ

يـا طالـبَ الـدُّنيا ومُلْكـاً زائـلاً　　العُمْرُ يفنى لـو بُـدُورُكَ أقمَـرَتْ

حَضيتْ مدينة طليطلة (Toledo) بمكانةٍ مرموقةٍ على امتداد تاريخها، فكان لها الشأن العظيم من بين مدن الأندلس وخاصةً على الصعيد السياسـي، فقد كانت عاصمةً لمدن شبه الجزيرة الأيبيرية في العهد الرومـاني، والعهـد القوطي، وقد مكنّها موقعها الجغرافي الاستراتيجي من احتلال هـذهِ المكانـة المرموقة، فهي موسطة بالنسبة لمدن شبه الجزيرة الإيبيرية، وقد بُنيتْ علـى تلٍّ عالٍ على ارتفاعِ ألفي قدم فوق سطح البحر، ويحيط بها نهر تاجه (Tajo) من ثلاث جهات، تشرفُ على جوارها، حيث المرج الخصب الذي يمتد إلـى

الشمال الشرقي وإلى الشمال الغربي بمحاذاة مجرى النهر، وهذا ما جعلها من أمنع مدن الأندلس، وأحصنها، ناهيك عن قنطرتها العجيبة البنيان، التي زادت من حصانتها ومنعتها، فأصبحت محطاً لأنظار ملوك الرومانِ والقوط الغربيين (Visigoth) ليجعلوا منها دار ملك وقرار، وعاصمةً لدولتهم، ومداراً لولاتهم، وعلى امتدادِ سنواتِ تاريخها، حتى بدايات الفتوحات الإسلامية لشبه الجزيرة الإيبيرية سنة 92هـ/ 710م.

لقد ازدهرت طليطلة وتألّقت حضارتها خلال العهدين الروماني والقوطي، فكان لها من ولاة الأمر بالغ الاهتمام وعظيم التقدير، عمروها وحصّنوها بالأسوار المنيعة، ففي العهد الروماني، أقاموا بها الدور والقصور، والمسارح والجسر العظيم (القنطرة)، وجعلوها أمَّ مدائنهمْ وقاعدتها، ودار ملكهم، ومداراً لولاتها، فأضحت عاصمةً للرومان في شبه الجزيرة الإيبيرية، وقد زادت أهميتها على الصعيد الدينيّ عندما انتشرت الديانة المسيحيّة في إسبانيا، فأقام سان أيوجينو (San Eugnio) بطُليطُلة مركزاً أسقفيّاً. ولم تَقِلُّ شأناً في عهد دولة القوط الغربييّن (Visigoths) كذلك، فقد جعلوها قاعدةً لملوكهم، منها يغزون وبها يجتمعون، وإليها يعودون، جعلوها عاصمةً لملكهم لما تمتّعت بهِ من المنعة والحصانةِ، فبنوا بها الكنائسُ، وجعلوها محطّ أنظارهم، فكان ملوكهم الخَلَف عن السّلف يزيدون في عمارتها، وزخرفةِ كنائسها حتّى غدَت سيّدة بلادهم، وقد عُرفت في عهد الملك القوطي أتانا جليدو (Atan Gildo) (554–567م)؛ بالمدينة الملكية (Ciudad Regia)، وقد وجد المسلمون بها عندما دخلوها سنة 93هـ/ 711م؛ عظيم الذخائر، والمال الزاخر، وأنواع المتاع الملوكي، والقناطير من الذهب والجوهر، وخاصةً المائدة المصنوعة من الذهب والزبرجد ونفائس الدرِّ والياقوت،

وغيرها من المعادن والجواهر الثمينة، ووجدوا بها السيوف المرَّصعة بالجواهر المصنوعة من خالص الذهب، مما يدُلُّ على عظمة مكانتها عند القوط، وما بلغته تلك المدينة من تقدّم الحضارة، وما حضيت به من الاهتمام كعاصمةٍ لدولتين عظيمتين. وفي العهد الإسلامي ومنذ فتحها سنة 93هـ/711م، وحتى سقوطها سنة 478هـ/ 1085م بيد ألفونسو السادس؛ كان لطليطلة دورٌ بارزٌ ومميّزٌ على الصعيد السياسي، وما رافقه من أحداثٍ جّمة؛ أبرزت دورها من بين مدن الأندلس كافةً، فقد جُبِلَ أهلها على النفاق والشقاق والعصيان، والقيام على ولاة الأمر وخلعهم وشقِّ عصا الطاعة؛ وذلك لأنّ سكانها خليط من العرب والبربر، واليهود والقوط، والرومان، فلم يكن ولاؤهم لدولة الإسلام كالعرب المسلمين، وهم قلّة بالنسبةِ للأجناسِ الأخرى، فقد بدأت نيران ثوراتهم تضطرم في وجه أمراء بني أميّة وخلفائهم، ابتداء من الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل (138هـ/ 755م- 172هـ/ 788م)، واستمرّت حتى الأعوام الأولى من خلافة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (300هـ/ 912م- 350هـ/ 961م)، وفي عهد ملوك الطوائف؛ كانت أول مدينةٍ استقلّت، فأسرعت لشقِّ عصا الطاعة، واتخاذ الفرقة عن الجماعة، بعد سقوط الخلافة الأموية في بلاد الأندلس، وانقراض الدولة العامريّة، بقيام الفتنة البربرية التي دارت رحاها في الأندلس سنة 400هـ/ 1010م)، وكانت كذلك أولّ حبّات المسبحة التي سقطت من طوقها، بيد ملك قشتاله الفونسو السادس (الفنش) سنة 478هـ/ 1085م.

لقد جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء إلى جانب الدراسات السابقة القليلة على جغرافية هذه المدينة؛ ثم تسلسل تاريخها السياسي المفصّل، فقد عرَّجتُ على تاريخها خلال العهد الروماني والقوطي بشكل مختصر لقلة الأخبار،

وغموض بعضها خلال تلك الفترة، وتوسّعتُ في الحديث المفصل عن تلك المدينة في العهد الإسلامي منذ الفتح وحتى السقوط، مروراً بوصفها، وذكر خوّاصها وغرائبها والحديث المفصّل عن نهرها وقنطرتها العجيبة البنيان، وذكر من اشتهر من أهلها من ولاة الأمر، وأهل العلم والأدب والفضل، والشعراء، مع ذكر شيءٍ من أخبارهم وآثارهم وأشعارهم، ومفاخرهم ومآثرهم من خلال تراجمهم الوافية، وذكر ما قيل بطليلطة من الأشعار في وصفها ووصف أماكنها ورثائِها بعد سقوطها. وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول، قسّمَت الى ستة أبواب . مزوّدة بقائمةٍ للمصادر والمراجع العربية والأجنبية، والعديد من الملاحق والخرائط والصوّر والرسومات اللازمة والفهارس، والله أسألُ أن يجعل عملي المتواضع ابتغاء وجهه الكريم، وعلماً تنتفع به الأجيال إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ وما عليها، وأن يمتّعني بالصحة والعافية، رغم عجزي وقلة حيلتي، لإكمال مسيرتي في هذه السلسة، وهذا الكتاب هو الكتاب الأول ضمن سلسلة دراسات في جغرافية وتاريخ المدن الأندلسية، والذي سيليه إن شاء الله الكتاب الثاني: **تاريخ مدينة قرطبة (Gordoba)**.

وقد جاء هذا الكتاب (**تاريخ مدينة طليطلة Toledo**)؛ ليضيف الجديد إنْ شاء الله والمميّز، إضافةً إلى ما سبقَ من دراساتٍ وإنْ كانت قليلةً جداً التي خصصت للحديث عن طُليطلة بشكل مفصّل، لا أدّعي الكمال، وجزى الله عنّي وعن المسلمين من سبقني في هذا المجال. ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ (الكهف، الآية رقم 10).

الباحث المحقق والشاعر

ياسر أبو طعمة

الفَصْلُ الأَوَّل

الباب الأول

إسم طُلَيْطُلَة (Toledo) عند الجغرافيين

- ❖ موقع طُليطلة من الأقاليم
- ❖ موقعها من بلاد الأندلس والمراحل بينهما
- ❖ وصف طليطلة وذكر خواصّها وغرائبها
  - وصفها
  - خواصّها وغرائبها
  - نهرها وقنطرتها
- ❖ من اشتهر من أهل طليطلة بالعلم والأدب

طُلَيْطُلَة (Toledo)

ذكرها ياقوت الحَموي، وضبطها: بضم الطائين، وبضم الأولى، وفتح الثانية، وذكرها كذلك بألف ممدودة بعد اللام (**طُلَيْطُلا**)[1]، أما الزهري فقد ضبطها بكسر الطاء الثانية[2]، والبكري ضبطها بضم الطائين[3]، وضبطها أبو الفداء بضم الطاء الأولى وكسر الثانية[4]، وعند البكري: (**معنى طُليطلة باللطيني[5]: تولاطو[6]. ومعناه: فَرِحَ ساكنوها، يريدون لحصانتها ومنعتها، وفي كتب الحدثان كان يقال: طُليطلة الأطلال بُنيت على الهرج والقتال إذا وادعوا الشرك لم يقم لهم سَوْقَة ولا مَلِك، على يدي أهلها يظهر الفساد، ويخرج الناس من تلك البلاد**)[7]. وسبحان عالم الغيب فقد كانت طليطلة في عهد بني أمية منبعاً للثورات المتتالية، كما سنذكر لاحقاً، وكانت أول حبّات المسبحة التي سقطت من عقدها بيد النَّصارى سنة 478هـ/ 1085م.

كانت طُليطُلةُ قاعدة ملوك القوط ومحل اختيارهم، وهي إحدى المدائن الأربع التي هي قواعد الأندلس، وكانت أعظم مدن الأندلس قديماً ولها المدن الكثيرة[8]، منها: وادي الحجارة، طلمنكه، مجريط، مكّاده، قلعة رباح[9]، ولها من

---

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان 4/ 39- 40.

(2) الزهري: الجغرافية، ص 83، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 176، القلقشندي: صبح الأعشى، 5/ 227، الجزري: اللباب 2/ 284.

(3) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص86، ابن سعيد: المُغرب 2/ 10، الحِميَري: صفة جزيرة الأندلس، ص 130.

(4) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 176.

(5) اللاتيني.

(6) عند الحِميَري في الروض المعطار، ص121، وصفة جزيرة الأندلس، ص133 وردت: (تولاضو).

(7) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص 86-87، الحِميَري: الروض المعطار، ص131، صفة جزيرة الأندلس، ص133.

(8) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص19.

(9) ابن سعيد: المُغرب، ص9.

الأقاليم كذلك: إقليم شاقِرة وفيه حصون عِدّة، ثم إقليم شِشْلة، ومدينة وقشّ، ثم إقليم الأشبورة، ومن مدائنها مدينة طلبيرة وهي كانت حجراً بين المسلمين والمشركين وهي منيعة الأسوار، عالية المنار، ولها إقليم الفحص وإقليم السِّند وإقليم باشك (الباسك)[1].

موقعُ طُليطُلةَ من الأقاليم:

أجمعت المصادر على أنّ طُليطُلة تقع في الإقليم الخامس وهي موسطة بلاد الأندلس، قال ابن سعيد: **(وهي في الإقليم الخامس موسطة، منها إلى الحاجز الذي هو درب الأندلس، نحو نصف شهر، وكذلك إلى البحر المحيط (الأطلسي) بجهة شلب،... ومنها إلى قرطبة، وغرناطة، وإلى مرسيّة بلنسية نحو سبعة أيام)**[2] وقال القلقشندي: **(موقعها في الإقليم الخامس. قال ابن سعيد: حيث الطول خمس عشرة درجة، وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثمان عشرة دقيقة)**[3]. وقال المقرّي: **(والإقليم الخامس يمرُّ على طُليطُلة)**[4]. وقال البكري: **(... وهي أولّ الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة التي هي ربع معمور الأرض، وإليها ينتهي حدّ الأندلس، ويبتدئ بعدها الذكر للأندلس الأقصى)**[5].

موقعها من بلاد الأندلس والمراحل بينهما:

أجمعت المصادر كذلك على أنّ طُليطلة هي موسطة بلاد الأندلس، وتقع على نهر تاجه(Tajo)، وهي على جبلٍ عالٍ. قال البكري: **(أوفت على نهر تاجه)**[6]،

---

(1) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص19- 20، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ 2، ج/1، ص551.

(2) ابن سعيد: المُغرب 2/ 10.

(3) القلقشندي: صبح الاعشى 5/ 227- 228.

(4) المقرّي: نفح الطيب 1/ 138.

(5) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص87، الحِميَري: الروض المعطار، ص394، صفة جزيرة الأندلس، ص133.

(6) المصدر نفسه، ص393، 394، صفة جزيرة الأندلس، ص133.

وقال الإدريسي: **(وهي على ضفة النهر الكبير المسمّى نهر تاجه)** [1]، وقال ياقوت: **(... وهي على شاطئ نهر تاجه)** [2]، وقال أبو الفداء: **(وهي في شرقي مدينة وليد، وطُليطلة على جبلٍ عالٍ، ولها نهر يمرّ بأكثرها)** [3]، وقال ابن سعيد: **(ونهر تاجه قبليّها)** [4]، وقال ابن حيّان: **(... وهي موسطة بلد/ الأندلس، بينها وبين البحر الجنوبي الجاري إلى الشام الذي من ساحله مدينة المرية وما ولاها عشرة مراحل، وبينها وبين البحر الشمالي أقيانس المحيط الذي من ساحله مدينة أُشبونة وشِنترة وما ولاها ثلاث عشرة مرحلة، وبينها وبين البحر الشرقي الشامي الذي من ساحله مدينة طُرطوشة، قاصية الأندلس، وما ولاها من ساحل الأرض الكبيرة ثلاث عشرة مرحلة أيضاً)** [5].

وقال الحِميَري: **(بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمسةٌ وستون ميلاً، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، لأنّ منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضاً، ومنها إلى المريّة في البحر الشامي تسع مراحل أيضاً)** [6].

وشكل مدينة طُليطلة قريبٌ من الإستدارة شبيةٌ بِثُريّا، وتكسير ما يحيط بها حائطها نحو ثلاثةِ أميال [7].

مملكة طُليطلة تقع في وسط شبه جزيرة ايبيريا على مسيرةِ ستين ميلاً إلى جنوب الجنوب الغربي من مدريد عاصمة إسبانيا اليوم، وقد بنيت كما أسلفنا على

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/2، ج/1، ص551، ابن غالب: فرحة الأنفس، ص19.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان 4/ 40.

(3) ابو الفداء: تقويم البلدان، ص177، وقد ذَكَرَ هذا النهر باسم نهر باجه. وهو وحده من تفرّد بهذهِ التسمية نسبةً إلى حصن باجه.

(4) ابن سعيد: المُغرب 2/ 10.

(5) ابن حيّان: المقتبس 5/ 278.

(6) الحِميَري: الروض المعطار، ص393، صفة جزيرة الاندلس، ص130.

(7) ابن حيّان: المقتبس 5/ 279.

تلٍ جرانيتي على ارتفاع ألفي قدم فوق سطح البحر، ويحيط بها من ثلاثة جوانب ثنية نهر تاجه التي احتفرت مجراها على امتدادِ قاعٍ لصدعٍ عميق في الأرض[1].

وطليطلة تشرف على جوارها حيث المرج الخصيب الذي يمتد إلى الشمال الشرقي، وإلى الشمال الغربي بمحاذاة مجرى النهر، كما يمتد فيما ورائِها سهل كونته عوامل التعرية في هضبة قشتاله[2].

وصف طُليطلة، وذكر خواصّها وغرائبها:

وصفها:

أطنبت المصادر الإسلاميّة التاريخية منها والجغرافية بوصف طُليطُلة، حيث وصفوها بالمنعةِ والحصانة، وطيب الأرض وإحداق البساتين بها، ووصفوا زرعها وثمارها. قال الإدريسي: (**... وهي مدينة عظيمة القُطر كثيرة البشر، حصينة الذات، لها أسوار حسنة، ولها قصبة فيها حصانة ومنعة، وهي أزلية من بناء العمالقة، وقليلاً ما رؤي مثلها اتقاناً وشماخة بنيان، وهي عالية الذرى، حسنة البقعة زاهية الرقعة**)[3]. ويصف الإدريسي كذلك بساتين طُليطلة وخيراتها في موضعٍ آخر قائلاً: (**.... ولمدينة طليلطلة بساتين محدقة بها، وأنهار مخترقة ودواليب، وجنات يانعة وفواكه عديمة المثال، لا يحيط بها تكييف، ولا تحصيل، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة وقلاع منيعة تكتنفها. وعلى بعدٍ منها في الجهة الشمالية الجبل العظيم المتصل المعروف بالشارات؛ وهو يأخذ من ظهر مدينة سالم إلى أن يأتي قرب مدينة قلمرية في آخر المغرب، وفي هذا الجبل من الغنم والبقر الشيء الكثير الذي يتجهز به الجلابون إلى سائر البلاد، ولا يوجد شيء من أغنامه وأبقاره مهزولاً بل هي في نهايةٍ من السُّمن، ويضرب بها في ذلك المثال في جميع أقطار الأندلس، وعلى مقربةٍ من مدينة طليطلة قرية تسمى**

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية 15/ 259.

[2] المصدر نفسه.

[3] الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ 2، ج/1، ص 551.

بمغام وجبالها وترابها الطين المأكول الذي ليس على قرارة الأرض مثله يتجهز به منها إلى أرض مصر وجميع بلاد الشام والعراقات، وبلاد الترك، وهو نهاية في لذاذة الأكل، وفي نظافة غسل الشعر، ولطليطلة في جبالها معادن الحديد والنحاس)[1]. وقال ابن غالب: **(وهي من أجلّ المدن قدراً، وأعظمها خطرا، وأشدّها حصانةً، ولم تزل موئلاً وملجئاً للخلق يقصدونها من كل الجهات، فتعود عليهم بالرفق)** [2].

وقال ابن سعيد: **(وأطنب الحجاري في وصفها، ووصفها بعظم الامتناع، وإحداق الشجر بها من كل جهةٍ، وأنّه كان يُتفرَج من باب شقرا في الجلنار الذي لم يُرَ مثله، إذ الجلناره تقارب الرّمانة. وفيها من ضروب التركيب والفلاحة ما تفضل بها غيرها، وابن بصّال، صاحب الفلاحةِ منها. قال: ورأيت فيها الشجرة تكون فيها أنواع من الثمر، وذكر أنّه صحب عيسى بن وكيل إليها، وقد توجّه رسولاً فقال ابن وكيل فيها [البسيط]:**

زادت طُلَيْطُلَةٌ على ما حدّثوا　　بلدٌ عليه نضارةٌ ونعيمُ
الله زيّنه، فوشّح خصرهُ　　نهر المجرةِ والقصور نجومُ

ويصنع فيها من آلات الحرب العجائب، وذكر الحجاري أنّ فيها صنفاً من التين، النصف أخضر، والنصف أبيض، في نهاية الحلاوة)[3]. وذكر ابن سعيد كذلك نقلاً عن الحجاري: أنَّ في طليطلة ما يستحق الذكر، المباني الذنُونيّة الجليلة، وخاصةً القصر الذي بناه المأمون ابن ذي النون، وقبة النعيم التي كان يشرب بها مع خواصّه أيام الصيف، ولا تصل إليه ذبابه، في البستان المعروف ببستان

---

[1] الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ 2، ج/1، ص552.

[2] ابن غالب: فرحة الأنفس، ص19، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 4/40.

[3] ابن سعيد: المُغرب، 2/ 9-11.

الناعورة[1]. ولا بأس هنا أن نتحدّث عن هذا القصر وما قيل في وصفهِ لأنّه من أهمّ معالمها، وقد شاده أحد ملوك الطوائف، وبالغ في إتقانه، وقد نقل إلينا المقرّي هذا النص الجدير وفي صفة القصر وما قيل فيه من الأشعار. قال المقرّي[2]:

(وتذكرتُ بما وصفه من مجلس الناصر ما حكاه غير واحد عن القصر العظيم الذي شاده ملك طُلَيْطلة المأمون ابن ذي النّون بها، وذلك أنّه أتقنه إلى الغاية، وأنفق عليه أموالاً طائلة، وصنع في وسطه بحيرة، وصنع في وسط البحيرة قبّة من زجاج ملوّن منقوش بالذهب، وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون، فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطاً بها ويتّصل بعضه ببعض، فكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يَفْتر من الجَرْي، والمأمون قاعد فيها لا يمسّه من الماء شيء ولا يصله، وتوقد بها الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب، وبينما هو فيها مع جواريه ذات ليلة إذ سمع منشداً ينشد [الطويل]:

أتبني بناء الخالدين، وإنما ... بقاؤك فيها لو عَلِمْت قليلُ
لقد كان في ظل الأراك كفاية ... لمن كُلَّ يوم يقتضيهِ رحيلُ

فَنَغَّصَ عليه حاله، وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعُون، أظن أن الأجل قد قرب، فلم يلبث بعدها غير شهر وتوفي، ولم يجلس في تلك القبّة بعدها، وذلك سنة 467هـ، تجاوز الله تعالى عنه، هكذا حكاه بعض مؤرخي المغرب.

[1] ابن سعيد: المُغرب، 2/ 9-11.
[2] المقرّي: نفح الطيب، 1/ 528- 529.

وقد ذكر في غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكاية هذه القبّة بلفظ ابن بدرون شارح العبدونيّة فليراجع. وتذكرت هنا قول أبي محمد المصري[1] في صفة قصر طُليطلة [الطويل][2]:

قَصْرٌ يَقَصّر عن مداهُ الفرقدُ ... عذُبَتْ مصادره وطاب المَوْرِدُ
نشَر الصباحُ عليه ثوبَ مكارمٍ ... فَعَلَيْه ألويَةُ السعادة تُعقَدُ
وكأنّما المأمونُ في أرجائِهِ ... بَدْرُ تمامٍ قابلَتْهُ أسعُدُ
وكأنّما الأقداحُ في رَاحاتِهِ ... درٌّ جمادٌ ذابَ فيه العَسجَدُ

وله في صفة البركة والقبة عليها [السريع][3]:

شمْسيّةُ الأنسابِ بدريّةٌ ... يَحارُ في تشبيهها الخاطرُ
كأنّما المأمونُ بدرُ الدُّجى ... وَهْيَ عليه الفَلَكُ الدائرُ

انتهى كلام المقرّي.

وقال ابن غالب في وصف طُليطلة: **(كريمة الأرض، زاكية الزرع، طعامها مع الزمان لا يتغيّر، ومع الزمانِ لا يتنكّر)[4].**

---

(1) هو: أبو محمد عبد الله بن خليفة القرطبي المعروف بالمصري لطولِ إقامتِهِ بمصر، اشتهر بالطب ورواية الشعر، مدح من ملوك الطوائف: باديس بن حبوس صاحب غرناطة، والمعتمد بن عبّاد صاحب إشبيليه، وكان يفد على مجلس المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذي النون، وكانت وفاته سنة 496هـ، ذكره صاحب الذخيرة فذمّه، وذكره ابن سعيد وغيره. (للمزيد: ابن بسام: الذخيرة 4/ 204-214، ابن سعيد: المُغرب 1/ 81- 83، المقرّي: نفح الطيب 1/ 529، 3/ 118، الحاشية رقم 1، 409، 543، 4/ 281.

(2) الأبيات موجودة عند ابن بسّام في الذخيرة 4/ 212.

(3) المصدر نفسه.

(4) ابن غالب: فرحة الانفس، ص19.

وقال أبو الفداء: (**وتحدق الأشجار بطليطلة من كل جهةٍ، ويبصر بها الجلنار في قدر الرّمانة من غيرها، ويكون بها الشجرة فيها أنواع من الثمر**) [1]. والظاهر أن أبا الفداء هنا كان ينقل عن الحجاري وابن سعيد بتصرّف. ووصفها كذلك الحِمْيَري بأنّها حسنة البقعة[2]. ونختمُ الحديث عن وصف طليطلة بقول المقرّي: (**... وبطُلَيْطُلَة بساتين محدقة، وأنهار مخترقة، ورياض وجنان، وفواكه حسان، مختلفة الطعوم والألوان، ولها من جميع أقاليمها أقاليم رفيعة، ورساتيق[3] مريعة، وضياع بديعة، وقلاع منيعة، وبالجملةِ فمحاسنها كثيرة**)[4].

خواصّها وغرائبها:

لقد خصَّ الله هذهِ المملكة عن غيرها من الممالك الأندلسية ببعض الخواص، وفيها من الغرائب التي تفرّدت بها عن غيرها، نذكر منها: قال ابن غالب: (**...يودعُ قمحَها بطون الأهراء فيلبث غاية الأعمار سبعين عاماً ثمَّ يُلفى صحيحاً لم تمازجه عاهة، ولا وصلت إليه آفة، وزعفرانها المتناهي الفضل تتفاوت[5] جودته على كُلِّ زعفران**)[6].

وقال البكري: (**ومن خواصِّهَا؛ أنَّ حنطتها لا تتغيّر ولا تُسوّس على مرّ السنين، يتوارثها الخلف عن السّلف، وزعفران طُليطلة هو الذي يعمُّ البلاد، ويُتجهز به إلى الآفاق، وكذلك الصبغ السماوي**)[7]. ومن غرائبها ما نقله لنا

---

(1) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص177.

(2) الحِمْيَري: صفة جزيرة الأندلس، ص130.

(3) الرساتيق جمع رستاق: الرُّزادق وهو موضع فيه مُزدرع وقرى.

(4) المقرّي: نفح الطيب 1/ 161– 162.

(5) هكذا وردت من المصدر المُحقق ولا معنى لها هنا، ولعلّها تفوقُ، وهذا أفضل.

(6) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص19، ياقوت الحموي: معجم البلدان 4/ 40 وعند المقرّي في النفح 1/ 447، وعند ابن بسّام في الذخيرة 4/ 101، يمكثُ أكثر من خمسين عاماً.

(7) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص87، الحِمْيَري: الروض المعطار، ص394، صفة جزيرة الأندلس، ص133، ياقوت الحموي: معجم البلدان 4/ 40، القزويني: آثار البلاد، ص245.

القزويني قال: (**أنّ بقرب طُليطلة حَجَراً إذ أراد القوم المطر، أقاموه فلا يزال يأتي المطر إلى أن يُلقوه. وكلّما أرادوا المطر فعلوا ذلك**)[1]. وهذا غريبٌ جداً، ولم أجدهُ إلاّ عند القزويني، فلا أظن أنّ الله يربط أمره بصلدٍ جمادٍ من مخلوقاتِهِ فلا يغـاث الناس إلا بهِ، فإن الغيث من علم غيبه وينزلُ بأمرهِ، وهذا أمر مسـلَّم فيـه، فإليـه يرجع الأمر كله وبيده ملكوت كل شيء، وإليه المآب.

ونقل إلينا ابن بسّام هذا الخبر الطريف بشأن حنطة أهـل طُليطلـة عنـدما استولى عليها العدّو سنة 478هـ. قال: (**وكان من غريب ما اتّفـق وعجيـب مـا انْتظم من ذلك واتسقّ، أنّ (البُرّ)[2] كان على زعمهم يمكث أكثر من خمسين سنةً لا يؤثر فيه طول القِدَم، ولا يخافُ عليه آفة العدم، ولم يُرفع مـدة الفتنـة مـن البيادر- على تعذّر بِذَرِهِ، وضيق الحيلة عن محاولة شيء من أمرهِ- إلاّ وقد بـدا البلى عليه، وأسرعت الآفة إليه، أمرٌ من الله لم يكن له مَردّ**)[3].

ومن الغرائب الموجودةِ في مملكة طُليطلة ما نقله لنا أبو عبد الله الحِميَـري قال: (**وعلى مقربةٍ من طُليطلة قرية قنيشرة، وهي حارتان فيهما عيناء مـاء، إذا نضبت إحداهما جرت الأُخرى، هذا دأبها كلّ عام، وهما يتعاقبان لا يجريـان فـي زمانٍ واحد**)[4]. **وقال: (وغربيّها على نحو عشرين ميلاً منها تمثـالان عظيمـان على صورةٍ ثورين قد نُحتا في حجر صلد**) [5]. وقال ابن سعيد أيضاً: (**وفي سـنة 45هـ نتجت بغلةً في طُليطلة فِلْواً في صورةِ مُهر، وكانت بغلـةً كُمَيتـاً لـبعض السقّائين، فتشاءَم به النصارى، وما زالوا يختلونه حتى عقروه، وبِقُلّة العِهن من**

---

[1] القزويني: آثار البلاد، ص546.

[2] البُرّ: القمح.

[3] ابن بسّام: الذخيرة 4/ 101، المقرّي: نفح الطيب 4/ 447 حيث كان ينقل بالمعنى عن ابن بسّام.

[4] الحِميَري: صفة جزيرة الأندلس، ص134.

[5] الحِميَري: صفة جزيرة الأندلس، ص134، القزويني: آثار البلاد، ص546 وفيه: وقـال العـذري: أنّ **طارقاً لمّا غزا طُليطلة ركب على الثيران، وكان ذلك موضع عسكره، فلعل ذلك شيء من الطلمسات.**

جوفي طُليطلة على خمسةٍ وعشرين ميلا منها بئر ما لا يَعرف بهـا عَلَـق قـطّ فنبشت في بعض السنين فكثر العَلَقُ فيها كثرةً مفرطةً، فنظروا فيما اسـتخرجوه من نبشها فإذا فيه عَلَقة نحاس؛ فرُدّت إلى البئر فانقطع العلـق منهـا)[1]. هـذا غيض من فيض، والله أعلم.

نَهْرُها و قُنْطَرَتُها:

نَهْرُها: أسلفنا وبإجماع المصادر التاريخيّة والجغرافية، بأن طُليطلة تقع على نهر كبير اشتهر بنهر تاجه (El Rio Tajo)، ونهر تاجه يقع قبلي طُليطلة كما ذكر ابن سعيد[2]، وعند ابن خلدون وأبي الفداء ورد نهر باجه، ونهر طُليطلة. قال أبـو الفداء: **(ولها نهر يمرُّ بأكثرها،...)** وقال: **(ونهر طُليطلة ينحدر إليهـا مـن عنـد حصن هناك يقال له باجه، ويُعرفُ نهر طُليطلة بِهِ فيقال نهر باجـه)**[3]، وهو أكبر أنهار الأندلس عرضاً بإجماع أهل طليطلـة[4]، وأطولهـا كـذلك إذ يبلـغ طولـه (1010كم) وذلك من منبعِهِ من مويلادي سان خوان (Muel de san Juan) إلـى الجنوب الشرقي من جبل سان فليب (San Felipe) بين حدود مـدينتي طرويـل (tervel) وقونقه (Cuenca) حتّى مصبّه في المحيط الأطلسي[5]، وتبلـغ مسـاحة هذا النهر نحو مئة وأربعين فرسخاً[6]، وقد وصفه الإدريسي بالأكبر وقال: **(ونهـر تاجه المذكور يخرجُ من ناحية الجبال المتصلة بالقلعـة والفنـت (Alpuente)، فيزل ماراً مع المغرب على مدينة طُليطلة، ثم إلى طلبيرة (Talavera) ثم إلـى المخاضة، ثم إلى القنطرة، ثم إلى قنيطرة محمـود، ثـم إلـى مدينـة شـنترين**

---

(1) الحِميَْري: صفة جزيرة الاندلس، ص134- 135.

(2) ابن سعيد: المُغرب 2/ 20.

(3) ابن خلدون: العبر 1/ 56، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 177.

(4) ابن حيّان: المقتبس 5/ 279.

(5) حتاملة: ايبيريا، ص85- 86.

(6) الزهري: الجغرافية، ص140.

(Santaren) ثم إلى لشبونه (Lisbona) فيصب هنــاك بــالبحر)[1]، (المحــيط الأطلسي)، وقد ذكر القزويني أنَّ ماء هذا النهرُ لا ينقطِعُ أبداً[2].

وأورد لنا ابن حيّان تحديداً لهذا النهر أكثر تفصيلاً فقال: (... **فبذلك [...]**[3] **من حولها أقصى بلد كورة شنت برية، المجاورة لمعمل السَــهلة، مدينـــة شَــنْت مرية**[4]**، بلاد بني رَزِين، على مسافة مائة وثلاثين ميلاً من مدينة طُليطلة، وفيما بين مشارق الاعتدال والصَيف منها، ثمّ يَمرّ حتى يقرُب من حُصون سُرته، علـــى نحو ستين ميلاً من طُليطلة، فتضغطُه هنالك جبال إلى مضيق يسمى قلارق بــين جبلين فتصير سعته هنالك نحو سبعة أذرع وعُمقه ما لا يعلَمه إلا الله عزّ وجــل، فيتحدَّر بين ذَيْنك الجبلين على شُنعة عمقه من الانصباب يسمع لانحداره أصـــوات هائلة على بُعد من مكان، ثم يتَّسع بعد نفوذه من تلك الضيقة ويتسرَّح جريانـــه، إلى أن يأتي باب طُليطلة من جهة مشرقها الصيفي، فيتعطَّف إلى جنوبها وينضغط هنالك تحت قنطرتها ذات القوس الواحدة الهائلة الصنعة، ثم يمر فيستدير حوالي جنوبها كله إلى مغاربها الشتوية، ويصير حواليها قريباً من ثلثي دائرة، ثم يأخــذ إلى نحو مغاربها الصيفية، فيمّر بمدينة طلبيرة وبجنوبها، وهي على خمسين ميلاً من مدينة طليطلة، ثم إلى شمال حصن اليشة، وهو على ثمانين ميلاً من طليطلة، وذلك شمال قرطبة بالتحقيق، ثم يمر إلى الموضع الذي عليه قنطرة السيف أفخــم قنطرة بالأندلس وأعلاها سمكاً وأعجبها شأناً، ثم يمر في القفز الذي فــي شــمال مدينة بطليوس على مسافة خمسين ميلاً منها، إلى أن يوافي على مدينة شنترين**

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/2، ج/1، ص553.

(2) القزويني: آثار البلاد، ص246.

(3) هكذا من المصدر، قال المحقق: يوجد هنا مقدار سطرٍ إلى سطرين قد سقطا، حول منشأ النهر.

(4) هي مدينة شنتمرية (Santamariade) وهي من مُدن أكشبونة (Ocsonoba)، مدينة أوّليّة، وهي على معظم البحر الأعظم (المحيط الأطلسي)، وهي أولّ الحصون التي تعد لنبلونـــه (Pamplona)، وهـــي مدينة متوسطة القدر، حسنة التربة، كثيرة الأعناب، والتــين، بينهمــا وبــين شــلب (Silves) ثمانيــة وعشرون ميلاً (الحِميَري: صفة جزيرة الأندلس، ص114- 115).

على مسافة ثلاث مائة ميلاً وعشرين ميلاً من طليطلة، ثم يمر إلى مدينة أشبُونة/ على ثلاث مائة وثمانين ميلاً من طليطلة، فيصُبّ هنالك بخليجها المُمَد إليها من البحر الأعظم الغربي المسمى أقيانُس[1])[2].

وأشار الإدريسي إلى أنّ هذا النهر قد أقيمت عليه أرحاء كثيرة، كان أهل مدينة طلبيرة يستفيدون منها، حيث المزارع الزاكية[3].

قُنطَرَتُها: كذلك أجمعت المصادر التاريخية، والمصادر الجغرافيّة، أنّهُ أقيم على نهر طُليطلة (تاجُه Jajo) قنطرةً عظيمةً عجيبةً، يعجزُ الواصفون عن وصفها[4]. قال الإدريسي: (**... ولها قنطرةٌ من عجيب البنيان، وهي قوسٌ واحدة، والنهر يدخل تحت تلك القوس كله بعنف وشدة جَرّي، ومع آخر القنطرة ناعورة ارتفاعها في الجو تسعونَ ذراعاً، وهي تُصعد الماء إلى أعلى القنطرة، والماء يجري على ظهرها فيدخل المدينة**)[5]، ويبلغ طول القنطرة ثلاثمائة باع، وعرضها ثمانونَ باعاً[6]، ووصف القزويني هذه القنطرة فقال: (**... وبها القنطرة العجيبة التي وصفها الواصفون أنّها قوس واحد من أحد طرفي الوادي إلى الطرف الآخر. لم يُرَ على وجه الأرض قوس قنطرة أعظم منها إلاّ قنطرة صور؛ قال محمد بن عبدالرحيم الغرناطي: بقرب طليطلة نهر عظيم، بنت الجنّ على ذلك قنطرة من**

---

(1) المقصود ببحر أقيانس المحيط الأطلسي.

(2) ابن حيّان: المقتبس 5/ 278- 279.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ 2، ج/ 1، ص551.

(4) ابن حيّان: المقتبس 5/ 274. الإدريسي: نزهة المشتاق المجلد/ 2، ج/1، ص551، ابن غالب: فرحة الأنفس، ص19، الحِميَري: الروض المعطار، ص393، 394، صفة جزيرة الأندلس، ص133، البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص87، المقرّي: نفح الطيب، 1/ 162، البغدادي: مراصد الاطلاع 2/ 892، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية، 2/ 694.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ 2، ج/1، ص551، الحِميَري: الروض المعطار، ص393، صفة جزيرة الأندلس، ص130.

(6) المقرّي: نفح الطيب 1/ 162.

الصخر، عالية من الجبل إلى الجبل كأنّها قوس قزح، كلّ صخرة منها مثل بيت كبير، وقد شدّت تلك الحجارة بجذوع من حديد، وأذيب عليه الرصاص الأسود وهي أزج واحد، يتعجّب الناظرون منها لجودة بنائها، وماء ذلك النهر لا ينقطع أبداً)[1]، أمّا العصر الذي بُنيت فيه القنطرة فهو العصر الروماني. قال ابن حيّان من خلال حديثهِ عن دولة الرومان فيها: (**... وصارت إمارتهم إلى رجلٍ منهم يسمّى أَنْتُنِش**[2]**، فاحش السيرة فيهم، واعتنى بعمارة مدينتهم، فابتنى سورها العظيم الشان، وعقد قنطرتها المنقطعة النظر**) [3]، وعند الزهري أنها بُنيت من الحجر الغرانيتي الصلد في عهد الرومان[4]، وعند سالم أنّ طُليطلة ازدهرت في العهد الروماني حيث حُصنت بالأسوار، وأقاموا بها المسرح الكبير والجسر الأعظم، المقصود به القنطرة[5].

وكانت هذهِ القنطرة تسمّى قنطرة السيف، وذلك لأنَّ البرج المقام عليها فيه ثقبٌ من أعلاه وفي الثقب سيف من (اللاطون) إذا جُبِذَ خرج منه قدر ثلاثة أشبار ونحوها،... وإذا ترك هبط في الحجر هبوط السيف في غمدهِ، وسمع له دوي كالرّعد القاصف، وقد بنيت هذهِ القنطرة من الحجر الغرانيتي الصلد في عهد الرومان[6].

وقد خربت هذهِ القنطرة العظيمة في عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن الأوسط (238- 273هـ/ 852/886م) وكان ذلك سنة 244هـ/ 858م

---

(1) القزويني: آثار البلاد، ص546.

(2) عند ابن خلدون في العيرانيش.

(3) ابن حيّان: المقتبس 5/ 274، ابن خلدون: العبر 4/ 18، طبعة دار الفكر.

(4) الزهري: الجغرافية، ص85، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية، 2/ 1096- 1097.

(5) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص51.

(6) الزهري: الجغرافية، ص85، الحِميَري: صفة جزيرة الأندلس، ص 164، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية، 2/ 1096-1097.

انتقاماً من أهلها[1]. قال ابن عِذاري: (... **وفي سنة 244هـ، خرج الأمير محمد بنفسِه إلى طُليطلة، وعددهم قد قلَّ؛ وحدُّهم قد فُلّ، بتواتر الوقائع عليهم، ونزول المصائب بهم، فلم تكن لهم حروب إلا بالقنطرة، وجمع العرفاء من البنّائين والمهندسين، وأداروا الحيلةَ من حيثُ لا يشعر أهل طُليطلة، ثم نزلوا عنها، فبينما هم مجتمعون بها، إذا اندقت بهم، وتهدمت نواحيها، وانكفأتْ بمن كان عليها من الحماة والكماة، فغرقوا في النهر عن آخرهم، فكان ذلك من أعظم صنع الله فيهم**)[2].

في ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس[3] [السريع] [4].

أضحتْ طُليطلةُ معطّلةً ... من أهلها في قبضةِ الصقرِ
تُركت بلا أهلٍ تؤهّلها ... مهجورةَ الأكنافِ كالقَبْرِ
ما كانَ يُبقي الله قنطرةً ... نُصِبَتْ لحملِ كتائبِ الكُفْرِ

---

(1) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص87.

(2) ابن عِذاري: البيان المُغرب 2م/ 96، أحداث سنة 244هـ، ابن حيّان: المقتبس، ص 305- 307، من تحقيق محمود علي مكي، طبعة دار الكتاب العربي، 1973م، البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، س87، الحِميَري: صفة جزيرة الأندلس، ص133، الروض المعطار، ص 394، المقرّي: نفح الطيب، 1/ 162، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر/1، القسم/2، ص295.

(3) هو الحكيم والفيلسوف أبو القاسم عباس بن فرناس، بربري الأصل من موالي بني أميّة، كان صاحبُ اختراعاتٍ وتوليدات، شاعرٌ أديبٌ مشهور، كان في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي، فيلسوفاً، له علمٌ بالفلك، وهو أول من استنبط صناعة الزجاج بالأندلس، كَثُرَ عليه الطعن في دينه لسعة حيلته ونُسب إليه السحر عمل الكيمياء، ةعمل المنقالة لمعرفة الأوقات، وكان قد حاول الطيران وكسى نفسه بالريش: فحلّق في الهواء ثم وقع على مسافةٍ بعيدةٍ، توفي بعد وفاة الأمير محمد، وكانت وفاته سنة 274هـ/ 887م (للمزيد انظر: ابن سعيد: المُغرب نقلاً عن ابن حيّان 1/ 255- 256، الحُميدي: الجذوة، ص 286، الضبي: البغية، ص238، المقرّي: نفح الطيب 1/ 162 والحاشية رقم 2.

(4) المقرّي: نفح الطيب، 1/ 163، ابن حيّان: المقتبس، ص 306- 307 من تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، 1973م.

وفي سنة 320هـ أعاد الناصر لدين الله بناء القنطرة، بعد أن فتح طُليطلة، وقد أمر فتاه درى بن عبد الرحمن الصقلبي بالإشراف بنفسه على أعمال البناء والترميم[1].

وفي سنة 387/ 997م، أعاد بناء هذهِ القنطرة قائد طُليطلة خلف بن محمد العامري بأمر المنصور محمد بن أبي عامر، حاجب الخليفة هشام بن الحكم المستنصر بالله[2]. وفي سنة 478هـ/ 1085م، وعندما دخلت القوات القشتاليه إلى طُليطلة بقيادة الفونسو السادس تعرّضعت للخراب والدمار مجدّداً، ولم يبقَ منها سوى الكتف للجانب المقابل للمدينة، وقد رُمّمت سنة 1259م وظلت على حالتها إلى يومنا هذا[3] وعند عنان أيضاً أنّ الفونسو السادس قد جددّها بعد أن كادت تهتدم، وما زالت هذهِ القنطرة إلى يومنا هذا تسمى Puentde Alca- tra (قنطرة القنطرة)[4].

من اشتهر من أهل طُليطلة بالعلم والأدب:

لقد اشتهرت مملكة طليطلة ومدنها بنخبةٍ من العلماء الأفاضل، والفقهاء الأجلاّء، والكُتّاب، وأهل صناعة المنثورِ والمنظوم، كغيرها من ممالك الأندلس، وامتداداً لازدهار وتوسع الحركة الفكرية في جزيرة الأندلس، وعلى مدى الفترة التي حكم بها المسلمون تلك البلاد، فكان هناك نخبة من أهل العلم والفضل وفحول الشعر والنثر، ذاع صيتهم، واحتفظت لنا المصادر بهم، ونذكر منهم هنا من اشتهر، على سبيل الذكر والاختصار. قال ابن حيّان من خلالِ حديثه عن طُليطلة: (**... ولم تزل منذ دخلها المسلمون وافرة العدد من الفقهاء والعبّاد والزهاد، مشهورةٌ بذلك في العباد)**[5].

---

(1) ابن حيّان: المقتبس، 5/ 219- 220، ابن عذاري: البيان المُغرب 2/ 207- 208.

(2) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص225، عنان: الآثار الأندلسية، الباقية، ص82.

(3) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص225- 226.

(4) عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص82.

(5) ابن حيّان: المقتبس، 5/ 279- 280.

الكُتّـــاب:

الكاتبُ أبو الخطاب عمر بن أحمد بن عبـد الله بـن عطيـون[1] التجيبـي الطُلَيطُلي[2]، كان جيّد الصناعة، أبيَّ النَّفس لا يتكسب بالشعر، (أحد بحور البراعة ورووس الصناعة، وكان شاعراً جَزِلاً، قال الشعر متحبباً لا متكسّباً، ألمَّ به مترنّماً لا متزيّنا، وقد أثبتَ من كلامِهِ ما يُزري بالدر في السلك، ويخلُ بالكافور المسـك) ومن جميل شعرهِ قوله [الطويل]:

غُـدوٌّ لنـا فـي حـبكمْ ورواحُ — وليسَ على حكـمِ الغـرامِ بـراحُ
تنكرّتِ لمّا خالط الشـيبُ لمّتـي[3] — وأسفر في ليـلِ الشـبابِ صـباحُ
إلى كم نوى تتلـو نـوى وتغـربٌ — كـأني بأيـدي الياسـرين صـباحُ

الكاتبُ الوزيرُ أبو مروان عبد الملك بن حصن[4]: (مـن أعيـان الـوزراء وأعلام الكتّاب والشعراء، هجا المأمون بن ذي النون بقوله [الطويل]:

سطور المخازي دونَ أبواب قصرهِ — بحجّابِـهِ للقاصـدين مُعنونـه

فلما تمكن منه المأمون سجنه، فكتب إلى ابن هود [الطويل]:

أيا راكـب الوجنـاء بلّـغ تحيّـةً — أميـرَ جـذامٍ مـن أسـيرٍ مقيّـدِ
غريبٌ عن الأهلين والدارِ والعُلـى — فريدٌ وكـم أبصـرته غيـر مفـردِ
تلوذ بـه الأعـلام تحـت ركابـهِ — وتلثم منهُ في الرّكابِ وفـي اليَـدِ

فرقّ له وسعى في خلاصه).

---

(1) ابن عطيون وردت في موسوعة شعراء العرب والمُغرب عيطون.

(2) ابن بسّام: الذخيرة، 3/504-511، ابن سعيد: المُغرب، 2/15-16، موسوعة شعراء العرب، 2/480.

(3) اللمّة: مقدمة شعر الرأس.

(4) ابن سعيد: المُغرب 2/25، المقرّي: نفح الطيب 3/ 363- 364، وقد ورد اسمه عبدالملك بن غصـن، وفيه أيضاً أن ابن هود تحيّل حتى خلّصه، وأنشده شعراً أعجبه فخلع عليه ثوب وزارته، وجعلـه مـن أعلام سلطانه.

الكاتب أبو بكر محمد بن قاسم أشكهباط[1]: ذكره الحجاري وقال: أصله من وادي الحجاره، نشأ بقرطبة، وسادَ فيها، وجارى حلبة الأعيان والكتاب في تلك الفتنة التي قلبت أسافلها أعاليها، وأطنب في ذمّهِ رحل إلى المشرق بعد الفتنة، ثم عاد إلى دانية عند صاحبها مجاهد العامري، وطاب عيشه عنده، فقال [الطويل]:

وقد لقيتُ الجهدَ قبل مجاهدٍ ... وكم أبصرتْ عيني وكم سمعتْ أُذني
ولاقيتُ من دهري صروف[2] خطوبه ... كما جَرتِ النكباءُ في معطفِ الغُصنِ
فلا تسألوني عن فراق جهنمٍ ... ولكن سلوني عن دخولي إلى عدنِ[3]

الكاتب راشد بن عريف[4]: قال ابن سعيد: (ذكره الحجاري أنّهُ من أعيان وادي الحجارة، وساد في الكتابة. ومن شعره وقد حضر عنده شرب، فاحتاج أحدهم للقيام، فقام له، ثم تسلسل ذلك حتى ضجر، فلم يقم، فاغتاظ الذي لم يقم له فقال راشد ارتجالاً: [مخلع البسيط] [5]:

جُمِّع في مجلسي ندامى ... تحسدني فيهم النجوم
فقال لي منهم خليلٌ[6] ... مالكَ إذا قمتَ لا تقوم
فقلتُ إنْ قمتُ كلصٍّ حين ... فإنْ خطبي[7] بكم عظيم
وليس عندي إذن ندامى ... بل عندي المُقْعِد المقيم

---

[1] هكذا عند ابن سعيد في المغرب 2/ 26، وعند المقرّي في نفح الطيب يعرف باشكنهاده، وقد ترجم له المقرّي وأورد له شعراً ونثراً، المقري: نفح الطيب، 2/ 95- 97.

[2] عند المقرّي في النفح وردت: (صرف).

[3] الأبيات موجودة عند المقرّي في النفح 2/ 96.

[4] ابن سعيد: المُغرب 2/ 27، العماد الأصفهاني: الخريدة، القسم/4، ج/2، ص7.

[5] الأبيات موجودة عند المقرّي في النفح 3/ 42، وعند الأصفهاني في الخريدة، القسم/4، ج/2، ص7.

[6] عند المقرّي في النفح وردت: (نديم)، وعند الأصفهاني: (ظريف).

[7] عند المقرّي في النفح وردت: (حظي) وعند الأصفهاني (خطبي).

وفي الخريدة: راشد بن سليمان بن موسى بن عريف اللخمي من أهل طُليطلة، يكنى أبا الحسن وهو أحد كتاب المأمون بن ذي النون.

الكاتب أبو عبد الله المجريطي[1]: نسبةً إل مجريط (مدريد)، قال ابن سعيد: (فاضل، ذكره صاحب السمط، وقال: تارةً هو أُويس القرني، وآونة إبراهيم الموصلي، وما خلا قلبه من غرام، ومن شعره [الكامل]:

لا عذرَ أوضح من أسيلٍ واضحٍ صقل الشبابِ أديمه المشبوبا
هلاّ سألت لحاضه يوم النوى هل غادرت لك في الحياة نصيبا

العلماء والفقهاء:

الفقيه أبو محمد عبد الله بن فرج بن غزلون المعروف بابن العسّال[2]: المشهور بالكرامات وإجابة الدعوات، كان متفنّناً فصيحاً لَسِناً، وكان الأغلبُ عليه حفظ الحديث والإنْحاء واللغّة والآداب. كان عارفاً بالتفسير، شاعراً مغلقاً، منقبضاً متصاوناً، يلزم بيته. وكانت وفاته سنة 487هـ، وهو الذي رثى طُليطلة بعد سقوطها سنة 478هـ بيد النصّارى، وسيأتي الحديثُ عنهُ مفصلاً من خلال رثاء طُليطلة ومن شعرهِ في نفح الطيب قوله [الطويل]:

أعندكم عِلمٌ بأنّي متَيّمٌ وإلاّ فما بالُ المدامعُ تسجمُ
وما بالُ عيني لا تغمضُ ساعةً كأنّي في رعي الدَّراري مُنَجّمُ

رحل عن طُليطلة رحمه الله، إلى غَرناطة بعد سقوطها، وبغرناطة كانت وفاته، وهنالك قبره مكرّم مزورٌ إلى اليوم، كما حكى ابن سعيد في المُغرب.

---

[1] ابن سعيد: المُغرب 2/ 36.

[2] للمزيد: (ابن سعيد: المُغرب 2/ 18- 19، ابن بشكوال: الصلة 1/ 239، المقرّي: نفح الطيب 3/ 208، 228، 4/ 135، 352، السيوطي: بغية الوعاة، 2/ 52. ابن سعيد: رايات المبرزين، ص140، ابن بسام: الذخيرة 2/ 154، السلفي: تراجم أندلسية، ص70، كحالة: معجم المؤلفين 6/ 101- 102، عفيف عبد الرحمن: معجم الشعراء الأندلسيين والمغاربه، ص235.

الفقيه ابو القاسم بن الخياط[1]: قال ابن سعيد نقـــلاً عـــن الحجـــاري فـــي المسهب: (أقام خمسين سنةً على العفاف والخير، لا تُعرف له زلّـــة، ولمّـــا أخـــذ النصارى طُليطلة حلق وسط رأسه وشد الزنّار، فقال له أحد أصحابه في ذلك وقال له: أين عقلك؟! فقال: ما فعلتُ هذا إلاّ بعدما كمل عقلي. وقال شعراً منهُ [الطويل]:

تلـــوّن كالحربـــاءِ حتّـــى تلـــوُّنِ وأبصـــر دنيـــاهُ بمـــلءِ جفونِـــهِ

وكلٌّ إلى الرحمن يُـــومي بوجهِـــهِ وبـــذكره فـــي جهـــره ويقينِـــهِ

الفقيه العالم عيسى بن دينار بن واقد الغافقي الطليطلي[2]: كان عالماً متفنّناً، وكان أفقه من يحيى بن يحيى الليثي على جلالة قدر يحيى بن يحيى وعظمه، وكان فقيه الأندلس، عابداً فاضلاً ورِعاً، وكان كما قيل مجاب الـــدعوة، إمـــام المـــذهب المالكي، وكانت وفاته بطليطلة سنة 212هـــ.

المُنجّمُ عبد الرحمن بن غزوان[3]: كان متصلاً بالأمير عبد الرحمن الأوسط، وهو الذي هجا هاشم بن عبد العزيز وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوســـط، فأغراهُ بهِ، وأنشد للأمير محمد أبياتاً كان مروان بن غزوان قالها متغـــزلاً بمحمـــد الأمير لمّا كان غُلاماً، فأمر له بمائة سوط لكل بيت ثم سَجَنَهُ ومن هذه الأبيات قوله [الطويل]:

أعلّلُ نفســـي بالمواعِـــدِ والمُنـــى ومـــا العـــيشُ واللّـــذاتُ إلا محمـــدُ

بذاكَ سبى عقلي وهاج لي الجـــوى ولـــم يســـبهِ حـــورٌ أوانـــسُ نُهَّـــدُ

ولكن غـــزالٌ عبشـــميٌّ ســـما بِـــهِ أبٌ ماجِـــدٌ الآبـــاءِ قـــرمٌ مُمَجَّـــدُ

---

[1] ابن سعيد: المُغرب 2/ 19.

[2] ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص262، الحميدي: الجذوة، ص 265، الضبي: البغية، ص352، ابن سعيد: المُغرب 2/ 20– 21، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 4/ 40، الذهبي: سير أعلام النـــبلاء 10/ 439– 440. العبر 1/ 285، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب 2/ 115، المقرّي: نفح الطيـــب 2/ 7، 9، 46. القاضي عياض: ترتيب المدارك 3/ 16– 20.

[3] ابن سعيد: المُغرب 2/ 19.

الفقيه عيسى بن محمد بن دينار بن واقد الغافقي الطليطلي[1]: سمع من يحيى بن إبراهيم بن مزين وغيره، ورحل فسمع من يونس بن عبد الأعلى، والربيع بن سليمان المؤذن، والمزني، ولي الصلاة بطليطلة أيام الأمير عبد الله بن محمد (275- 300هـ).

الطبيب أبو إسحاق غبراهيم بن الفخار اليهودي[2]: (ساد في طليطلة وصار رسولاً من الفونش (الفونسو) إلى أئمة بني عبدالمؤمن، بحضرة مراكش، ووصف بالتفنن بالشعر ومعرفة العلوم القديمة والمنطق) ومن شعرهِ في نفح الطيب قوله [الطويل]:

ولمّا دجا ليلُ العِذارِ بخدِّهِ   تيقنتُ أنَّ الليلَ أخفى وأسترُ
وأصبح عُذالي يقولون صاحبٌ   فأخلو به جهراً ولا أتسترُ

العالم أبو محمد القاسم بن عبد الرحمن بن مسعده الأوسي[3]: (كان متفنّناً في العلوم وهو من أهل وادي الحجاره، قال فيه ابن دحيه: صاحبُ لواء العربيّة، وذو الأنساب السريّة، وكانت وفاته بمالقه سنة 575هـ، ومولده سنة 485هـ[4]، ومن شعرهِ قوله [الطويل]:

حنانيك مدعواً ولبَّيك داعيا   فكلٌّ بما ترضاهُ أصبح راضيا
طلعت على أرحائِنا بعد فترةٍ   وقد بلغتْ منّا التَّراقيا

الأديب العالم أبو مروان عبدالملك بن غصن الحجاري[5]: قال ابن سعيد بحقّه: (من المسهب: هذا الرجل يفخر به إقليم لا بلد، ويقوم بانفراده مقام الكثير من

---

(1) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص263، الحُميدي: الجذوة، ص264، الضبي: البغية، ص351.

(2) ابن سعيد: المُغرب 2/ 20، المقرّي: نفح الطيب 3/ 527- 529.

(3) ابن سعيد: المُغرب 2/ 22، المقرّي: نفح الطيب، 3/ 419، السيوطي: بغية الوعاة 2/ 255، وله ترجمة عند ابن دحيه في المطرب، ص216- 219.

(4) ابن دحيه: المطرب، ص216.

(5) ابن سعيد: المُغرب 2/ 27، ابن بسّام: الذخيرة 3/ 210- 213، الحُميدي: الجذوة، ص364، رقم 956، الضبي: البغية: ص462، رقم 1549.

العدد؛ فإنّه كان أحد أعلامها في الأدب والتاريخ والتأليفات الرائقة التي تبهر الألباب، وكان ملوك الطوائف يتهادونه تهادي الريحان يوم السَّباسب، ويلحفونه أثواب الكرامة من كل جانب ومن شعرهِ قوله [الكامل]:

فديتكَ لا تَخَفْ منّي سُلُوّاً إذا ما غيّر الشعرُ الصّغارا
أهيمُ بدنٍّ خلٍّ كان خمراً وأهوى لِحَيَّةٍ كانت عِذارا

كانت وفاته بغرناطة سنة 454هـ. وقال بحقه ابن بسّام: (وكان اقتبس من أنواع العلومِ والآداب ما صار به عالم عصرهِ علماً، وفي الكمال عالماً، نكبه المأمون بن ذي النون وله فيه رسالة: السجن والمسجون والحزن والمحزون وغيرها، وهو القائل في سجنِهِ وكتب بها إلى أخيه [المتقارب]:

أَأروى وبين ضلوعي حريق وأشجى وإنسانُ عيني غريقُ
وفي كل يومٍ وفي كلِّ حينٍ يحملنّي الدهر ما لا أطيقُ
أيا واحدي وشقيقي ويا فريقاً يبكّيه منّي فريقُ
أخوك أخو نكباتٍ لها يرقُّ العدّو فكيف الصدّيقُ

العالم أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الكندي الحجاري (جاحظ المغرب وصاحب كتاب المسهب) [1]: هو صاحب كتاب المسهب في أخبار المغرب، ذكره ابن سعيد، وقال: أطنب والدي في الثناء عليه من طريق البلاغةِ نظماً ونثراً، ومعرفة التصنيف، وقال فيه: وبِمَ أصفه، وقدرةُ اللسانِ لا تُنصِفه، وأنشد له [الوافر]:

عليكَ أحالني الذكر الجميلُ فجئتَ ومن ثنائكَ لي دليلّ
أتيتُ ولم أُقدّم من رسولٍ لأنَّ القلبَ كان هو الرسولُ

---

[1] ابن سعيد: المُغرب 2/ 29.

وفد على عبدالملك بن سعيد صاحب قلعة بني سعيد وصنف له الكتاب المذكور، وكانت وفاته رحمه الله سنة 584هـ.

الفقيه أبو عبد الله الطليطلي(1): روى كتاب مسلم بن الحجّاج، وكانت وفاته سنة 458هـ.

الفقيه محمد بن عبد الله بن عيشون الطُليطلي أبو عبد الله(2): كان فقيهاً وله مختصر في الفقه وكتاب في توجيه حديث الموطأ، وسمع كثيراً من الحديث ورواه، رحل إلى المشرق وسمع بها من جماعة، وكانت وفاته بطليطلة سنة 341هـ.

الشّعراء:

أبو بكر محمد بن أرفع رأسه(3): قال ابن سعيد: نبّه الحجاري على بيتِهِ بطليطلة، وأنَّ المأمون بن ذي النون اشتمل عليه، وشهر عنده ذكره، وله موشحات مشهورة في بلاد المغرب، ومنها في مدح المأمون، ومن شعره بالمأمون صاحب طليطلة قوله [البسيط]:

دعوا وأبناء الملوك فمن ... أضحى على البحرِ لم يشتق إلى نهرِ
يا واحداً ما على علياه مختلفٌ ... مذ جاد كفّكَ لم نحتجِ إلى المطرِ
ومذ (4) طلعت لنا شمساً فما نظرتْ ... عيني(5) إلى كوكبٍ يهدي ولا قَمَرِ(6)
وقدْ بدوتَ لنا وُسطى ملوكهم ... فلم نعرّج على شذرٍ ولا دُررِ

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان 4/ 40.

(2) المصدر نفسه.

(3) ابن سعيد: المُغرب 2/ 16، المقتطف، ص255-256، ابن خلدون: المقدمة، 1190/3، المقرّي: نفح الطيب 4/ 134- 135، وقد ذكر المقرّي حكاية هذهِ الأبيات عندما شرب مع المأمون بن ذي النون، حيث أمر له بإحسان جزيل عتيد.

(4) في النفح: وقد.

(5) في النفح: عينٌ.

(6) الأبيات موجودة في النفح 4/ 135.

الشاعر: أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الطُليطُلي[1]: قال فيه ابن خاقان: (رافع راية القريض، وصاحب آية التصريح فيه والتعريض، أقام شرائعه، وأظهر روائعه، وكان عصيّة طائعَهُ، إذا نظم أزرى بنظم العقود). وقال فيه ابن بسّام: (... وأخرجته فتنة طليطلة جبرها الله، ولمّا يسطع بعد ضوءه ولا نشا نوءه، فاحتل إشبيليه، ثم شرّق وغرّب، وأحزن ذكره في البلاد وأسهب)، ومن شعرهِ قوله [البسيط]:

عندي حشاشةُ نفسٍ في سبيل رَدى ... إن شئتها اليوم لم أمطل بها لغدِ
وكيف أقوى على السلوانِ عنك وقدْ ... ربّيتُ حبّكِ حتى شبتُ[2] في خُلدي

وكانت وفاته سنة 540هـ، وقيل 545هـ، بوادي آش.

الشاعر الزجّال أبو العباس أحمد المكادي[3]: نسبةً إلى قرية مكاده (Maccada) من قرى طُليطلة، ومن شعرهِ قوله [الطويل]:

شربنا وبُردُ الليلِ فوّقهُ سناً ... من الصبحِ والأطيار تنشدُ في القُضبِ
وقد أبرزتْ شمسُ السماءِ مطارفاً ... من الوشيِ ألقتها على الأُفُق الرَّحبِ

الشاعر أبو تمام غالب بن رباح المعروف بالحجّام[4]: قال فيه ابن بسّام: وكان معدوداً في شعراء عصرهِ، وقال فيه الحجاري: (شاعر القلعة الذي نوّه بقدرها، ورفع من رأس فخرها، وكان في مدة ملوك الطوائف. وكان أبو تمام قد رُبّي في قلعة رباح غربي طليطلة، ولا يُعلم له أب، وتعلّم الحجامة فأتقنها، ثم تعلّق بالأدب حتى صار آية، ومن شعرهِ في كتاب المُغرب [الوافر]:

---

(1) ابن خاقان: قلائد العقيان 3/ 919، ابن بسام: الذخيرة 2/ 363- 376 وقد أورد له الكثير من شعره، ابن سعيد: المُغرب 2/ 17، المقرّي: نفح الطيب 1/ 471، العماد الأصفهاني: الخريدة، القسم/4، ج/2، ص130، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار 11/ 280، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 626، طبعة دار الكتب العلميّة.

(2) في الذخيرة شبتُ، وفي القلائد: شبَّ.

(3) ابن سعيد: المُغرب 2/ 37.

(4) ابن بسّام: الذخيرة، 3/535- 547، ابن سعيد: المُغرب 2/34، المقرّي: نفح الطيب 3/ 415- 418.

الشاعر الحسن بن حسَّان السنَّاط[1]: قال فيه الحجاري: شاعر زمانه وواحد أوانه، اشتهر بقرطبة في مدح الخليفة الناصر، وأصله من وادي الحجاره، وعنوان طبقته قوله [الوافر]:

أدِرْ نجميـــكَ يـــا قمـــرَ النّـــديِّ ... فقدْ نامض الخلـيُّ عـن الشـجيِّ
كفَى بك والمدامـــةُ لـــي صـــباحاً ... يفـــرّقُ عســـكرَ الليـــلِ الـــدّجيِّ
فَخُـــذْ ذَهَبـــاً وردّ لنـــا لُجينـــاً ... تكنْ في الناسِ أربـحَ صـيرفيِّ[2]

قتل نفسه غيظاً، لأنه وجد امرأته مع رجل.

الشّاعرة: حفصة بنت حمدون الحجاريّة[3]: قال الحجاري: (إنَّ بلدها يفخـر بها، وكانت في المائة الرابعة، ولها شعر كثير، منهُ قولها [الخفيف]:

لـــي حبيـــبٌ لا ينثنـــي بعتـــابِ[4] **... وإذا مـــا تركتـــه زاد تيهـــاً**
قال لي هل رأيتِ لي مـن شـبيهٍ ... قلتُ أيضاً وهل ترى لي شـبيهاً[5]

وقال ابن الآبّار: إنّها كانت أديبةً عالمةً شاعرةً، وهي من أهل وادي الحجاره (Cuada Lajara) بطُليطلة.

الشاعرة: أم العلاء بنت يوسف الحجاريّة البربريّة[6]: قال الحجاري: (أنّهـا ممن تفخر به بلدها وقبيلها، وهي من أهل وادي الحجاره بطليطلـة كـذلك، ومـن شعرها [الرمل]:

---

[1] ابن سعيد: المُغرب 2/ 30، ابن بسّام: الذخيرة 1/ 318. الحُميدي: الجذوة، ص167، الضبي: البغية، ص224.

[2] الأبيات في الذخيرة 1/ 318.

[3] ابن سعيد: المُغرب 2/ 31، المقرّي: نفح الطيب 4/ 285- 286، كحالـة: أعـلام النسـاء 1/ 272، العاملي: الدرّ المنثور، ص266، الزركلي: الأعلام، 292/2.

[4] في النفح وردت: لعتاب 1/ 285.

[5] الأبيات موجودة في النفح 1/ 285.

[6] ابن سعيد: المُغرب 2/ 31، المقرّي: نفح الطيب، 4/ 169، كحالة: أعـلام النسـاء، 3/ 327- 328، والأبيات موجودة في النفح، 169/4، والمُغرب 32/2.

كُلُّ مـا يصـدرُ مـنكم[1] حسـنُ وبعليـاكُمُ تحلَّـى[3] الـزّمنُ
تعطفُ[2] العـين علـى منظـركمْ وبـذكراكمُ تلـذ الأُذُنُ
مـن يعـشْ دونكـمُ فـي عمـرهِ فهـو فـي نيـل الأمـانيُ يُغْـبَنُ

وعند المقري أنَّ رجلاً عشقها وكان أشيباً، فكتب إليه [السريع] [4]:

الشـيبُ لا يُخْـدَعُ فيـه الصِّـبَا بحيلـةٍ فاسـمع إلـى نُصـحي
فلا تكن أجْهَلَ مـن فـي الـورى يبيتُ فـي الجهـلِ كمـا يضـحي

---

[1] في المُغرب: عنكم.
[2] في المُغرب: تعكفُ.
[3] في المُغرب: يُحلّى.
[4] المقري: نفح الطيب 4/ 169.

الباب الثاني
طُلَيْطُلة ما قبل الفتح الإسلامي

- ❖ مدخل
- ❖ طُلَيْطُلة في العصر الروماني
- ❖ طُلَيْطُلة عصر دولة القوط
  - مدخل
  - من هم القوط ومن أين جاءوا
  - رحلة القوط الغربيين الشاقة حتى وصولهم طُلَيْطُلة
  - ملوك القوط الغربيين في إسبانيا.
  - ثبت بأسماء ملوك القوط الغربيين حسب الروايات الإسلامية/ رواية ابن الأثير.
  - ثبت بأسماء ملوك القوط الغربيين في إسبانيا حسب الروايات اللاتينية الأجنبية المترجمة والمنقول عنها.
  - ثبت بأسماء ملوك القوط الغربيين في إسبانيا على جميع الروايات.

طُلَيْطُلَة (Toledo) **ما قبل الفتح الإسلامي**

مدخـــل:

أجمعت المصادر على أن طُلَيْطُلَة (Toledo) قديمةٌ أزلية البنيان، وهي مـــن بناء الأوائل. ونجد كذلك عند ابن حيّان حامل لواء تاريخ الأندلس رأيين مختلفـــين حول من بناها وفي أيّ زمن. قال ابن حيّان: **(قال عيسى بن أحمد الرّازي: كـــان الذي بنى مدينة طُلَيْطُلَة، وسبق على اختيارها، واهتـــدى لبـــديع خلقتهـــا وقـــوة حصانتها ومنعتها دُيوسقُيُوس**[1] **الملك الجاهلي، وذلك قبل أنْ يستكمل العالَم مـــن تأريخ آدم البشري عليه السلام، خمسة آلاف (5000) سنة بيسير فتأثّل شَـــرَفها، واتصلت عمارتها، وشُهِرَ اسمها...)** [2]. وقال ابن حيّان في موضعٍ آخر: **(قـــرأت بخطِّ صاعِدِ بن صاعد القرطبي، قاضي طُليطلة، وكان من العلم بمكـــان: مدينـــةُ طُلَيْطُلَةُ قديمة البناء، لا يُعرفُ من بناها ولا زمانه)** [3]. وقال البكري: **(... وهـــي إحدى القواعد الأربع المقدّم ذكرها**[4]**، وهي أقدمهنَّ ألفتها القياصرةُ مبنيّـــة)** [5]. وقال الحِميَري: **(وهي أزليّة من بناء العمالقة)** [6]. وعند ابن سعيد نقلاً عن التاريخ الرومي:**(أنّها إحدى المدن الأربع التي بُنيت في مدة أُكتبيان**[7]**،الذي يـــؤرّخ فـــي**

---

(1) عند ابن خلدون في كتاب العبردير نيقيوش الجبار (ابن خلدون: العبـــر 4/ 180) طبعـــة دار الفكـــر، 1981.

(2) ابن حيان: المقتبس 5/ 272.

(3) ابن حيان: المقتبس 5/ 278.

(4) هي طُليطلة (Toledo)، قرطبة (Cordoba)، مارده (Merida)، إشبيليه (Sivilla) وقيل سرقســـطة (Zragoza)، وقيل قرمونة (Caramona). (المقري: نفح الطيب 1/ 157، 481).

(5) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا ص87، الحِميَري: صفة جزيـــرة الأنـــدلس، ص133، الـــروض المعطار، ص394.

(6) الحِميَري: الروض المعطار، ص393، صفة جزيرة الأندلس، ص130، الإدريسي: نزهـــة المشـــتاق، المجلد 2، ج1، ص551.

(7) وهو: (Octavian) المعروف باسم اكتافيوس قيصر (المقري: نفح الطيب 1/ 481، الحاشية رقم 1).

مدته الصقر)[1]، وأضاف المقري: **(أنّها تسمى مدينة الأملاك لأنّها ملكهــا اثنــان وسبعون إنساناً، ودخلها سليمان بن داوود عليهما السلام، وذو القرنين)**[2].

ومما سبق رغم بعض الاختلاف يمكن القول بأن طُليطلــة يحــيط بأصــلها وتاريخها القديم بعض الغموض، والمرّجح أنّها بنيت وكانت عــامرة قبــل العهــد الروماني استناداً إلى ما سبق، وعند سالم أنّها بُنيت زمن الإغريق على أغلب الظن وبناؤها يسبق مقدم الرومان[3]. وعلى كل الأحوال، وبإجماع المصــادر التاريخيّــة والجغرافية، فقد كانت طُليطلة قاعدة الأندلس، ومركز لجميع بلاد الأنــدلس، فهــي موسطتها.

طُلَيْطُلَةُ في العصر الروماني:

لا شكَّ أنَّ هذه الفترة من تاريخ طُليطلة خلال العصر الروماني أكثر وضوحاً من العصر الذي سبقه، وهذا ما سيظهرُ لنا من خلال ما أوردته المصــادر حــول تاريخها خلال ذلك العصر الغابر، قال الإدريسي: **(ومدينة طُليطلة كانت في أيــام الروم دار مملكتهم وموضع قصدهم)**[4]، وقال في موضعٍ قبلهُ **(وطُليطُلة كانت أيام الروم مدينة الملك ومدار لولاتها)**[5]، وقال الحِمْيري: **(وكانت طُليطلة دار مملكــة الروم)**[6] أما ابن سعيد فقد أشار إلى أنَّ طليطلة هي إحدى المــدن الأربعــة التــي ذكرناها والتي بُنيت في مدة أكتبيان (أكتفايوس Octavian)[7] وهنا يشير ابن سعيد إلى ازدهارها في العهد الروماني وإعمارها، وليس بناؤها الأول الذي أثبتنا أنه كان

---

(1) ابن سعيد: المُغرب 2/ 10.

(2) المقري: نفح الطيب 1/ 161، ياقوت الحموي: معجم البلدان 40/4 وزاد: أن الخضر عليه السلام قــد دخلها كذلك.

(3) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص51.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ 2، ج1، ص551.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/ 2، ج1، ص536.

(6) الحِمْيري: الروض المعطار ص393، صفة جزيرة الأندلس، ص130.

(7) ابن سعيد: المُغرب 10/2.

قبل مجيء الرومان إليها، ومن هنا يتبيّن لنا أن طُليطلة كانت هي العاصمة لجميع بلاد الأندلس في العهد الروماني، بها كرسي الملك، وقيادة الجيش، ومنها تخرج الأوامر لإدارة جميع بلاد الأندلس، وهذا ما سيحدثنا عنه ابن حيّان من خلال حديثه عن طُليطلة خلال مدة قياصرة الروم.

وقال ابن حيّان: (... **فلمّا ملك قوّاد رومة أرض الأندلس أصابوا دار مملكة الأفارقة فيها مدينة طالِقة من بلد إشبيلية، فلم يستحبّوا نزولها لبعدها من بلادهم، التي منها قوّتهم، ونقلوا المُلك عنها إلى مدينة طُليطلة، فجعلوها أم مدائن الأندلس وقاعدتها ودار ممْلكتها، دانت لها مدائن الأندلس وأذعنت لأميرهم، واجتبوا كُور الأندلس مدة من قِبَلها. ثم إنّها انْتَاثَتْ على قُوّاد رومة قبل دولة القياصرة بمدة، وقام عليهم قائم فيها من لُجِدانية[1] ماردة، المُسمّى برباط[2]، ملكها على القائد الذي كان بالأندلس من قِبَل رُومة، ودفعه رجال رومة عنها، فكانت أول ثورة، كانت لأهل طليطلة منذ بدأة ثورة برباط هذا.**

وصارت بعدُ لأهلها ديْدَناً وعادةً، فلم يزل قواد رومة يتكرّرون بصوائفهم عليها عاماً بعد عام، وبرباط مُستَظهر عليهم، عالٍ في الحرب على عساكِرهم، إلى أن غَدر به بعض أصحابه، فقتله بداخل المدينة بعد سبعة أعوام من ثورته فيها، وقد أحسن حِمايتها وأشجى أهل روُمة المُنازعين له ملكها. وقتل العدد الجمّ من رجالهم. وعلا ذكره في الآفاق. وقام رجل من أهله بعد قتله مكانه، فضبط طُليطُلة وسلك سبيل برباط في مدافعة قوّاد رُومة/ ومحاربتهم، وكانوا قد قصدوها أثر مقتل برباط في جموعهم لحصارهم، فأعجزهم منالها وقاومهم بأس أهلها [...][3] يغريهم في العطاء ويعدهم الإعلاء والإحسان، فقاموا في تشتيت أهلها، وأمكنت

---

[1] تقع في منطقة لوسيتانيا (ابن حيان: المقتبس 5/ 272، الحاشية رقم4) وقد وردت عند ابن خلدون في العبر 4/ 180 نجدانيّة.

[2] هو برْيَاط أو فِرْياط هكذا في الحاشية رقم 5 من المقتبس 5/ 272، وعند ابن خلدون 4/ 180، كذلك برباط لأنه ينقل عن ابن حيّان

[3] سقوط بعض الكلمات أظنّها بمعنى: حتى بدأ قائد رومه، أو إلى أن أخذ قائد رومة.

بعضهم الفرصة في الثائر الذي ملكها، فقتله وأنفذ رأسه إلى قائد أهـــل رومـــة، ودعاه هو ومن مالأه إلى دخولها، فتعجّل إليها ودخلها ليلاً، فصار فيها ملكاً لها، وأدخل فيها رابطة رومة، فاستقرُّوا بها على عادتهم، واستقام لهم ملك الأنـــدلس باحتِوائهم على طُليطُلة الغرّاء. وقد كانت مضطربة الحال جداً طول أيـــام خلافهـــا عليهم، فاستَقام أودها واعتدل ميلها، واستوسق ملكهم بعد ارتجـــاعهم لطليطلـــة مائة سنة في تواريخهم محصلة، ثم إن طليطلة خالفت بعد على أهل رومة ودفعت طاعتهم، وأخرجت قائدهم، فصارت سبباً لشتات أهل الأندلس علـــيهم وفـــرقتهم، واتَّخذ بعضهم الحُصون على بعض، وانهمكوا في الحروب والغارات، حتى قلّـــت أعدادهم ودرست عمارتهم، وضاقت معايشهم لقلّة الزراعـــة عنـــدهم، وعـــدموا الأقوات وأشرفوا على الهلاك. وصارت إمارتهم إلى رجل منهم يُسمى انتُـــنس[1]، فاحش السيرة فيهم، واعتنى بعمارة مدينتهم، فابتنى سورها العظيم الشأن، وعقد قنطرتها المنقطعة [النظير]، وغزاها يُوليش ملك رُومة الأكبر، أول القياصرة الذي قطع أسماء القواد، وتسمى قيصر فتوالت بعده القياصرة، وخرج بعد اجتماع أهل رومة عليه من أرض رُومة في جُموعه الكِبار إلى الأندلس، فألفاها علـــى ســـفا هلكة، وقد شمل أهلها البَلاء، وقتلتهم الفِتن، وانحجزوا في الحصون، فقصـــد دار الملك طليطلة وأحاط بها، محاصراً أميرها أنتنش فيها، وقـــد امتنـــع بحصـــانتها، فأطال الثواء عليه، فأعيا عليه شأنها ونبا به مكانها، وفنى ما كان استعدّ به، ولم يجد ما يعتاضه، فرجع إلى بلده خائباً خاسراً دون أثر في غزوتـــ[ـــه]، فاستقصر أهل رومية سعيه ونسبوه إلى العجز وقـــ[ـــلَّة] الجرأة، ولم تزل طليطلـــة شـــجًى على القياصرة بعد يوليش. وقيل مبعث المسيح/ عيسى بن مريم، صلعم، فقلَّ مـــا دانت لهم، بل تمادَتْ غُصّة عليهم، إلى أن انقرضت من الأندلس دولتهم)[2].

---

[1] عند ابن خلدون في العبر 4/ 180 (أنيش).

[2] هذا النصّ موجود عند ابن حيّان 5/ 272– 274، وكان ابن خلدون ينقل عن ابن حيان بالمعنى وعلى سبيل الاختصار الشديد، ابن خلدون: العبر 4/ 180.

ويفهمُ من كلام ابن حيّان؛ أنَّ الرومان جعلوا طُليطلة عاصمةً لهم بدلاً من مدينة طالقة[1] من بلد إشبيلية، وذلك لقرب طليطلة من روما التي هي عاصمة الامبراطورية الرومانية في بلاد أوروبا، حيث العدد والعدّة والطعام، لكن سكان طُليطلة لم يقبلوا بهذا الاستعمار الغاشم حيث الثورات المتتابعة على الرومان، الثورة الأولى بقيادة **برباط/ برياط/ فِرْياط**، ثم ثورة الرجل الذي جاء بعده حيث تابع المسيرة في ثورته ضد الرومان في طُليطلة، حتى اتخذ قادة رومة الحيلة مع أهلها، وأغروا بعض الأهالي بالعطاء الجزل والإحسان، فقاموا هؤلاء بالعمل على تشتيت أهالي طُليطلة والإفساد فيما بينهم حتى خمدت نار ثورتهم، ثم قام بعضهم ممن يعمل لصالح الرومان بقتل الرجل الذي خَلَفَ برباط في ثورته، وأرسل رأسه إلى قائد رومه، فدخلوها وتمكنوا منها ليلاً، وبقيت طُليطلة خلال العصر الروماني عرضةً للفتن والثورات، ثم حالفت طُليطلة من هم ضد الرومان وخلعت طاعة الرومان، وأخرجوا القائد الروماني منها، ثم قاموا على بعضهم حتى تشتتوا وتفرقوا وقلّت أقواتهم، وأشرفوا على الهلاك لانشغالهم ببعضهم، و تولّى أمرهم **(أنتُنِش)** الذي وصف بفحش السيرة، لكنه اعتنى بالعمارة، ثم غزاهم ملك رومه **يوليش** وهو أول القياصرة، و قام بمحاصرة طُليطلة، لكنه رجع خائباً، وبقيت طُليطلة غير خاضعةً تماماً لهم، إلى أن انقرضت دولتهم بوثوب القوط على دولتهم، هذا موجز مفصل وموضح لحديث ابن حيّان، يفهم منه أنَّ طُليطلة كانت خلال العصر الروماني مضطربة بالثورات ضدهم، ولم يستقر أمرها لهم كاملاً إلى أن دخلها القوط، وعندما دخلها القوط كانوا قد انتزعوها من الشعوب الجرمانية المقيمة فيها كالوندال والالان والهون كما سنتحدث لاحقاً.

---

[1] **طالقة** (Italica): قيل مدينة وقيل ناحية وقيل قرية، وهي من أعمال إشبيلية، أول من سكنها الأفارقة، وقد ازدهرت في عهدهم وبقيت عاصمتهم حتى دخلها عليهم إشبان بن طيطش من ملوك الرومان. (الحِمْيَري: صفة جزيرة الأندلس، ص122، ياقوت الحموي: معجم البلدان 8/4، البكري: جغرافية الأندلس، ص109، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص166- 167، المقري: نفح الطيب، 133/1-134، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية، 640/2- 642.

وعند سالم: أنّ القائد الروماني ماركوس فولفيوس نوبليور (Marcus Fulvius Nobilior) قد حاصر مدينة طليطلة واستولى عليها سنة 190ق.م[1]، ولكن سكان طُليطُلة لم يتحمّلوا في بادئ الأمر معاملة الرومان، فثاروا عليهم وهزموا حاكمهم كايوس كالبورنيوس ماركوس فالفيوس (Caius Calpurnius Pison) سنة 186ق.م، لكنهم ما لبثوا أن أُخضعوا أخيراً للرومان، واستسلمت المدينة للفاتحين[2]، لكن ابن حيّان ذكر أن طليطلة لم تخضع تماماً للرومان، وبقيت نار الفتن تضطرم بها يوماً بعد يوم، ولم تخضع لهم طوال بقائهم بها إلاّ مئة عام. **(... ثمَّ إنّها التاثت على قُوّاد رومة قبل دولة القياصرة بمدة، وقام عليهم قائم فيها من لُجدانية مارده، المسمَّى برباط، ملكها على القائد الذي كان بالأندلس من قِبل رومة، ودفعه رجال رومة عنها؛ فكانت أول ثورة كانت لأهل طُليطلة منذ بدأت ثورة برباط هذا، وصارت بعدُ لأهلها ديدناً وعادةً...)** [3] فلم تخمد الثورات ضد الرومان في طُليطلة، وإن كان الرومان قد سيطروا عليها فليس تماماً في ظل الثورات المتعاقبة، بل لأزمان منقطعة. **(وقد كانت مضطربة الحال جداً أيام خلافها عليهم، فاستقام أودها واعتدل ميلها، واستوسق ملكهم بعد ارتجاعهم لطليطلة مائة سنة في تواريخهم محصّلة، ثم إنّ طُليطلة خالفت بعدُ على أهل رومة ودفعت طاعتهم وأخرجت قادتهم)** [4]. وهذه هي المرة الثانية التي يخرج بها قادة رومة من طليطلة، وبقيت هذه المدينة دائمة التّغير، قليلة الاستقرار حتى بعد أن غزاها القيصر الروماني يوليش، وبقيت على حالها من عدم الاستقرار حتى قدم القوط. **(وغزاها يوليش ملك رومة الأكبر أول القياصرة... فيرجع إلى بلده خائباً حاسراً دون أثر في غزوته،... ولم تزل طُليطلة شجى على القياصرة بعد يوليش، وقيل**

---

(1) في دائرة المعارف الإسلامية 259/15 أن فولفيوس استولى على طليطلة سنة 193ق. م.

(2) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص51.

Aguado Bleye: Manuel de la Historia de Espana T.I Madrid, 1947, p.211- 212.

(3) ابن حيان: المقتبس 5/ 272، ابن خلدون: العبر 4/ 180، طبعة دار الفكر، لبنان، 1981م.

(4) ابن حيان: المقتبس 5/ 273، ابن خلدون: العبر 4/ 180، طبعة دار الفكر، لبنان، 1981م.

مبعث المسيح عيسى بن مريم صلعم، فقلّ ما دانت لهم، بل تمادت غصةً عليهم، إلى أن انقرضت من الأندلس دولتهم)[1].

وازدهرت طُليطلة في العصر الروماني خلال مدة تواجدهم واستقرارهم، فحصّنت بالأسوار وأقاموا فيها المسرح الكبير والجسر العظيم[2]. **(... فجعلوها أم مدائن الأندلس وقاعدتها ودار مملكتها)** [3]، **(وكانت طليطلة دار مملكة الرومان)**[4]. **(وطُليطلة كانت أيام الروم مدينة الملك ومداراً لولاتها)** [5] وعندما انتشرت المسيحية في إسبانيا أقام سان أيوجينو (San Eugenio) بطليطلة مركزاً اسقفياً[6]. هذا موجزٌ مختصر من تاريخ تلك المدينة خلال العصر الروماني.

طُليطلة عصر دولة القوط الغربييّن (Visigoths)

وهذا العصر هو العصر الثالث من العصور التي مرَّت على طُلَيطُلة (Toledo) قبل الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية، وقد تداول ملوك القوطّ ملكها بعد أن غصبوها من الرومان بعد حروبٍ دامية، فصارت طُليطلة دار مُلك القوط وعاصمة دولتهم، وهي مركزهم ومستقرّهم، وقرارهم، وقاعدتهم وعمادهم، منها تتحرك الجيوش للغزو، وفيها يتشاور أولو الأمر، وبقيت طُليطلة كذلك في عهد القوط من المكانة والأهمية، حتى جاءت طلائع الجيوش الإسلاميّة إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، قال صاحب التاريخ ابن حيّان رحمه الله مُتحدثاً عن مكانة طُليطلة في عهد القوط: **(قرأت بخطِّ صاعد بن صاعد القرطبي، قاضي طُليطلة، وكان من العلم بمكان،... وكانت قاعدة ملوك القوط آخر الأُمم الذين تملكوا بلاد**

---

[1] ابن حيان: المقتبس 5/ 274، ابن خلدون: العبر 4/ 180، طبعة دار الفكر، لبنان، 1981م.

[2] سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص51.

[3] ابن حيان: المقتبس 5/ 272.

[4] الحِميَري: صفة جزيرة الأندلس، ص130، الروض المعطار، ص393.

[5] الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/2، ج/1، ص536، 551.

[6] سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص51.

الأندلس، **إلى أن دخلتْ العربُ عليهم)**[1]. وقال أبو عُبيد الله البَكري رحمه الله: **(ومدينة طُليطلة قاعدة القوط، ودار مملكتهم، منها كانوا يغزون عدوّهم، وإليها كان يجتمعُ جنودهم)**[2]. وقال ابن خلدون: **(وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة وكانت دار ملكهم)**[3] لكن ابن خلدون يضيف بأنَّ القوط ربّما كانوا ينزلون مدن أخرى من مدن الأندلس خلال وجودهم، أيّ أن طُليطلة لم تكن عاصمتهم على الدوام فكانت ماردة وإشبيلية وقرطبة كذلك من المدن التي اعتبروها عاصمةً لملكهم **(وربّما انتقلوا ما بينها، وبين قرطبة وماردة وإشبيلية)**[4]. لكن على الأرجح وإنْ صحَّ قول ابن خلدون؛ فإنَّ طليطلة بإجماع المصادر كانت هي العاصمة الأطولُ أمداً على الأغلب، فلا ننسى أن نأخذ بالاعتبار وبإجماع المصادر أنَّ طليطلة كانت زمن الروم، دار ملكهم وموضع قصدهم[5]، وهذا يعود إلى حصانتها ومنعتها وموقعها الاستراتيجي على مرتفعٍ شاهقٍ يحيط بها نهر التاجه من جهاتها الثلاث، وقنطرتها العظيمة البنيان، المنقطعة النظير في الأندلس، ويجدر بالذكر أنَّ طليطلة بقيت عاصمةً لملوك القوط، حتى دخلها المسلمون. قال القلقشندي: **(كانت قاعدة الأندلس في القديم، وبها كرسي لذريق آخر ملوك القوط)** [6]، ومن كلام ابن حيّان: **(... وكانت قاعدة ملوك القوط آخر الأمم الذين تملّكوا بلاد الأندلس؛ إلى أن دخلتْ العرب عليهم)** [7].

---

[1] ابن حيّان: المقتبس 5/ 278، ابن غالب: فرحة الأنفس، ص19، المقري: النفح 162/1.

[2] البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص87، الحِميّري: صفة جزيرة الأندلس، ص6، 133 نقلاً عن البكري.

[3] ابن خلدون: العبر 4/ 146، طبعة دار الفكر، بيروت– لبنان، 1981.

[4] ابن خلدون: العبر 4/ 146، طبعة دار الفكر، بيروت– لبنان، 1981.

[5] ابن حيان: المقتبس 4/ 272، ابن خلدون: العبر 146/4، 180، طبعة دار الفكر، بيروت– لبنان، 1981م، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/2، ج1، ص 536، 551، الحِميْري: الروض المعطار، ص393، صفة جزيرة الأندلس، ص130، ابن سعيد: المغرب 2/ 10، المقري: نفح الطيب 161/1.

[6] القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 227– 228.

[7] ابن حيّان: المقتبس 5/ 278.

من هُمْ القُوط ومن أين جاءوا:

يحدثنا ابن خلدون كمصدرٍ إسلامي عن أصل القوط فيقول: (**هذه الأمة من أمم أهل الدولة العظيمة المعاصرة لدول الطبقة الثانية من العَرَب وقد ذكرناهم عقب اللطينيين[1] لأنَّ المُلك صار إليهم من بينهم كما ذكرناه[2]، وسياقة الخبر عنهم أنَّهم كانوا يعرفون في الزمن القديم بالسيسيين، نسبةً إلى الأرض التي كانوا يعمرونها بالمشرق فيما بين الفرس واليونان، وهم في نسبهم إخوة الصين من ولد ماغوغ بن يافث**)[3] ويذكر ابن خلدون أنَّ القوط كانت لهم حروب مع أُممٍ قبل حروبهم مع الرومان. (**وكانت لهم مع الملوك السريانيين حروب موصوفة زحف إليهم فيها مُوقَمَن مالي ملك سريان فدافعوه لعهد إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم كانت لهم حروب مع الفرس عند تخريب بيت المقدس وبناء رومة**)[4]، غير أنَّ المصادر الإسلاميّة لم توضح لنا كثيراً عن هذه الحروب، وابن خلدون هو وحده من تفرّد بهذه الأخبار البسيطة نقلاً عن المؤرخ هروشيوش، بيد أن ما يهمنا هنا هو أخبار القوط الغربيين (Visigoths) الذين ملكوا طليطلة، وحروبهم مع الإمبراطورية الرومانية حتى وصولهم إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، وسأوجز الأخبار عنهم ما استطعت لأني لستُ بصدد الحديث المفصّل، فما يخدمني هنا هو الحديث عنهم كأحد الأمم التي ملكت طليطلة، وكيف كانت في عهدهم، وبما أنَّ المصادر الإسلامية لم تتوسع في حديثها عنهم في حروبهم حتى ملكوا طليطلة؛ فسيكون الحديث عنهم وفي أغلبه من خلال المصادر والمراجع الأخرى.

---

(1) اللطينيّون: هم الرومان.

(2) حديثه عن تملكهم شبه الجزيرة الإيبيرية من الرومان، (ابن خلدون: العبر 146/4، 180).

(3) ابن خلدون: العبر 2/ 280، طبعة دار الفكر، بيروت– لبنان، 1981م.

(4) المصدر نفسه.

القوط من القبائل أو الشعوب البربرية التي هبطت من شمال أوروبا، وقوّضت صروح الامبراطورية الرومانية[1]، وقد استخدم الرومان كلمة (**بربري**) بمدلول التحقير والإزدراء للدالة على الشعوب التي وفدت لتعيش على حدود الراين والدانوب، وقد أطلق الرومان على هذه القبائل والشعوب جميعها اسم (**الجرمان** Germani) [2] على أن هذه الشعوب الجرمانيّة قد وفدوا في الأصل من سكنديناوة[3]، وعند عنان: "**وتقول الأساطير أنّهم نزحوا من اسكندناوة، وهي رواية يؤيدها كثير من القرائن والشواهد، ويذكر المؤرخ تاسيتوس أنهم كانوا منذ ظهور النصرانية إلى أواخر القرن الثاني يسكنون شواطئ البلطيق الجنوبيّة**"[4] فقد عبر القوط خاصةً وهم مدار حديثنا البحر البلطي من سكندناوة قبل حلول منتصف القرن الثاني الميلادي حتى وصلوا مصبّ الفستولا. وقرب منتصف القرن الثاني الميلادي بدأت قبائل القوط رحلةً طويلةً نحو الجنوب الشرقي حيث استقروا شمالي البحر الأسود. وهناك انقسم القوط إلى قسمين شرقييّن (Ostrogoths) وكانوا تحت حكم أسرة أمالوس(Amalos) وغربييّن (Visigoths) وكانوا تحت حكم أسرة بالطة (Baltes) انتشر القوط الشرقيين فوق سهول روسيا الجنوبية، لكن القوط الغربيين اتجهوا نحو إقليم داشيا ودول البلقان، وسمحت الإمبراطورية الرومانية للقوط بالاستقرار والإقامة مرغمةً، فتنازلت لهم عنهُ لقرنٍ من الزمان (275-375م) وكان هذا قبل أنْ يعبروا إلى داخل الامبراطوريّة الرومانية[5]. ويرى

---

[1] عنان: دولة الإسلام في الأندلس، 28/1/1.

[2] كانتور، نورمان ف كانتور: العصور الوسطى الباكرة، ترجمة وتعليق قاسم عبده، ص 169.

[3] المصدر نفسه. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، 28/1/1، عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص66؛ الشيخ، محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص89؛ سانت موس: ميلاد العصور الوسطى، ص84.

[4] عنان: دولة الإسلام في الأندلس، 28/1/1.

[5] عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص66؛ سانت موس: ميلاد العصور الوسطى، ص84؛ الشيخ، محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص89، طرخان: دولة القوط الغربيين ص1-3، حتاملة: أيبيريا ص202،

Caramona, D, Fransesco diaz, compendio de, historia de Epaňa, p.83

الأستاذ عاشور أنّه لم تكن لهذه التسمية في الأصل علاقة بالموقع الجغرافي الذي استوطنه كل قسم من القوط، وأن مدلول لفظ (Ostrogoths) معناه القوط الساطعون أو الزاهرون (Auster) بينما مدلول لفظ (Visigoths) معناه الأذكياء (wise).[1]

رحلة القوط الغربيين (Visigoths) الشاقّة حتى وصولهم طُليطلة

هنالك روايات أوردتها المصادر الإسلامية حول رحلة القوط، وحروبهم مع الهَوْن والرومان، حتى تمكّنوا من دخول إسبانيا والسيطرة عليها، ومن ثم اتخاذ طُليطلة عاصمةً لهم. غير أن هذه الروايات غير وافية وغير مفصلة وهناك اختلاف في أسماء ملوك الرومان والقوط وفي أغلبها ما يشبه الخرافة والحديث المتقطع الغير وافي. ويقول عنان " **أنّها فيها الكثير من الخلط والخرافة** "، ولهذا سأعتمد على المراجع الأخرى التي اهتمت بأخبار دولة القوط اللاتينية المترجمة والعربية التي نقلت عن اللاتينية، مع الأخذ من المصادر ما كان موافقاً للحقائق على قدر المعرفة والتمييز إن شاء الله، وابن خلدون وابن الأثير هما أقرب إلى الحقائق من بين المصادر الإسلامية الأخرى.

كان أول ظهورٍ للقوط على أراضي الامبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور اسكندر سيفروس (222- 235م)؛ فقد ظهرت طلائعهم في ولاية داسيا الواقعة في شرقي حوض الدانوب وتشغل مكان رومانيا والمجرّ حالياً، وكانت هذه الولاية من البلاد الخاضعة للامبراطورية الرومانيّة، ثم أغاروا على بعض مدنها، وكان هذا هو نزوحهم الثاني، حيث استقرّوا عندئذ في إقليم (**اليوكرين**)، وفي عهد الامبراطور ديسيوس كان القوط قد عبروا نهر الدانوب وخرّبوا ولاية ميزيا الواقعة وسط البلقان وتشغل مكان بلغاريا الحديثة، وهي من البلاد الخاضعة لسيطرة الرومان كذلك، ثم تقدمت أُمة القوط إلى قلب بلاد البلقان، فلما علم ديسيوس بذلك

---

[1] عاشور: أوروبا في العصور الوسطى ص165 الحاشية رقم 1.

سار لقتالهم، لكن أمة القوط هزمته وقتلت معظم جيشه وعاد خائباً وكان ذلك سنة (250م)؛ وبعد هذه المعركة سار القوط إلى اليونان فعاثوا فيها وخرّبوها، وبقي القوط على هذه الحالة من العبث والتخريب بالأراضي الرومانية حتى حاربهم الامبراطور قسطنطين الكبير، فحاربهم في مواقع عدة، وردّ عدوانهم وأوقع بهم الخسائر والهزائم فكرّوا عائدين إلى إقليم داسيا وكان ذلك سنة 322هـ ثم حاربهم الامبراطور فالينس قيصر قسطنطينية وهزمهم وكان ذلك سنة 369هـ(1).

هنالك رواية أخرى؛ وذلك أنَّ الرومان هم من سمحوا للقوط بالعيشِ في إقليم داشيا والبلقان، بل والاستقرار في هذه الجهات لقرنٍ من الزمان تقريباً (275-375م)، واحتكوا بهم وقد تأثر القوط الغربيون بحضارة الرومان؛ فاعتنقوا المسيحية عن طريق مبشر منهم اسمه (**ولفلاس** Wulfilas)، (311- 361) وقد عيّن **ولفلاس** هذا أسقفاً للقوط سنة 341م تقريباً، وكان قد تلّقى تعليمه بالقسطنطينية، وترجم الكتاب المقدس إلى لغة القوط، وهذه الترجمة تعتبر اليوم من أقدم آثار اللغة الجرمانية التي كانت سائدةً في ذلك الوقت. وقد تلقى القوط المسيحية على المذهب الأريوسي، وذلك أن ولفلاس كان أريوسياً، فانتشرت الأريوسيه بين أفراد أُمة القوط، بل انتشرت كذلك بين طوائف من الجرمان غير القوط الغربيين، مثل الوندال، والبرجندين واللمبارديين، وكان لانتشار المذهب الأريوسي أثراً بالغاً في مستقبل المجريات التاريخية في أوروبا في عصورها الوسطى(2) في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، وقيل سنة 375هـ، وقيل سنة 376هـ؛ اندفعت قبائل

---

(1) للمزيد عن هذه الأحداث انظر. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، 28/1/1.

(2) عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص66- 67، الشيخ: محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص91- 92، موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق، والسيد الباز العريني، ص84، ديفز: أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة د. عبدالحميد حمدي.

Moss (H. Sant. L> B Moss): the Birth of the Goths, p. 61.

الهون[1] الآسيويون خلال المنفذ الواقع بين جبال أورال وبحر قزوين نحو جنوب روسيا، وهاجموا القوط، وكان هجومهم عنيفاً، فغلب الفزع على أمة القوط، وفرّوا أمام الهون من هول الهجوم، فطلبوا من الامبراطور الروماني في القسطنطينية (**فالنز** Valens) (364- 378) السماح لهم بعبور الدانوب ليسلموا من الخطر المحدق بهم من الهون، فوافق على طلبهم لا رحمة بهم بل ليجعل منهم سوراً يحمي حدود الامبراطورية الرومانية من خطر الهون، وسمح لهم بالعيش والإقامة في إقليم ميزيا جنوب الدانوب الأدنى (ولاية مواشيا وتراقيا) وكان قد عبر الدانوب منهم ما يقرب من مليون ومائة ألف محارب، وشرط عليهم الامبراطور فالنز أن يكونوا له حلفاء لمشاركتهم في دفع الأخطار عن الامبراطورية الرومانية، وبالمقابل وعدهم بإعفائهم من الضرائب، وإعطائهم بعض الامتيازات الأخرى، لكن جنود الرومان كانوا خلافَ ما وعدهم، فأخذوا بابتزازهم وذلك بأخذ الضرائب الباهضة، وربما اضطر القوط إلى بيع أولادهم ونسائهم في العبودية من أجل قضاء ما عليهم من الضرائب؛ فاستاء القوط من معاملة الجنود الرومان، وكانت ردة فعلهم عنيفةً، فثاروا بوجه الرومان، ولم يكونوا وحدهم، وقد انضم للقوط عدد كبير من العبيد المضطهدين، وبعض أفراد الجيش البيزنطي الذين هم من أصول بربرية، وقد أوقع القوط مع من انضمّ إليهم من المتمردّين هزيمةً نكراء بالجيش الروماني، وقتل الإمبراطور **فالنز** Valens في معركة (**أدرنة** 378م)، عند مدينة أدرنة وكان

---

[1] **الهون**: قبائل بربرية فاقت في الإرهاب جميع العناصر التي تعاملت مع الإمبراطورية الرومانية، وأثناء تحركات الهون توقفوا زها نصف قرن في وسط أوروبا واضعين تحت نيرهم القوط الشرقيين والجبيدي Gepide وقابل الماركوماني Marcomani، وسلاف الجنوب، كان يحكمهم أتيلا Attil ابن موندزوك Mundzuk، وكان الرمز الديني لهم خنجر مغروس بالأرض، وأصل الهون من قبائل تركية مغولية، كانوا قد تحركوا في القرن الرابع الميلادي من منغوليا نحو الغرب فخضعت لهم القبائل القاطنة بين الغولغا والدون والقفقاز، تابعوا زحفهم نحو الغرب حتى وصلوا نهر الدانوب، فهرب القوط الغربيّون منهم وعبروا الدانوب إلى أراضي الرومان. للمزيد عن الهون: عمران، محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص80، فرح، نعيم فرح: تاريخ اوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص22، لانجر: موسوعة تاريخ العالم، 2/ 390- 392.

القوط بزعامة فيتجرن. خلف فالنز الامبراطور ثيودوسيوس (378- 395) الـذي أدرك خطر القوط فعقد معهم اتفاقية، لاسترضائهم، لأنـه رأى أنْ لا طائلـة مـن معاداتهم، وبذلك يصبح القوط معاهدين (Foederati) للامبراطور، وسـمح لهـم بالإقامة في شمال تراقيا (الشمال الشرقي من بلاد البلقان) وأعطاهم سلطة مطلقـة مقابل الخدمة العسكرية التي تعهدّ القوط بتقـديمها للامبراطـور، وأعفـاهم مـن الضرائب وكانت هذه الاتفاقية قد عقدت سنة 382هـ، وبذلك يبـدأ شـأن القـوط بالتواجد على الساحة السياسية كنقطة بدء للاستقلال، والعمل على تأسـيس ممالـك داخل الامبراطورية الرومانية دون أن يشعر الرومان بهم، وبقي القـوط يتمتعـون باستقلالية طابعهم وقوانينهم ومذهبهم الأريوسي، والمطلوب مـنهم هـو الخدمـة العسكرية في صفوف الجيش الروماني، وحراسة الحدود من الأخطار الخارجيـة، وبقي الأمر على ما هو عليـه حتـى عـام 395م عنـدما تـوفي الامبراطـور ثيودوسيوس، حيث جرت أحداث جديـدة علـى السـاحة السياسـية بـين القـوط والرومان[1].

بعد وفاة الامبراطور **ثيودسيوس** (Teodosio) سنة 395هـ؛ تقسّـمت الامبراطورية الرومانية بين ولديه: اركاديوس وكان في الثامنة عشرة من عمـره، وكان قليل الحجم بادئ الكآبة، أما **هنوريوس (هنريوس)** فكان عمره إحدى عشـر عاماً وكان قاصراً، عنيداً، قليل الكفاية، واعتلى إركاديوس القسـم الشـرقي مـن

---

[1] للمزيد عن هذه الأحداث انظر: فرح، نعيم فرح: تاريخ أوروبا السياسـي فـي العصـور الوسـطى، ص27- 28، عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص67-68، الشيخ: تاريخ أوروبـا فـي العصور الوسطى، ص90-92، العدوي، إبراهيم أحمد العدوي: المسـلمون والجرمـان، ص17-19، وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة، 2/ 393، عنان: دولة الإسلام فـي الأندلس 28/1/1، موس، سانت موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق، السيد الباز العريني، ص84- 85، حتاملة: أيبيريا ص 204.

Wallace- Hadrill: the Barbarian west. P.12. ostrogorsky: Histoire of the Byzantine state, p.48. Rofael Altamira: A Hist of Spain from the Muna Lee,m London 1952, p.76. Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 335.

الامبراطورية الرومانية، وكانت عاصمته القسطنطينية، أما القسم الغربي فقد اعتلاه هنوريوس وعاصمته روما، وكان هنوريوس في الغرب قد فوّض الأمور معتمداً على قائد وندالي قويّ يدعى ستليكو (ستيلخو) ومنحه تفويضاً تاماً من الناحية الحربية، واعتمد أخوه أركاديوس في الشرق على فتى طواشي يوناني يدعى يوتروبيوس (روفنيوس) [1]. خلال هذه الفترة انتهز القوط هذه الأحداث ونقضوا عهدهم الذي كانوا أبرموه مع ثيودوسيوس سنة 382م، وانتخبوا من بينهم ملك عسكري في الثلاثين من عمره وهو الاريك (**ألرك، الارك**) (Alaric)، وقاد القوط من تراقيا إلى مقدونيا واليونان وهم يدمّرون وينهبون ما يجدونه في طريقهم، واستولى القوط بعد مهاجمتهم اشنا وتساليا على كونشة واسبرطة، ورغم بعض الهزائم التي لحقت ألريك إلا أنهُ لم ينثنِ عن عزمِهِ وحماسه في صنع هيبة لقومِهِ، ومكاناً يسكنوهُ ويكن لهم مستقراً، بل بدأ يعد العدّة لغزو إيطاليا نفسها[2]. لم تكن القسطنطينية قادرةً على مقاومة خطر القوط، فكتب الامبراطور أركاديوس إلى أخيه **هنوريوس** في روما يستنجده، فبعث له بما لديه من القوات لصدِّ هجمات القوط بقيادة ألرك، وطردها من اليونان، عندها انسحب القوط من اليونان بوصول القوات الرومانية بقيادة **ستيليكو (ستيليخو)**، وذلك سنة 397م، واستقرّ تجمع القوط في جزيرة المورة، كان باستطاعة ستيليكو أن يطبق مجموعة على القوط الغربيين

---

(1) الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص92- 93، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص27- 28، عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص 68-69، وليام لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة 2/ 393، موسى، ميلاد العصور الوسطى، ص 85-86، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، 82/1/1. حتاملة: أيبيريا ص 205.

Hussey, J.M: The Byzant Word, London, 1987, p.14 , Caramona, D, Fransesco diaz, compendio de, historia de España, p.84

(2) عاشور: تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، ص69، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص29، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، 28/1/1، الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص93.

Vasiliev: the Byzantine Empire, Madison, 1952, Tome, I, p.116.

ويستأصل شافتهم لكنه لم يفعل، قيل (تعاطفاً منهُ مع القــوط لأن أصــله جرمــاني بربري، وأن يضع سلطات القسطنطينية وروما في موقف يكن هــو فيــه المنقــذ والمخلِّص، بعد أن بلغت شهرته الآفاق كقائد أعلى في جيش روما) [1] (فقد انحــى القديس جيروم باللائمة على سياسة ستيلكو وقال: إن كل ما أصاب روما لــم يكــن بسبب أباطرتها ولكن بسبب سياسة هذا الرجل الذي كانت تجري في عروقِهِ دمــاء نصف بربرية،

Not by the fault of traitor (Stilicho)… who with our crime of a half barbarian her emperors. But by the money has armel our agaiust us).[2]

وحتى يخلص أركاديوس القسم الشرقي من الامبراطورية من خطــر القــوط الغربيين، صالحهم ومنح زعيمهم الارك لقب قائد في الجيش البيزنطي (Magister Militun)، كما سمح لهم بالإقامة في القسم الشمالي من إيلِّيريا (تقع إيلِّيريــا إلــى الشرق من البحر الإدرياتيكي). وهكذا تخلص القسم الشرقي من الامبراطورية من خطر القوط الغربيين، ولكن هذا الأمر تمّ على حساب القسم الغربي الذي تعــرض لخطر القوط فيما بعد. ففي سنة 401 تحرك الأرك بجموعه نحو إيطاليــا، ولكــن ستيليكو أوقف زحف القوط الغربيين وتعهد بإعطائهم مساعدة مالية ســنوياً مقابــل امتناعهم عن مهاجمة إيطاليا، وكانت تصرفات ستيليكو (قائــد الجــيش الرومــاني البربري الأصل) مثاراً للشكوك بتآمره وتواطئه مع الأعداء، فاتهمــه امبراطــور روما (أونوريوس) بالخيانة وأعدمه سنة 408م[3].

---

[1] فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص28،

[2] الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص94- 95، نقلاً عن مقالــة القــديس جيــروم بعنــوان (The barbarian Traitor) في كتاب (The med World 1000-1300 by Cantor, p.11).

[3] للمزيد عن هذه الأحداث:

حتاملة: أيبيريا ص 206-207، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوســطى، ص28، مــوس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق، والسيد الباز العريني، ص86، لانجر: موسوعة==

وإذا كان القائد الذي أعدم بتهمة الخيانة قد استطاع رد القوط سنة 402م عن إيطاليا، فإن الأمور قد تغيرت بعد إعدامه سنة 408م، فكانت هذه الحوادث قد مهدّت الطريق ودخلوها سنة 410هـ واستباحوها وعاثوا بها فساداً[1]، وقد دخلوها من باب سالا ريو (Salario) بمساعدة أحد الخونة،وذلك أن زعيم القوط ألريك (الاريكو Alarico) قد صفت له الأمور بعد مقتل ستيلكو (ستيلجو Stilicon) وبدأ يضغط على روما، ويشطط في مطالبه، فيطلب من الامبراطور هونوريوس (أونوريوس) أن يعيّنه حاكماً على المنطقة الممتدة إلى الشمال من البحر الإدرياتيكي وأن يقدّم له سنوياً إعانات مالية. لكن هونوريوس (أونوريوس) رفض مطالبه وشروطه، وهذا ما دفع ألاريك من الزحف نحو إيطاليا، ودخول روما سنة 410م، ونهب ما فيها من الثروات، أما الامبراطور الروماني فقد هرب من المدينة[2].

على أنّ القوط لم يحدثوا مذبحةً بين الأهالي، كما أنّهم لم يحرقوا أو يتعرّضوا للكنائس على الرغمّ أنّهم على المذهب الأريوسي، ولم يلحقوا ضرراً بالآثار القديمة، فقد اقتصروا على حرق ونهب دور النبلاء في روما بما فيها من المال والمتاع والذخائر[3] وقد أسعفتنا بعض المصادر الإسلامية التي فيها توافق مع الرواية

== تاريخ العالم، تحقيق محمد مصطفى زيادة 393/2، عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص69- 70.

Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 336-337
Caramona, D, Fransesco diaz, compendio de, historia de Epaňa, p.83

(1) الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص93-94، العدوي: المسلمون والجرمان، ص21؛ موس: ميلاد العصور الوسطى، ص86، عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص70، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص28- 29.

Bury (J.B.): History of the Later Roman, Empire (London, 1923) Vol, I p.180.

(2) فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص28- 29، حتاملة: أيبيريا ص207.

(3) موس: ميلاد العصور الوسطى، ص86، عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص70، حتاملة: أيبيريا ص207.

Deanesly (m): A History of Early Medieval Europe, p.27- 28.
Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 336.

اللاتينية في حصار روما ودخولها. قال ابن الأثير من خلال حديثه عن الريق (ألاريكو): **(وكان زنديقاً شجاعاً،...، ونازل رومية وحاصرها وضيّق على أهلها ودخلها عنوةً وغنم أموالهم)**[1] وقال ابن خلدون: **(... حتى إذا انتقل القياصرة إلى القسطنطينية وفشل أمرهم برومة، زحف إليها هؤلاء القوط واقتحموها عنوةً فاستباحوها)**[2]. وكان لا بدَّ للقوط من الانسحاب من روما إلى جنوب إيطاليا، فأزمعوا على التوجّه نحو صقلية وشمال إفريقية، حيث الجهات الغنيّة بموارد وغلال القمح، واقترح ألاريك (الريك) عبور البحر ليصل إلى بلاد الغلال والقمح الذي يعد مستودعاً لروما، ومكاناً يستقرّ به شعبة بعد كل هذا الترحال والتشرد. لكن الرياح جرت بما لا تشتهي سُفنه، تحطمت سفنه وغرق أكثر أصحابه وكان هو ممن غرق حسب رواية ابن الأثير:**(... ثم جمع أسطول وسار إلى صقلية ليفتتحها ويغنم ما فيها فغرق أكثر أصحابه في البحر وهو غرق فيمن غرق)**[3] أما المراجع فتفيد بأنه مات في نهاية سنة 410م، دون الإفصاح أمات غرقاً أو غيره[4]، وبعد وفاة زعيم القوط الغربيين (الاريك، ألريكو) سنة 410م، خلفه أخوهُ أتولف على المُلك، فاتّفق مع الامبراطور (هو نوريوس، أونوريوس) على السماح لشعبه القوطي بالاستيطان في جنوب غرب غاليا (منطقة أكيتانيا) وهي المنطقة الممتدة من نهر اللوار حتى حدود البرانس، على أن يستخلصوا هذا الإقليم من خصوم الامبراطورية الرومانية، من الوندال واللالان والسويفي الذين كانوا تطرقوا إلى هذه الأقاليم العالية، وقد تزوج أوتولف من شقيقه الإمبراطور (كاالابلاسيدية)، وقيل أنه

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 4/ 120- 121.

(2) ابن خلدون: العبر، طبعة دار الفكر، 1981م، 2/ 281.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 4/ 121.

(4) للمزيد عن هذه الأحداث: حتاملة: أيبيريا ص 209، موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق، السيد الباز العريني، ص87، العدوي: المسلمون والجرمان، ص21، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص29، لانجر: موسوعة تاريخ العالم: ترجمة محمد مصطفى زيادة 2/ 394، عنان: دولة الإسلام 1/1/29،

Oman: the Dark Ages (London, 1949)< p.7.

تزوجها على كرهٍ من أخيها هونوريوس وفقاً للطقوس الرومانية، وانخرط القوط في صفوف الجيش الروماني، وفي سنة 412هـ زحف أتولف (Ataùlfo) على بلاد الغال (غاليش Gaul, Galia جنوب فرنسا وشمالي إسبانيا)، وسيطر على الشطر الشمالي منها، لكن العلاقات ما لبثت أن ساءت بين أتولف والامبراطور هونوريوس، ربّما بسبب إقدام الأول على الزواج من أخت الثاني، وقام الاسطول الروماني بمحاصرة شواطئ الغال المطلة على البحر المتوسط وقطع الغلال عن القوط، مما اضطر أتولف من مغادرة بلاد الغال نحو إسبانيا حيث توفي سنة 415هـ[1].

وقد أوردت الرواية الإسلامية شذوراً عن هذه الأحداث، من خلال الحديث عن أتولوف، الذي يسميه ابن الأثير أطلوف. قال: (**ثم ملك بعدهُ أطلوف ست سنين وخرج عن بلد إيطالية وأقام ببلد غاليس**[2]**. مجاوراً أقصى الأندلس، ثم انتقل بعدها إلى برشلونة**)[3]، وقال ابن خلدون من خلال حديثه عن أريك بعد أن دخل رومة: (**ثم خرجوا عنها أيام طُوُوشيش بن أركادش**[4]**، بعد حروبٍ كثيرة، وكان أميرهم لذلك أنطرك كما ذكرناه، ومات بعهد طودوشيش وأراد أن يجعل اسمه سمة الملوك برومة منهم مكان سمة القيصر، فاختلف عليه أصحابه في ذلك فرجع عنهُ، ثم صالح الرومانيين على أن يكون له ما يفتح من بلاد الأندلس لما**

---

[1] للمزيد عن هذه الأحداث انظر: (عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص70، العدوي: المسلمون والجرمان، ص21– 22؛ فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص29، الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص65–66، موس: ميلاد العصور الوسطى، ص87–88، لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة 2/ 394، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، 1/1/ 29، طرخان: دولة القوط الغربيين ص 86–87، حتاملة: أيبيريا ص209–210.

[2] غاليس: غاليش بلاد الغال.

[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ 121/4.

[4] يعني الامبراطور الروماني هونوسيوس بن أركادس.

كان أمر الرومانيين قد ضعف عن الأندلس ولحق بها ثلاث طوائف من الغريقيين فاقتسموا ملكها وهم الأبيون[1]، والشوابيّون[2] والقندلس[3])[4].

بعد وفاة زعيم القوط أتولف في إسبانيا، خلفه واليا (415- 418م)، وقد تولى خلال هذه الفترة (416هـ) الحكم كذلك سيجريك، وقد استطاع واليا Walia ملك القوط الجديد أن يطرد السويفي إلى الجزء الشمالي الغربي من إسبانيا، وأن يدحر الوندال إلى جنوبي نهر أبرو، وبذلك يتمكن والياً من الاستقرار سنة 418م/ 419م في الجزء الجنوبي من غاليا، وتمتد من تولوز على نهر الجارون إلى إسبانيا التي طردوا منها الوندال سنة 429م، كانت وفاة واليا سنة 419م، وقد خلفه تيو دو ريدو (Tedodoredo) على الملك والذي حكم هو وأربعة من أولاده فترة أمتدت ستة وستون عاماً، فعمل على توسيع مملكته في أربونة ووقع معاهدة جديدة مع القائد الروماني أيثيو (Aecio) ، وكان قد انتزع عدة مدن من الرومان سنة 436م، وألحق بهم هزيمة سنة 439م، ومن ثم ساد السلام بينهم، وكانت وفاته سنة 451هـ، أثناء حربه مع الهون، فخلفه في حكم القوط ثيودريك الثاني (451- 465م)؛ فحارب الوسيفي في شمال غرب إسبانيا، ووصلت حدود مملكة القوط في عهده حتى نهر اللوار، وقُتل بواسطة أخيه أيورك (465- 484) الذي يعتبر أقدر

---

[1] الأبيون: الآلان.

[2] الشوّابيون: السوابيون.

[3] القندلش: الوندال.

[4] ابن خلدون: العبر 2/ 281، طبعة دار الفكر، بيروت- لبنان، 1981م، وقد أورد ابن خلدون نصّاً آخر حول حكم القوط لإسبانيا بعد خروجهم من روما قال: **وكان هذا القطر الأندلسي من العدوة الشمالية عن عدوة البحر الرومي، وبالجانب الغربي منها يسمى عند العرب أندلوش، وتسكنه أمم من إفرنجة المغرب أشدّهم وأكثرهم الجلالقة، وكان القوط قد تملكوه وغلبوا على أمره لمئين من السنين قبل الإسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها رومة. ثم عقدوا معهم السلم على أن تنصرف القوط إلى الأندلس، فساروا إليها وملكوها. ولما أخذ الروم واللطينيون لبسلة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من أهل إفرنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة وكانت دار ملكهم)** ابن خلدون: العبر، 4/ 146، طبعة دار الفكر، بيروت- لبنان، 1981م.

ملوك القوط الغربيين في إسبانيا، وتجمع المراجع على أن أيورك (يورك، يوريك، أيوريكو Eurico) هو أعظم ملوك القوط وأقدرهم، ففي عهده قضي علـــى النفـــوذ الروماني في إسبانيا وأخضع السويف، وكان أول من وضـــع مجموعـــة للقـــانون الجرماني عرفت باسم (Amtiqua)[1].

ثم تتابع ملوك القوط في إسبانيا، وسيطروا على معظمهـــا، وكـــان لمدينـــة طُليطلة الشأن العظيم في عهد ملوك القوط، وقد اختاروا في بداية أمـــرهم مدينـــة ماردة كعاصمةٍ لهم في عهد الملك أجيلا Agila، (549–554م)، وعندما ثار عليه أهل قرطبة خرج لقتالهم من ماردة ففرّ منهزماً وعادَ إلى مقرّه ماردة فثـــار عليـــه (أتانا جليدو Atanagildo) (554–567)، عامله على مدينة إشبيلية، وقد نجح في استمالة أهل قرطبة إلى صفوفه، وعاونه الامبراطور الرومـــاني جســـتيان وأمـــدَّه بجيش، وانهزم أجيلا أمام هذه الجموع وكرَّ عائداً إلى ماردة، حيث قتله أحد أتباعه سنة 554م، ثم تولى مُلك القوط عامل إشبيلية أتانا جليدو (خليدو) حتى سنة 567م، فخلفه ليو فيخلدوا (ليوف الأول) سنة 568م؛ وفي عهده بـــرزت مدينـــة طليطلـــة كعاصمةٍ لدولة القوط، وانتقلت حاضرة دولة القوط الغربيين من مـــاردة Merida إلى طليطلة (Toledo)، وازداد شأنها وارتفعت إلى الـــذروة، وحضـــيت باهتمـــام ملوك القوط منذ ذلك العهد، فهي دار ملكهم، ومكان مشورتهم، فأقبل ملوك القـــوط على التوالي بتنميق عمائرها، وتزيين مغانيها، وزوّدوها بجليل الآثار ورفيع البنيان وعرفت منذ ذلك الحين بالمدينة الملكية (Ciudad Regia) [2] وبقيت طليطلة تتمتع

---

[1] ابن الأثير: الكامل 4/ 121 حيث ذكر لنا اسم ملك القوط والياً الذي خلف أتولف فحســـب، عاشـــور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص71، لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمـــد مصـــطفى زيادة، 2/ 395– 396، موس: ميلاد العصور الوسطى، ص87–88، العدوي: المسلمون والجرمـــان، ص22–23، سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص52، حتاملة: أيبيريا ص 210–214.
Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 341-342
Bury (j.B): History of the later Roman Empire Vol, I, p.341.

[2] للمزيد عن هذه الأحداث انظر: (طرخان، إبراهيم علي طرخان: دولة القوط الغربيين، طبعة القـــاهرة، 1958م، ص 94–103، حتاملة: أيبيريا ص 229– 234، سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام فـــي==

بمكانتها عند ملوك القوط حتى سنة 710م عندما دخلت طلائع الفاتحين المسلمين، وكان لذريق هو آخر ملوك القوط الذي قتله المسلمون في معركة وادي لكة سنة 92هـ/ 711م.

قال ابن حيّان: (**وكانت قاعدة ملوك القوط آخر الأمم الذين تملكوا بلاد الأندلس حتى دخلت العرب عليهم**)[1] وقال ابن خلدون: (**وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة وكانت دار ملكهم**)[2]. **وقال القلقشندي: (وبها كرسي لذريق آخر ملوك القوط)**[3]، ولم يلبث تاريخ إسبانيا، منذ أن نبذ الملك ريكاريدو (586-601م Recaredo) المذهب الآري واعتنق المسيحية؛ أن أصبح جزءاً لا يتجزأ من تاريخ طليطلة عاصمة البلاد ففي سنة 589 م افتتح ريكاريدو بنفسه المجمع الديني الثالث الذي عرف بمجمع طليطلة الثالث وحضره اثنان وستون أسقفاً من إسبانيا وغالة وأربونة ووجه الملك القوطي رسالته في هذا المجمع بأن يتحول الشعب القوطي إلى الكاثوليكية، وأعلن إبطال مذهب أريوس. وشهدت المدينة الملكية أحداث العهد القوطي من خلافات بين ليوفيخيلدو (Leovigildo) وهو منخلدو (Hermenegildo) ومساوئ حكم فيتيريكو (Witerico) الذي قد اغتصب العرش وحاول إعادة الأريوسية، لكنه فشل وقام أهل طليطلة بثورة عليه وقتلوه سنة 610م وكذلك غيطشة (Witza)، وأقيم بها في هذا العصر كثير من البازيليكيات

==الأندلس، ص51-52، الشيخ: الممالك الجرمانية في العصور الوسطى، الاسكندرية، 1975م، ص56-74، حسين حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص3-4.

Bradley (H.): the coths from the earliest times to the end of cothic dominion in spain, London, 1887, p.318- 320. Deanesly (M.): A Hisotyr of Early Medieval Europe, London, 1956, p.29- 30.

Aguado Bleye: Historia de Espana, p.348- 349.

(1) ابن حيان: المقتبس 5/ 278.

(2) ابن خلدون: العبر، طبعة دار الفكر 4/ 146.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 227- 228.

والكنائس: مثل كنيسة سانتا ماريـــا (Santa Maria) وســـانتا ليوكاديـــا (Santa Leocadia) وسان بدرو (San Pedro) وازدهرت فيها العلوم والآداب.

وكان من أجل علمائها كوناثيو (Conancia) والقديس الدفنسو (Ildefenso) وأيوخينو الثالث (Eugenio III). واجتمعت في طليطلة المجالس العلمية الشهيرة، وأثرت في عهد القوط ثراء لم تشهده من قبل، يدل على ذلـــك عظـــم مـــا غنمـــه المسلمون عند فتحهم لها[1].

وهنالك بعض المعلومات عن طُليطلة زمن القوط قـــد أوردتهـــا المصـــادر الإسلامية، نوردها هنا إنْ شاء الله ولها الفائدة، رغم عدم وضـــوحها وتفصـــيلها، وربّما الخلط أحياناً، قال ابن الأثير من خلال حديثه عـــن الملـــك القـــوطي لويـــد: **(...وهو أول من اتخذ طليطلة دار ملكٍ ونزلها ليكون متوسطاً لملكه ليحارب من خرج عن طاعته عن قريب)** [2]. وعند حديث ابن حيّان عن الملك القوطي فانبـــه[3] يقول: **(... كانت لدولتِهِ غضارة وبهجة وهو الذي زيّن كنائس طليطلـــة، وأتقـــن بنيانها، ونقش الرخام على أبوابها)** [4].

---

[1] طرخان: دولة القوط الغربيين ص 106-107، حتاملة: أيبيريا ص 239، 242، ســـالم: فـــي تـــاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص52.

Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 351

[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ 121/4.

[3] فانبَه: ورد عند ابن الأثير: (بنيان) وكانت مدته ثمانية أعوام. ابن الأثير: الكامل في التاريخ 4/ 121، وعند ابن خلدون: (قنتيان) وقال: وبنى الكنائس. ابن خلدون: العبر 4/ 180، وورد عنده كـــذلك فـــي الجزء الثاني: (مانبه) وقد حكم ثمانية أعوام، ابن خلدون: العبر 2/ 283، وعند القلقشندي: (بانبه) وقد حكم ثمانية أعوام. القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 240، على أن جميع هذه المصادر اتفقت علـــى مـــدة حكمه وهي ثمانية أعوام. أما في الروايات الأجنبية فقد ورد اسمه: (وامبا) وقد حكم من ســـنة 672-680م، وهنا توافق تام بالفترة الزمنية ولفظة الاسم تقريباً.

[4] ابن حيّان: المقتبس 5/ 275.

ملوك القوط الغربيين (Visigoth) **في إسبانيا** (**الأندلس**)

أوردت الروايات الإسلامية من خلال مصادرها، أسماء ملوك القوط الـذين تداولوا على ملك الأندلس؛ لكن هذه الروايات فيها الكثير مـن الخلـط والتنـاقض وخاصةً في لفظ أسماء الملوك، وفترة حكمهم، هذا قياساً مـع بعضـها الـبعض، وهناك اختلاف مع الروايات اللاتينية، الأجنبية المترجمة والمنقـول عنهـا. وقـد وجدتُ أنَّ رواية ابن الأثير هي أقرب الروايـات للروايـات اللاتينيـة/ الأجنبيـة المترجمة والمنقول عنها، ثم تليها رواية العلامّة ابن خلـدون والـذي ينقـل عنـه بتصرّف القلقشندي في كتابه صبح الأعشى، أمّا رواية ابن حيّان فهي قصيرة وفيها بعض الخلط، ولذلك سأعمل جدولاً يبيّن أسماءهم على مختلف الروايات وأقارنه مع الرواية اللاتينية/ الأجنبية والمنقول عنها مع بيان الفروق في لفظة الاسـم وفتـرة الحكم الزمنية. أما عدّة ملوك القوط الغربيين (Visgoths) في إسبانيا؛ فقد أجمعت المصادر الإسلاميّة أن عدتّهم ستةٌ وثلاثون ملكاً، قال ابن حيّان: (**فوقع في تاريخ العجم أنَّ عدة ملوك هؤلاء القوط بالأندلس من عهد أتانا وبينوس الذي ملك فـي السنة الخامسة من مملكة فليش القيصري لمضي أربعمائة وسـبع مـن تـاريخ الصفر المشهور عند العجم إلى عهد لذريق أخرهم الذي ملك في السنة التاسـعة والأربعين وسبعمائة من الصفر، وهو الذي دخلت عليه العرب فأزالت دولة القوط، ستة وثلاثون ملكاً**)[1] وقال البكري: (وعدد من ملك منهم إلى آخرهم وهو لـذريق ستة وثلاثوناً ملكاً)[2].

وقد اختلفت المصادر الإسلامية في مدة وجودهم في إسبانيا (الأندلس)، فعند ابن خلدون روايتان. الأولى: أنّهم أقاموا في بلاد الأندلس مئتين سنة، والثانية أنّهـم أقاموا أربعمائة سنة. قال ابن خلدون: (**وكان القوط قد تملّكوه وغلبوا على أهلـهِ**

---

[1] رواية ابن حيّان عند المقري: نفح الطيب 1/ 139.

[2] الحميْري: الروض المعطار، ص34، صفة جزيرة الأندلس، ص6، القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 241 نقلاً عن الحميْري.

لمئتين من السنين قبل الإسلام) [1]. وقال في موضع آخر: (**وأقاموا كذلك نحواً من أربعمائة سنة إلى أنْ جاء الله بالإسلام والفتح**)[2]. وعند ابن حيّان أنّهم أقاموا في بلاد الأندلس ثلاثمائة واثنتانِ وأربعون سنة. قال ابن حيّان: (**وأنَّ مدة ملكهم بالأندلس ثلاثمائة واثنتانِ وأربعون سنة**) [3]، غير أنَّ ما ورد بالمراجع اللاتينية والأجنبية المترجمة والمنقول عنها؛ يفيد بأنَّ دولة القوط في بلاد إسبانيا (الأندلس) قد بدأت في عهد الملك القوطي أتولفَ، والذي تسميّه المصادر الإسلامية: (أطلوف[4] أدلوف)[5]، والذي خلف أخاه ألاريك، (ألريك)، وكان ذلك سنة 410م بعد أن كان ألاريك قد حاصر روما، ثم دخلها واستباحها ثلاثة أيام، وكانت وفاة ألاريك في نهاية عام 410هـ، بعد أن كان قد أعدّ أصولاً لغزو صقلية وافر يقيه، لكن الأسطول تحطّم وغرق الكثير من جيشه وقيل أنه كان ممن غرق، حيث خلفه أخوه أتولف الذي اتّفق مع الإمبراطور هونوريوس على السماح له ولشعبه بالاستيطان غرب غاليا (منطقة أكتبانيا وهي المنطقة الممتدة من نهر اللوار حتى حدود البرانس، الجزيرة الإلبيرية، إسبانيا)، لكنّها كانت تسكنها شعوب من الوندال والسويفي، واللان، ثم ما لبثت أن ساءت العلاقات بين أتولف والقيصر الروماني بعد أن تزوج من أخت القيصر دون رضاه، وحاصر الرومان شواطئ الغال، وقطعوا عنهم غلال القمح، فتوجه أتولف إلى إسبانيا وتوفي هناك سنة 415م[6].

---

[1] ابن خلدون: العبر 4/ 146، طبعة دار الفكر، بيروت- لبنان، 1981م، المقري: النفح 1/ 147.

[2] ابن خلدون: العبر 4/ 146، طبعة دار الفكر، بيروت- لبنان، 1981م.

[3] المقري: نفح الطيب 1/ 139 نقلاً عن ابن حيّان.

[4] ابن الأثير: الكامل في التاريخ 4/ 120- 121.

[5] ابن خلدون: العبر 2/ 281، طبعة دار الفكر، بيروت- لبنان، 1981م.

[6] للمزيد: ابن الأثير: الكامل في التاريخ 4/ 120- 121 في خبر قصير، ابن خلدون: العبر 2/ 281- 282 في خبر غير واضح تماماً فيه بعض الخلط.

عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص70، العدوي: المسلمون والجرمان، ص21- 22، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص87- 88، لانجر: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة 2/ 394، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، 29/1/1.

ومن هذا التاريخ سنة 415هـ كانت بداية دولة القوط في إسبانيا، والتي انتهى عهدها سنة 711م تقريباً بدخول العرب إليها فاتحين، وبذلك تكون مدتهم منذ دخولهم حتى بدايات الفتح ونهاية دولتهم ما يقرب من ثلاثمائة عام.

ثبت بأسماء ملوك القوط الغربيين (Visigoth) في إسبانيا (الأندلس) حسب الروايات الإسلامية. رواية ابن الأثير وهي الرواية الأكثر توافقاً مع الرواية اللاتينية الأجنبية المترجمة والمنقول عنها[1]

	اسم الملك القوطيّ	مدة حكمه بالسنوات
.1	لذريق	ثلاثة عشرة سنة
.2	أقريط	
.3	أماريق	
.4	وغيش	
.5	ألريق[2]	
.6	أطلوف[3]	ست سنين
.7	واليا[4]	ثلاث سنين
.8	بورداريش[5]	ثلاث وثلاثين سنة

(1) هذه رواية ابن الأثير في كتاب الكامل في التاريخ 4/ 120- 121، وهي تتوافق مع الروايات اللاتينية والأجنبية، المترجمة والمنقول عنها في بعض الأسماء، وفتراتهم الزمنية لحكم القوط في الأندلس.

(2) ألريق: وهو: (ألاريك، ألارك، ألرك Alaric)، وهنا توافق مع الرواية اللاتينية، الأجنبية وهو الذي قاد القوط وحاصر روما ودخلها سنة 410هـ، ثم توفي آخر العام. (عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص69، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص29، الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص93؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس 28/1/1 Vasiliev: the Byzantine Empire, tomI, p.11

(3) أطلوف:وهو أتولف،وهنا توافق كذلك حيث حكم ست سنين،وعلى الرواية الأجنبية كذلك(410-415م).

(4) واليا: وهنا توافق تام بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم ثلاث سنين (415- 418م).

(5) بورذاريش: وهو ثيودريك الأول: وهنا توافق بالفترة الزمنية حيث حكم ثلاث وثلاثين سنة، (419-451م).

اسم الملك القوطيّ		مدة حكمه بالسنوات
9.	طرشمند	
10.	لذريق[1]	ثلاث عشرة سنة
11.	أوريق[2]	سبع عشرة سنة
12.	الريق بطلوشة[3]	ثلاث وعشرين سنة
13.	عشليق	
14.	أمليق	سنتين
15.	توذيوش	سبع عشر سنة وستة
16.	طودتقليس	سنة وثلاثة أشهر
17.	أثلة	خمس سنين
18.	أطلنجة	خمس عشرة سنة
19.	ليوبا[4]	ثلاث سنين

[1] لذريق: وهو ثيودريك الثاني، وهنا توافق بالفترة الزمنية حيث حكم ثلاث عشرة سنة (451- 465م).

[2] أوريق: وهو أيورك وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم سبع عشرة سنة (466- 283م).

[3] الريق:وهو الرك الثاني،وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم ثلاث وعشرين سنة(483-506م).

[4] ليوبا: وهو ليوفا الثاني، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم ثلاث سنين (601-603م).

.20	لويلد	
.21	ركرد	
.22	ليوبا	
.23	بتريق	
.24	غندمار	سنتين
.25	سيسيموط[1]	تسع سنين
.26	ركريد[2]	
.27	شنتله[3]	
.28	شنند[4]	خمس سنين
.29	خنتله[5]	ست سنين
.30	خندس	أربع سنين
.31	بنبان[6]	ثمان سنين
.32	أروى[7]	سبع سنين
.33	أبقه[8]	خمس عشرة سنة
.34	غيطشة[9]	كانت ولايته سنة 82هـ
.35	رذريق[10]	

---

(1) سيسموط: وهو سيسبوت وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم تسع سنين (612- 620م).

(2) ركريد: وهو ركاد الثاني، لم يذكر ابن الأثير فترة حكمه، وقد حكم (620-621).

(3) شنتله: وهو سونثيلا، لم يذكر ابن الأثير فترة حكمه وقد حكم (620-631م).

(4) شنند: وهو سيساند، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم خمس سنين (631- 636م).

(5) خنتله: وهو خنزيلا وهنا توافق بالأسم والفترة الزمنية تقريباً، إلاّ أن ابن الأثير ذكر أنــه حكــم ســت سنين، وفي الروايات اللاتينية الأجنبية (636- 640م).

(6) بنبان: وهو وامباء وهنا توافق بالاسم والفترة تقريباً حيث حكم ثمان سنين (672- 680م).

(7) أروى: وهو أريوج، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية، حيث حكم سبع سنين (680- 687م).

(8) ابقه: وهو إجيكا وقد اختلف الاسم وتوافق الزمن، حكم خمس عشرة سنة (687-701م).

(9) غيطشة: وهو وترا (Wetza)، وقد حكم تسع سنين (701-710م).

(10) رذريق: وهو رودريك (Rodrigo) وهو آخر ملوك القوط الذي دخل المسلمون عليه.

أسماء ملوك القوط الغربيّين Visigoths في إسبانيا[1] حسب الروايات اللاتينية والأجنبية المترجمة والمنقول عنها

اسم الملك القوطي	الفترة الزمنية	
	من	إلى
أتولف Ataulfo	410م	415م
واليا، وسِجريكو (416م) Walia	415م	419م
ثيودريك الأول (تيودوريدو Teodoredo)	419م	451م
توريسموندو(Turismundo)	451م	454م
ثيودريك الثاني (تيودوريك Teodoreco)	454م	465م
أيورك (يوريك Eurico)	465م	483م
ألرك الثاني (ألريكو AlaricoII)	483م	506م
خيساليكو (Gesaleico)	506م	509م
أمالاريكو وثيودريك (Amalarico , Teodreco)	509م	522م
أمالاريكو بمفرده (Amalarico)	522م	531م
تيوديس (تيوديسيلو Teudis)	531م	548م

[1] هذا ثبت بأسماء ملوك القوط في إسبانيا، من تاريخ خروجهم من روما سنة 410م بعد أن دخلوها واستباحوها، وحتى نهاية دولتهم على أيدي الفاتحين من أبطال المسلمين بقيادة طارق بن زياد سنة 93هـ/ 711م، وكانت طليطلة حتى عهد رودريك هي عاصمتهم ودار ملكهم. للمزيد: (حتاملة: أيبيريا ص 202 –255، طرخان: دولة القوط الغربيين ص 136–139،عاشور: تاريخ العصور الوسطى ص70، 71، 668، الشيخ: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص93– 97، فرح: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص28– 29، العدوي: المسلمون والجرمان، ص19– 23، موس: ميلاد العصور الوسطى، ص85– 89، عمران، محمد سعيد عمران: معالم تاريخ العصور الوسطى، ص326، أرسلان، شكيب أرسلان: الحلل السندسية 1/ 177، لانجر: موسوعة تاريخ العالم 2/ 392– 396.

Caramona, D, Fransesco diaz, compendio de, historia de Epaňa, p.83-114
Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 338-355

اسم الملك القوطي	الفترة الزمنية	
	من	إلى
ثيوديجزل (تيوديسيليو Teudiselo)	548م	549
أجيلا (أخيلا Agila)	549م	554م
أثانا جلدا (أتانا خيلدو Atanagildo)	554م	567م
ليوفا الأول (لوفا Liuva)	567م	572م
ليونيجلدو (ليوفيخيلدو Leovigildo)	572	586م
ركارد الأول (ريكاريدو Recarad)	586م	601م
ليوفا الثاني (Liuva II)	601م	603م
وتريخ (فيتيريكو Viterico)	603م	610م
جوندمار (غونديمارو Gundemaro)	610م	612م
سيسيبوتو (Sisebuto)	612م	620م
ركادو الثاني (ريكاريدو الثاني RecaradoII)	620م	621م
سونتيلا (Suintiala)	621م	631م
سيسناندو(Sisenado)	631م	636م
خنزيلا (كنتيلا Khintila)	636م	640م
تولجا (Tulga)	640م	641م
خندا شفنتو(Khindasvinto)	641م	652م
ريثيسفنتو(Rececvinto)	652م	672م
وامبا (Vamba)	672م	680م
ارفيخيو(Ervigio)	680م	687م
إجيكا (أخيكا Egica)	687م	701م
وتزا (غيطشة Witiza)	701م	709م
رودريك (لذريق Lodrigo)	709م	711م

ثبت بأسماء ملوك الغربيين Visigoth حسب ما ورد في الروايات الإسلامية مقارنةً بالروايات اللاتينية/ الأجنبية المترجمة والمنقول عنها[1]

رواية ابن الأثير	الفترة الزمنية بالسنة	رواية ابن خلدون	الفترة الزمنية بالسنة	رواية القلقشندي	الفترة الزمنية بالسنة	الروايات اللاتينية والأجنبية المترجمة والمنقول عنها	الفترة الزمنية	
لذريق	13	أطفانش		أطفالش		أتولف	410م	415م
أقريط		طشريك		طشريك		واليا، وسجرريكو (416م)	415م	418م
أماريق		ماسته	3	تاليه	3	ثيودريك الأول	419م	451م
وغيش		لذريق	13	لُذريق	13	ثيودريك الثاني	451م	465م
ألريق		طورديق		ورقيش	17	أيورك	466م	483م
أطلوف	6	أدلوف	17	الريك	23	ألرك الثاني	483م	506م
واليا	3	الديك	23	اشتريك بن طودريك	5	أمالرك وثيودريك	506م	522م
بورزادريش	33	طورديك		بشليقش	4	أمالرك بمفرده	522م	531م
طرشمند		أشتريك	5	طودريق	16	ثيوديس	531م	548م
لذريق	13	بشليقش	4	أملريق	5	ثيوديجزل	548م	549م
أوريق	17	طودريق	13	طودش	13	أجيلا	549م	554م
الريق ببطلوشه	23	طودشكل	2	طود شكل	2	أنانا جلدا	554م	567م
عشليق		أيله	5	أيله	5	ليوفا الأول	567م	572م
أمليق	2	طنجاد	15	طنجاد	15	ليونيجلدا	570م	586م
توديوش	17 وستة أشهر	أُيولَه	1	ليوبة	1	ركارد الأول	586م	601م
طودنقلس	سنة	لوبليذة	18	لوبيلذة	18	ليوفا الثاني	601م	603م

---

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ 4/ 120- 121، وروايته أقرب الروايات الإسلامية إلى الروايات اللاتينية/ الأجنبية المترجمة والمنقول عنها في المراجع العربيّة، ابن خلدون: العبر 2/ 280- 283، طبعة دار الفكر، 1981م، وفيها كثير من الخلط، 180/4 نقلاً عن ابن حيان حيث ذكر أنّ أولهم شنتيلة وقد ذكر منهم ثمانية ملوك فقط، القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 238- 241، وربّما كان ينقل عن ابن خلدون للتوافق الكبير، ابن حيّان: المقتبس 5/ 274- 276.

رواية ابن الأثير	الفترة الزمنية بالسنة	رواية ابن خلدون	الفترة الزمنية بالسنة	رواية القلقشندي	الفترة الزمنية بالسنة	الروايات اللاتينية والأجنبية المترجمة والمنقول عنها	الفترة الزمنية	
	وثلاثة أشهر							
أتله	5	زدريق	16	رُذريق	16	وتريخ	603م	610م
أطلنجه	15	لُيبوية	2	ليويه	2	جوندمار	610م	612م
ليوبا	3	تبديقا عندمار	2	بتريق	7	سيسيبوت	612م	620م
لويلد		شيشوط	8	عندمار	2	ركاد الثاني	620م	621م
ركرد		زدريق	3 أشهر	شيشوط	8	سونثيلا	621م	631م
ليوبا		شتله	3	رذريق	ثلاثة أشهر	سيسناند	631م	636م
بتريق		سنشادش	5	شنتله	3	خنزيلا	636م	640م
عندمار	2	خنشوند	7	ششنادش	5	تولجا	640م	641م
سيسموط	9	جنشوند	23	خَنشوند	7	خندا رونت	641م	652م
ركريد		مانيه	8	جنشوند	23	ركونث	652م	672م
شنتله		لوري	8	بانيه	8	واميا	672م	680م
شنند	5	أيقه	16	لورى	8	إرويج	680م	687م
خنتله	6	عطسة	14	أيقه	16	إجيكا	687م	701م
حندس	4	زدريق	2	غطسه	14	وترا	701م	710م
بنيان	8			لذريق	2	رودريك	710م	711م
أروى	7							
أبقه	15							
غيطشه	15							
رذريق								

الفَصْلُ الثَّانِي

الباب الأول

طُلَيْطُلة من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأموية بالأندلس (93هـ/ 711م- 400هـ/ 1009م)

❖ فتح طُلَيْطُلة 93هـ/ 711م

❖ طُلَيْطُلة في عهد الولاة (95هـ/ 714م- 138هـ/ 756م)

❖ طُلَيْطُلة في عهد الإمارة (138هـ/ 756م- 300هـ/ 912م)

- عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) (138هـ/ 755م- 172هـ/ 788م)
- عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الرضي (172هـ/ 788م- 180هـ/ 796م).
- عهد الأمير الحكم بن هشام الربضي (180هـ/ 796م- 206هـ/ 822م)
- عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط (206هـ/ 822م- 238هـ/ 852م).
- عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (238هـ/ 852م- 273هـ/ 886م).
- عهد الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن (273هـ/ 886م- 275هـ/ 888م).
- عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (275هـ/ 888م- 300هـ/ 912م).

طُليطُلة من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس

(93هـ/ 711م- 422هـ/ 1030م)

فتح طُليطلة:

أجمعت المصادر التاريخيّة علـى أنّ الملـك غيطشـه (Witiza) (701- 709م) كان يحكم طُليطلة قُبيل الفتح الإسلامي، والذي استولى لُذريق (Rodrigo) على الحكم بعد وفاته، وفي عهد لذريق هذا كان دخول طارق بن زياد إلـى بـلاد الأندلس عامةً وطُليطلة خاصةً، ولذريق لم يكن من أبناء الملـوك لكنـه اغتصـب الحكم من أبناء الملك غيطشة لحداثةِ سنّهم آنذاك، وقد استمال طائفةً مـن الرجـال مالوا إليه وساعدوه على انتزاع الحكم، ولذريق هو آخر ملوك القـوط فـي بـلاد الأندلس، وفي عهده كانت طليطلة ما زالت عاصمتهم ودار ملكهم[1]. والآن نسوق خبر دخول طليطلة كما أوردته المصادر التاريخيّة: قال المقري: **(قال الـرّازي:... وقال يليان لطارق: قد فضضت جيوش القوم ورعبوا، فاصمد لبيضتهم، وهـؤلاء أدلّاء من أصحابي مَهَرة، ففرّق جيوشك معهم في جهات البلاد، واعمد أنت إلـى طليطلة حيث معظمهم، فاشْغِل القوم عن النظر في أمرهم والاجتماع إلـى أولـي رأيهم، فَفرّق طارق جيوشه من استجه،... وسار هو في معظم الناس إلى كـورة جيّان يزيدُ طُليطلة...)**[2]. بعد أنْ فتح الله معظم البلادَ على المسـلمين، وانتصـر المسلمون بقيادة طارق بن زياد على لذريق وشرذمته في معركة وادي لكة؛ أشـار عليه يُليان النصراني سابق الذكر من خلال حديثنا عن فتح الأندلس؛ بـأن يقصـد

---

[1] ابن القوطيّة: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 29-30، طبعة دار الكتاب اللبنـاني مـن تحقيـق إبـراهيم الأنباري، ابن عِذاري: البيان المُغرب 4/2-7، ابن خلدون: العبر 140/4- 142، طبعـة دار الكتـب العلمية، ابن الأثير: الكامل 121/4- 122، عبدالواحد المراكشي: المعجب، ص20- 21، الحِميَـري: صفة جزيرة الأندلس، ص6-8، المقري:نفح الطيب 248/1- 249.

[2] المقري: نفح الطيب 1/ 260- 261.

العاصمة طليطلة قبل أن يدركوا بعضهم، ويجتمعُ رأيهم، حيث قصدها طارق بنفسه مع جيشه.

قال ابن حيّان بهذا الشأن: **(وانتهى طارق إلى طُليطُلة دارِ مملكة القوط، فألفاها خاليةً قد فرّ أهلها عنها، ولجأوا إلى مدينةٍ بها خلف الجبل، فضمَّ اليهود إلى طُليطلة، وخلّف بها رجالاً من أصحابه ومضى خلف من فرَّ من أهل طُليطلة، فسلك إلى وادي الحجارة، ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سمّي به بعد، فبلغ مدينة المائدة[1]، وهي المنسوبة لسليمان بن داوود عليهما السلام ... ثم مضى إلى المدينة التي تحصّنوا فيها خلف الجبل، فأصاب بها حُليّاً ومالاً، ورجع ولم يتجاوزها إلى طليطلة سنة ثلاث وتسعين (93هـ/ 711م). وقيل أنه لم يرجع، بل اقتحم جليقيّة واخترقها حتى انتهى إلى مدينة استرقه، فدوّخ الجهة، وانصرف إلى طليطلة، والله أعلم)**[2].

---

(1) تقع مدينة المائدة على مقربة من قلعة عبدالسلام، وقلعة عبدالسلام تعرف اليوم بقلعة هنارس (Al.calã Henares) (ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص82، الحاشية رقم1، حسين: حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص7.

(2) المقري: نفح الطيب نقلاً عن ابن حيّان 264/1– 265، وللمزيد انظر: ابن عذارى: البيان المُغرب 12/2، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ص35، طبعة دار الكتاب اللبناني من تحقيق إبراهيم الأبياري، الحِمْيري: صفة جزيرة الأندلس، ص132– 134، الروض المعطار، ص394، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 123/4، 128، الطبري: تاريخ الأمم 4/ 481، ابن الخطيب: الإحاطة 18/1– 19، اللمحة البدريّة ص25–26، مجهول: أخبار مجموعة ص19–20، ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب والأندلس ص75، ابن الآبار: الحلة السيراء 334/2، مؤنس: فجر الأندلس ص78– 79، عنان: دولة الإسلام في الأندلس القسم/1، ص50–51، الحجي: التاريخ الأندلسي ص64– 65، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص83، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ص52، حسين، حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ص7–8.

Saavedra (Edourdo): Estudios Sobre la invasion de los Arbes, p8-80, Léviprovencal: Histoire de l'Espange Musulmone, 3vols Leiden, 1950, p.23.

وكان الجيش الذي فتح مرسية (Murcia) تُدمير (tudmir) ودخلها صلحاً قد كتب بالفتح لطارق بن زياد، ونهض معظمهم إلى الأمير طارق بن زياد لفتح طُليطلة[1].

وقد وجد المسلمون بالمدينة التي خَلْف الجبل والتي تحصّن بها الفارّونَ من طُليطلة، دخائر كثيرةً تفوق الوصف كثرةً، ومنها: (**ألف سيف مجوهر ملوكي، مائةٌ وسبعون تاجاً مرصعةٌ بالدرّ، وأصناف الحجارة الثمينية، ووجد بها من الدرّ والياقوت أكيالاً وأوساقاً، ومن آنية الذهب والفضة وأنواعها ما لا يحيط به وصف، ووجد بها مائدة سليمان بن داوود، وكانت فيما يذكر من زمردّة، وهذه المائدة اليوم في مدينة رومة**)[2]. وبشأن هذه المائدة يقول ابن حيّان: (**وهذه المائدة المنوّه باسمها المنسوبة إلى سليمان النبيّ عليه الصلاة والسلام لم تكن له فميا يزعم رواة العجم، وإنمّا أصلها أنّ العجم في أيام ملكهم كان أهل الحسنة منهم إذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس، فإذا اجتع عندهم ذلك المال صاغوا منهُ الآلات الضخمة من الموائد والكراسي وأشباهها من الذهب والفضّة، تحمل الشمامسه والقسوس فوقها مصاحف الآناجيل إذا أبرزت في أيام المناسك، ويضعونها على المذابح في الأعياد للمباهاة بزينتها، فكانت تلك المائدة بطليطلة ما صيغ في هذا السبيل، وتأنقت الأملاك في تفخيمها، يزيد الآخر منهم فيها على الأُول: حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات، وطار الذكر مطاره عنها، وكانت مصنوعةً من خالص الذهب، مرصّعةً بفاخر الدرّ والياقوت والزمرّد، لم ترَ الأعين مثلها وبولغ في تفخيمها من أجل دار المملكة، وأنّهُ لا ينبغي أن تكون بموضع**

---

(1) المقري: نفح الطيب 1/ 264.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/2، ج/1، ص551- 552، الحِميَري: الروض المعطار، ص393، صفة جزيرة الأندلس، ص131، القزويني: آثار البلاد، ص547، المقري: نفح الطيب 289/1، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 128/4 في خبر قصير.

آخر آلة جمال أو متاع مباهاةٍ إلا دون ما يكون فيها، وكانت توضع على مذبح كنيسة طُليطلة، فأصابها المسلمون هناك، وطار النبأ الفخم عنها،...)[1].

وقال ابن خلكان: (**إنَّ المائدة مصنوعة من الذهب والفضة، وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرّد، وكلّها مكللّةً بالجواهر)**[2]. وقال الحِمْيري: (**... وكان لها ثلاثمائة وخمسة وستون رِجْلاً**) [3].

وعند القزويني: (**فلم يُمكن نقلها لعظمها، فأمر الوليد أن يضرب منها حلي الكعبه وميزانها ففعل)**[4] وهو من تفرّ وحده بهذا الخبر، ثم أن موسى بن نُصير عندما وصل الشام قيل بأن الوليد كان على فراش الموت، وقيل وجد ميتاً، وهذا الخبر غريب مستبعد والله أعلم.

وبطليطلة بعد أن التقى موسى بن نُصير بطارق بن زياد سنة 93هـ، ضرب عُمْلَةً إسلامية[5]، وفي أواخر عام 95هـ/ 714م عاد موسى بن نصير إلى الشام، وولّى ابنه عبد العزيز والٍ على الأندلس فاتخذ إشبيلية حاضرةً له، وعندما ولي أيوب بن حبيب اللخمي الأندلس؛ نقل سلطان حكمه من إشبيلية إلى قرطبة وبذلك

---

[1] الحِمْيري: الروض المعطار، ص393- 394، صفة جزيرة الأندلس، ص131- 132، المقري: نفح الطيب 1/271- 272 وكلاهما ينقل عن ابن حيّان، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص149.

[2] ابن خلكان: وفيات الأعيان، 4/411.

[3] الحِمْيري: الروض المعطار، ص394، صفة جزيرة الأندلس، ص132، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص185، طبعة دار النشر للجامعيين من تحقيق أنيس الطباع.

[4] القزويني: آثار البلاد، ص547.

[5] مؤنس: فجر الأندلس ص101، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص99، حسين، حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص10.

Saavedra (Edourdo): Estudios sobre la invasion de los Arbes, p106, Lévi provencal: Histoire de l'Espange Musulmone, 3 vols, p.27.

فقدت طُليطلة مكانتها السياسية كعاصمةٍ لإدارة حكم ولاة الأندلس، بعد أن كانت دار ملك للروم والقوط[1].

طُليطلة في عهد الولاة (95هـ/714م)- (138هـ/ 755م)

أسلفنا بأن طُليطلة في بداية عصر الولاة، فقدت مكانتها السياسيّة كعاصمةٍ ومركزٍ لإدارة الولاة، وذلك بانتقال مقر الوالي منها إلى إشبيلية، ثم إلى قرطبة التي أصبحت فيما بعد حاضرة الخلافة الإسلامية، وعاصمة ومركز الخلافة الأموية حتى سنة 400هـ، وقيام الفتنة البربريّة. وبطبيعة الحال كون طُليطلة كانت عاصمةً للقوط ومن قبلهم للرومان ومركزاً لبلاد الأندلس؛ فكانت تضمُّ طائفةً من المستعربين والمولدين[2] واليهود الذين ضمّهم طارق بن زياد لها عندما فتحها وألفاها خالية، ولذلك كانت طُليطلة مزيجاً من العناصر المختلفة، (العرب المسلمون، البربر الفاتحون، الرومان، القوط)، فقد اختلفت الأديان، والعادات والتقاليد[3]، وقد كان لموقع طُليطلة الاستراتيجي، حيث المنعة ووقوعها على نهر التاجه، وعلّو سورها؛ الأثر البالغ الكبير في الثورات المتتالية التي بدأت من عصر الولاة، فكان لأهل طُليطلة حركات ثوريّة لم تنتهي وكما سنبيّن لاحقاً إلاّ بعد أن أخمدها عبد الرحمن الناصر لدين الله (300– 350هـ)، فكان أهل طُليطلة يميلون للانفصال عن مركز الحكم (قرطبة) واستقلالهم بحكم ذاتي. ولو عدنا إلى الوراء

---

(1) ابن عِذاري: البيان المُغرب 24/2، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص36، طبعة دار النشر للجامعيين، مجهول: أخبار مجموعة، ص29، المقري: نفح الطِيب 1/ 276، 14/3، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص100– 106، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ص29/1، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص53.

(2) هم أفراد الشعب الإسباني الذين خضعوا للعرب المسلمين بعد الفتح وهم العنصر الغالب، احتفظوا بدينهم وعاداتهم، ولم يكن ولاءهم للحكومة المركزية قوياً، وكان لهم دوراً سلبياً في الثورات المتعاقبة في طُليطلة، والتحريض للاستقلال عن مركز الخلافة قرطبة.

(3) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص54، حسين، حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طُليطلة، ص12.

وكما أسلفنا؛ فقد كانت طُليطلة كثيرة الثورات حتى عندما دخلوها الرومان، فسبحان الله، فقد قدّر لهذا البلد أن تبقى نار الفتن والثورات مشتعلةً فيه حتى سقوطها بيد القشتاليين سنة 478هـ.

لقد استغلّ المولدون والبربر الموقع الاستراتيجي لجغرافية المنطقة لإدارة ثوراتهم، وإشعال فتيلها ضد القيادة الإسلامية للبلاد في قرطبة، آخذين بالاعتبار صعوبة الوصول إليهم. فهي تقع على صخرةٍ عالية عند منحنى نهر تاجه، قنطرتها عظيمة البنيان، علوّ سورها، ومن أراد مهاجمتها لا بدّ له أن يعبر جبال قشتاله القاحلة في الشمال وإقليمي الاسترامادورا والمنشا القاحلين الموحشين في الغرب والجنوب. فوصول الجيوش لهم أمر ليس سهلاً، وبحاجةٍ إلى الجهد والوقت، وهذا ما ساعد على قيام الثورات على مدى تاريخها. وقد برز دور طليطلة خلال عصر الولاة بادئ الأمر من خلال ثورات البربر، وكان لثورة البربر في المغرب العربي صدى في الأندلس، لأنهم يعتقدون بأنّهم هم أصحاب الفتح وهم أحق من العرب في المناصب، وعندما قامت ثورة البربر في المغرب ووصل الخبر للخليفة هشام بن عبدالملك فعزل عُبيد الله بن الحباب عن إفريقية، وولّى عليها كلثوم ابن عياض القشيري، ووجه معه جيشاً لمواجهة قوات البربر سنة 123هـ/ 740- 741م، وكان عدد الجيش الذي توجه مع كلثوم مع ما انضم إليه من جيوش البلاد التي صار عليها (سبعون ألفاً)، لكن هذا الجيش انهزم أمام البربر، وجُرح كلثوم، وقيل أنه قتل، حيث انتهوا إلى سبته ولاذوا بها وكان بلج بن بشر برفقة كلثوم مع من فلّ من عرب الشام. وبقي هذا الجيش محاصراً في سبته (Ceuta)، وطلبوا النجدة من عرب الأندلس، وكان الوالي عبدالملك بن قطن الفهري، فلم ينجدهم، وكان السبب في ذلك أنه حجازي شهد معركة الحرّة سنة 63هـ/683م؛ وما ارتكبه الشاميون في زمن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بأهل المدينة، فكان لذلك يبغض أهل الشام.

لكن عبدالملك بن قطن الفهري عندما ثاروا عليه البربر في الأندلس، عندما علموا بثورة أهل المغرب؛ كتب يستغيث ببشر بن بلج ومن معه من الشاميين، وقد

مات عمه كلثوم في ذلك الوقت حسب ما روى لنا المقري، فأسرعوا إلى إجابته لما لحقهم من الجوع وسوء الحال، وهم عُراة لا يواريهم إلا دوابهم، وقد بلـغ الجهـد غايته، فأحسن إليهم، وأسبغ النعم عليهم، وكساهم على قدر أقدارهم، وكـانوا نحـو عشرة آلاف، وشرط عليهم عبدالملك بن قطن أن يخرجوا له عن الأندلس عائـدين إلى افريقية بعد فراغهم من قتال البربر، وطلب ابن قطن من بلج رهـائن جعلهـم بجزيرة أم حكيم، ونزل بلج وأصحابه بالجزيرة الخضراء سنة 123هـ/ 746م، والتقوا بعبد الملك بن قطن، وكان جَمْعُ البربرِ بشذونه، عليهم قائد من زناته، حيث قاتلهم عبدالملك بن قطن في وادي الفتح من شذونه، فأبادهم العرب وكانت الهزيمة على البربر، وأصاب العرب الذخائر والغنائم، ثم نهضوا مع عبدالملك إلى قرطبـة ثم ساروا إلى طليطلة، وكان معظم جيش البربر هناك، ودارت المعركـة، فكانـت هزيمة البربر العظمى بوادي سليط من حَوْز طليطلة، وقتلوا منهم آلافاً. وبعـد أن انتهت مهمة بلج وأصحابه مع ابن قطن طالب ابن قطن بلج ومن معه بالخروج من الأندلس على ما اتفقوا عليه بادئ الأمر، فطلب بلج من عبدالملك أن يحملـه إلـى ساحل إلبيرة أو ساحل تدمير، فقال له عبدالملك ليست لنـا مراكـب إلا بـالجزيرة الخضراء (Algeciras)، فقال له بشر أتريد ردّنا إلى البربر حتى يقتلوننا، فـدخل بشر ومن معه على قصر قرطبة، وأخرجوا منه عبدالملك بن قطن، ودخـل بشـر القصر عيشة يوم الأربعاء صدر ذي القعدة من سنة 123هـ؛ وكان قد مات رجل من غسان من الرجال الذين أُخذوا رهائن بادئ الأمر، وكان من أشراف دمشـق، فطلب الجند من بشر أن يعطيهم عبدالملك بن قطن في الرجل الغساني، فتوقف بلج، وثارت اليمنية كلها، وكان ابن قطن شيخاً هرماً قد بلغ التسعين، فأخرجه الجند من داره، فقتلوه وصلبوه، وصلبوا عن يمينه خنزيراً وعن شـماله كلبـاً. أمّـا أبنـاء عبدالملك بن قطن وهم قطن وأمية، فقد ثاروا على بلج بن بشر وجاءوا إلى بشـر

طالبين الثأر بمائة ألف ونيّف، فخرج لهم بشر بأعداد أقل من خمس عددهم، فكانت الغلبة لبشر الذي مات إثر جراحه[1].

هذا موجزٌ عن أحداث ثورة البربر الأولى في الأندلس، وقد كان لطليطلة دوراً هاماً إذ كان أكبر تجمّع للبربر الثائرين ضد الوالي العربي ابن قطن في طليطلة. ولم تَنْجُ طليطلة بعد هذه الحادثة من أحداث جديدة على الساحة الأندلسية؛ صراع القيسيّة واليمنيّة، ومَقْدِم الأمير عبد الرحمن بن معاوية، لأن مصير طليطلة قد ارتبط حتمياً بمصير باقي مدن الأندلس الخاضعة للحكم الإسلامي ومنذ الفتح الإسلامي.

عهد الإمارة الأموية (138**هـ**/ 755**م**- 300/ 912**م**) **عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية** (138**هـ**/755**م**- 172**هـ**-788**م**)

بدأ عهدُ الإمارة الأموية في بلاد الأندلس بدخول الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (الداخل) إلى الأندلس سنة 138هـ/ 756م، وذلك عقب انقراض الدولة الأموية في بلاد المشرق على يد بني العباس. وكان لطليطلة كواحدة من البلاد الأندلسية دوراً هاماً بقيادة التمرّد ضد الأمير الأموي، وذلك عندما فرّ يوسف الفهري ليستنفر عترته من الفهريين فيها، كما سنتحدّث لاحقاً.

---

[1] للمزيد عن هذه الأحداث: (ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 30- 32، ابن الأثيـر: الكامـل 4/ 249-251، المقري: نفح الطيب، 3/ 18-22، مجهول: أخبار مجموعة ص34- 39، ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب ص220- 221، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص15، طبعة دار النشر للجامعيين، بيروت، 1957، ابن خلدون: العبر 4/ 152- 153، طبعة دار الفكر، 1981م، سالم تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 154- 159، المغرب الكبير، العصر الإسلامي، ص 305-312، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندس، 1/ 35- 36، فكري: قرطبة تاريخ وحضارة 16- 17، عنان: دولة الإسلام في الأندلس القسم/1، ص 119- 125، حسين، حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص12- 16، مؤنس: ثورات البربر في افريقية والأندلس بين سنتي 102- 136هـ/ 721-753م، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد العاشر، المجلد/1، 1948م، ص54- 55.

Dozy (R.): Histoire des Musulmanes d'Espange, Leiden, 1932, Vol, 1, p.47.

عندما دخل الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأندلس، بعد أن مهدّ له مولاه بدر الأمور مع الموالي المروانيّة؛ كان والي الأندلس يوسف الفهري وصاحبه الصُميل عائدين من ثغر سرقسطة، لإخماد ثورة الحباب الزهري، حيث قبض يوسف عليه وعلى عامر العبدري، وعندما وصل يوسف الفهري بوادي الرمل بمقربةٍ من طليطلة وقد ضرب عنق عامر العبدري وابن عامر برأي الصميل؛ إذ جاءه رسول يركضُ من عند ولده عبد الرحمن بن يوسف الفهري يخبره بنزول الأمير عبد الرحمن بساحل جند دمشق، واجتماع المروانية إليه، فسار يوسف الفهري إلى قرطبة للاستعداد لملاقاة عبد الرحمن الداخل، أما الأمير عبد الرحمن فقد سار إلى إشبيلية (Sevilla)، بعد أن أخذ البيعة في كورة ريّة، حيث بايعه فيها عاملها عيسى بن مساور، ثم بايعه غياث بن علقمة عامل شذونه، ثم أتى موررور (Moron) فبايعه عاملها إبراهيم بن شجرة، وكانت نفوس أهل اليمن حنقةً على الصُميل والمضرية، وفي إشبيلية تلقى عبد الرحمن ومن معه رئيس عربها أبو الصباح بن يحيى اليَحْصُبي، فاجتمع الرأي على أن يقصدوا به دار الإمارة قرطبة، وسار الفهري يوسف من قرطبة، وابن معاوية على برّ إشبيلية، فتساير والنهر بينهما، حتى وصل يوسف ومن معه إلى موضع بصحراء المصارة غربي قرطبة، وعبد الرحمن في مقابلته، وتراسلا للصلح، ويوسف الفهري يعد الطعام وابن معاويه آخذاً خلاف ذلك بالخديعة، حيث أعدّ نفسه للحرب، وأوهم يوسف أن الصلح قد أُبرم، وَعَبَرَ عبد الرحمن ليلة الأضحى مع جيوشه ونشب القتال بينهما، إلى أن ارتفع النهار، فكانت الغلبة للأمير عبد الرحمن بن معاويه، وانهزم يوسف الفهري فأتى مارده، أما الصميل فقد فرّ إلى شؤذر من كورة جيّان، ودخل عبد الرحمن الداخل ومن معه قرطبة، ودخل قصر الإمارة يوم الجمعة العاشر من ذي الحجّة من سنة 138هـ/ الرابع عشر من مايو سنة 756م، وأقام الأمير عبد الرحمن الداخل بظاهر قرطبة ثلاثة أيام، وأخرج حشم يوسف وعياله، وأحسن إليهم، ثم لحق بيوسف الفهري، واستخلف على قرطبة القائم بأمره أبا عثمان، ونهض في طلب

يوسف، فوقع يوسف الفهري على خبره، وعلم أنّه سارٍ في طلبه، فخالفه إلى قرطبة ودخل القصر، أما أبا عثمان خليفة عبد الرحمن الداخل؛ فقد تحصّن في صومعةٍ هو ومن معه، فاستنزله بالآمان، ولم يزل عنده إلى أن عقد الصلح بينه وبين الأمير عبد الرحمن.

وبعد أن دخل يوسف الفهري القصر أخذ أهله وماله ولحق بمدينة إلبيرة، أما عبد الرحمن الداخل فقد كرّ عائداً إلى قرطبة، عندما علم بدخول يوسف إليها، ولم يجده، فسار إلى إلبيرة، وتراسلا في الصلح فتم الصلح بين الأمير عبد الرحمن من جهة وبين يوسف والصميل الذي لحق به من شوذ من جهةْ أخرى، على أن ينزل يوسف الفهري ومن معه بأمان وأن يسكن بلاط الحر، فمنزله بشرقي قرطبة، وأن يخلي بينه وبين أمواله أينما كانت، على أن يختلف إلى الأمير عبد الرحمن في كل يوم ليرى وجههُ، وأخذ عبد الرحمن منهُ ولده (**أبا الأسود محمد بن يوسف**) رهينة، وكان ابن يوسف الفهري الآخر عبد الرحمن أيضاً أسيراً عند الأمير عبد الرحمن يوم وقعة المصارة سنة 138هـ، وكان هذا الصلح في صفر من سنة 139هـ. وعند ابن الأثير أن يوسف الفهري عندما دخل قرطبة مع الأمير بعد الصلح تمثّل قول حُرَقَة بنت النعمان بن المنذر [الطويل]:

فبينا نسوسُ الناسَ والأمرُ أمرنا إذا نحنُ فيهم سوقَةٌ نتصّفُ

لكن يوسف الفهري لم يقنع بالعيش دون سلطان، فنكث العهد سنة 141هـ، فهرب من قرطبة، وكانت قد اضطربت به الحال في قرطبة، ودُسَ له قومٌ قاموا عليه في أملاكه زعموا أنه أخذها منهم غصباً، فإذا رُفع الأمر إلى الأمير لا يقم الحُجَّةَ له، فاشتد توحشه، وخرج إلى جهة ماردة واجتمع إليه أهل الشتات والنفاق والفرقة عشرون ألفاً وكانوا من العرب والبربر، وعندما علم الأمير بذلك قبض على الصُّميل وسجنه كونه المدبر ليوسف، وألقى كذلك في السجن معه ابني يوسف أبا الأسود محمد و عبد الرحمن اللذين كانا رهينةً عنده كما شُرط في عقد الصلح سنة 139هـ بألبيرة (Elvira). وتقدم يوسف ومن معه من ماردة (Merida) إلى

لقنت (Alicante) حيث انضم إليه معظم أهلها وقصد إشبيلية وكان واليها من قِبل الأمير عبد الرحمن أحد أقاربه وهو عبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم وهـو من الذين فرّوا من بطش العباسيين، وحاصر إشبيلية، ثم زحف إلى قرطبة، وخرج الأمير عبد الرحمن مع الحشود من العرب الشاميين الذين قدموا لنصـرة الأميـر الأموي، وسار عبد الله بن عبدالملك بن عمر بجند موررور (Moron) لفك الحصار عن أبيه في إشبيلية، فلما علم يوسف بتحركات عبد الرحمن من قرطبة؛ و عبدالملك بن عمر وابنه عبد الله بن عمر من الشمال؛ قرر مهاجمة كلَّ جـيشٍ علـى حـده، فهاجم جيش عبدالملك وابنه، وكانت الهزيمة على يوسف ومن معهُ، وانهزم يوسف مع بعض أقاربه إلى مدينة طليطلة (Toledo)، وقُتل معظم جيشهِ، فلقيه على بُعـد عشرة أميال من طليطلة في قرية من قُراها عبد الله بن عمر الأنصاري فعرفه وقال لأصحابه: (**هذا الفهري يفرّ، قد ضاقت عليه الأرض وقَتْلُهُ الراحة لـه، والراحـة منهُ، فقتله واحتزّ رأسه وقدم به إلى عبد الرحمن الداخل في قرطبة**) وكان ذلـك سنة 142هـ/ 759- 760م، وعجّل عبد الرحمن بن معاويه بقتل عبد الرحمن بن يوسف الفهري أبا زيد، وأبقى على أخيه أبا الأسود لصغر سنّه، وقد وضع رأسيهما على قناتين مشهرين إلى باب القصر بقرطبة، أما الصُّميل فقد خنق في سجنه، ثـم دُفع إلى قومه من مضرٍ فدفنوهُ، وقيل وجد عنده كأساً ولما دخلو عليـه مشـيخة المضرية قالوا: (**يا أبا جوشن قد علمنا أنك لم تشرب ولكن سُقيت**) وهناك اختلاف في قتل يوسف كذلك؛ فقيل أيضاً أن أحد أصحابه الذين فرّوا معه قتله، وقيل قتلـه والي طليطلة ميمون بن سعد وكان بربرياً. هذا هو رأي ابن الآبـار فـي التكملـة الترجمة رقم 851، ص351. هذا موجز لأحداث دخول عبد الرحمن الداخل إلـى الأندلس من سنة 138هـ/ 756م وحتى نهاية الفهـري 142هــ/ 759- 760م، وهو تمهيد للحديث عن طليطلة وثوراتها المتتالية خلال عهد الإمارة وقد نقلتُ نقلاً

بتصرف عن كلاً من ابن الأثير، ابن خلدون، ابن عذارى، النويري، المقري، ابن القوطية، ابن الخطيب وغيرهم[1].

وفي سنة 144هـ/761م ثار بطليطلة **هشام ابن عُذرة الفِهري**، وهو من بني عم يوسف الفِهري، وكان والده عذرة الفهري ممن ولي الأندلس سنة 107هـ/725م بعد **عنبسة الكلبي**، فقد أعلن هشام الثورة والتمرّد على مركز الإمارة الأموية في قرطبة، فحاصره الأمير عبد الرحمن الداخل، وشدد عليه الحصار، فمال هشام إلى الصلح وأعطى ابنه أفلح رهينةً، ثم نقض هشام الصلح، فحاصره الأمير عبد الرحمن، ونصب المجانيق عليها، فلم يؤثّر بها لحصانتها، وعلوّ أسوارها، وكان أمراً منع عبد الرحمن الداخل من متابعة الحصار وهو خروج أبو العلاء بن مغيث من افريقية إلى مدينة باجه، وقيل أنّهُ لبس السواد ودعى لأبي جعفر المنصور، فاضطرّ عبد الرحمن لفك الحصار عن طليطلة للقاء أبي العلاء وكان ذلك سنة 146هـ. وقبل أن يفك الأمير عبد الرحمن الحصار عن طليطلة؛ قتل أفلح ولد هشام بن عذره ورمى برأسه إلى أبيه ورحل عن طليطلة[2]. وفي سنة

---

(1) للمزيد انظر: (ابن الأثير: الكامل في التاريخ 4/ 361- 364، ابن خلدون: العبر 4/ 154- 156، ابن عِذاري: البيان المُغرب 49/2، النويري: نهاية الأرب 195/23-199، المقري: نفح الطيب 1/ 328- 329، 25/3، 28- 36، ابن الخطيب: أعمال الاعلام 8/2-10، الإحاطة 3/ 356- 357، 4/ 296- 297، مجهول: أخبار مجموعة، ص51- 52، 87-88، ابن القوطيّة: تاريخ افتتاح الأندلس ص51- 52، الخُشني، قضاة قرطبة، ص14-15، مؤنس: فجر الأندلس، ص686- 689، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص191-195، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، قسم/1، ص158- 159.

(2) للمزيد عن ثورة أبي العلاء اليحصبي انظر: (ابن الأثير: الكامل في التاريخ 21/5-22، ابن عذارى: البيان المُغرب 51/2- 52، النويري: نهاية الأرب 199/23، ابن خلدون: العبر 157/4، المقري: نفح الطيب 332/1- 334، عنان: دولة الإسلام في الأندلس القسم/1، ص162- 163، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص197- 198م، مؤنس: تاريخ المغرب والأندلس، ص262، حسين، حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص26- 27.

Dozy: Histoire des musulmanes d'Espange, vol, I, P. 232- 234. Léviprovencal: Histoire de L'Espange Musulmane, vol, I,. P.110- 111

147هـ، بعث الأمير عبد الرحمن مولاهُ بدراً وقائده تمام بن علقه لحصار طليطلة، فحوصرت وضيّق عليها الخناق، واستمر الحصار طويلاً، إذ يقول صاحب كتاب أخبار مجموعة: (**وقطع الأمير البعوث على الأجناد، وجعلها بينهم دوَلاً في كل ستةِ أشهرٍ، فإذا انقضَت دولةٌ نُدِبَ أخرى**) فكان لهذا الحصار الطويل ثمرةً إذ استسلمت طليطلة وأُسر هشام بن عُذره وأُسر معهُ **حيوة بن الوليد اليحصبي، وعثمان بن حمزة بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب** ﷺ، وتم تأمين الأسرى حتى وصلوا قرطبة، فَحُلقت رؤوسهم ولِحاهم، وأُلبسوا الصوف، وركبوا الحمير وطيف بهم في قرطبة وهم بالسلاسل، ثم قتلهم الأمير وصلبهم، ثم كتب الأمير عبد الرحمن بن معاوية كتباً إلى مختلف البلدان الأندلسية يعلمهم بهذا الفتح، ورجوع طليطلة إلى الولاء والطاعة[1].

كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية قد ولّى تمام بن علقمة[2] طُليطلة بعد أن سلَّم تمام الأسرى لعاصم بن مسلم الثقفي، حيث أبلغه على لسان الأمير العودة إلى طليطلة ليتولاها[1].

---

(1) ابن الأثير: الكامل 5/ 25، ابن عذاري: البيان المُغرب 2/ 53، النويري: نهاية الأرب 23/ 199، ابن خلدون: العبر 4/ 157، مجهول: أخبار مجموعة، ص93، 95، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص197، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/1، ص161، حسين، حمدي عبدالمنعم، أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص25-30.

Dozy: Histoire des Musulmanes d'Espange, vol I, p.234l. Lévi Provencal. Histoire de L'Espange Musulmane, vol, I, p.109- 110.

(2) هو تمام بن علقمة، كان قد دخل في طالعة بَلج بن بشر القشيري إلى الأندلس مع العرب الشاميين سنة 123هـ/ 741م، وكان تمام ممن ذهب مع المركب الذي أرسل إلى عبد الرحمن بن معاوية لمبايعته، ومن القائمين بأمره، ولاّه الأمير عبد الرحمن حجابته، وولي وشقه (Huesca) وطرطوشة (Tartosa) وطرسونة (Tarsona)، وظل أحد أعوان الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، ورجال دولته، كانت وفاته في أواخر عصر الأمير الحكم الربضي بن هشام، للمزيد عن تمام بن علقمة (الأكبر): (ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص179، ص544، التعليق رقم 351، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 32، 47، طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، مجهول: أخبار==

وبعد أن ولاّه الأمير عبد الرحمن الحجابة، خلفه عليها حبيب بن عبدالملك[2]، وكان ذلك سنة 151هـ/ 768م، وفي أثناء ولايته قضى على ثورةٍ جديدة في طليطلة، وهي ثورة التمرد التي قادها القائد السلمي، وكان السلمي من قادة الجيش الإسلامي، وكان من خاصة الأمير عبد الرحمن، إلا أنه أفرط بالشراب ذات ليلة، وأقبل على باب القنطرة وهو الباب الرئيسي لقرطبة فوجده مغلقاً، فاحتال حتى يفتحه فثار به الحرس واشتبك معهم بسيفه، وقد بلغت هذه الأخبار العبدي صاحب شرطة الأمير عبد الرحمن، وفي اليوم التالي فرَّ السلمي إلى طليطلة خوفاً من أن يعاقب على فعلتهِ، وحرّض على الثورة فالتفَّ حوله من أهل النفاق المبغضين لبني أُمية، وأعلن العصيان، فأرسل إليه الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة حبيب بن عبدالملك القرشي، وقتله عبدٌ أسود، بعد أن طلب المبارزة من حبيب بن عبد الملك[3].

=مجموعة ص74- 75، ابن الآبار: الحلة السيراء 1/ 143، ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 48، 53، 63، 73، المقري: نفح الطيب 3/ 31، 45، 49، 50).

(1) ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 53، مجهول: أخبار مجموعة، ص95.

(2) هو: حبيب بن عبدالملك بن عمر بن عبدالملك بن مروان، دخل الأندلس قبل أن يدخل إليها عبد الرحمن الداخل، وكانت له مكانةً كبيرةً في قلب الأمير عبد الرحمن الداخل لم تكن لأحد من أهل بيته، وهو القائل يخاطبُ الأمير عبد الرحمن مغرياً بأبي الصباح يحيى اليحصبي زعيم اليمنية، الذي قتله الأمير عبد الرحمن فيما بعد [البسيط]:

يا ابن الخلائف إنـي ناصـحٌ لكـمُ — فـي قتـلِ ذي أحـنٍ يرتـادُ للـنقمِ
لا يُفْلِتَنَّـكَ فيأتينـا ببائقـةٍ — واشددْ يديكَ به تبـرأ مـن السَّـقمِ
جَلّله عضباً مـن الهنـدي ذا شُـطَبٍ — إنَّ الصـرامةَ فيـه فَعْلَـةُ الكـرمِ

للمزيد عن حبيب انظر: (ابن الآبار: الحلة السيراء 1/ 59- 60، ابن سعيد: المُغرب 2/11- 12، ابن خلدون: العبر 4/ 154- 155، وكان الأمير عبد الرحمن الداخل قتل أبا الصباح سنة 149هـ غدراً (النويري: نهاية الارب 23/ 200، المقري: نفح الطيب 3/ 35- 36).

(3) مجهول: أخبار مجموعة، ص 101- 102، ابن خلدون: العبر 4/ 158، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 5/ 62، النويري: نهاية الأرب 23/ 203.

وهكذا فقد كان لطليطلة دوراً بارزاً في تأييدها واحتضانها للفتن والثورات في عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)، ودعمها للتمرّد والعصيان، والقيام على الإمارة الأموية في قرطبة، بل وخلال فترة أُمراء وخلفاء بني أمية، وحتى عهد الخليفة عبد الرحمن بن محمد (الناصر) كما سنرى لاحقاً. فطليطلة كانت زمن الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل موطناً آمناً لأتباع وأنصار يوسف الفهري، وكان العامل عليها فهريّاً وهو: هشام بن عُذرة أو عُزرة الفهري، من بني عم يوسف الفهري. ففي سنة 168هـ/ 784م كانت ثورة عارمةٌ في طليطلة تزعمها أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري الذي كان مسجوناً في سجن قرطبة بعد مقتل أبيه سنة 142هـ؛ وكان قد فرَّ من سجنه، بعد أن ادّعى العمى زمناً. قال ابن الآبار: (**هرب عند مقتل أبيه هو وأخوه خضر، إلى أن جئ بهما فُحبسا مدة، وادَّعى أبو الأسود هذا العمى حيلةً وهو مبصر، فزعم أن الماء نزل بعينيه، وأحسن التمثُّل لذلك، حتى جازت حيلته، واشتبهت حركاته بحركات العميان، ووقع الإشفاق عليه والرثاية له. وهُوِّن من حبسه، حتى كان يقعد عنه الموكَّل به اختباراً لهدايته، إذا خرج لوضوئه وقضاء حاجته، فيبقى حائراً ينادي: "من يقود الأعمى إلى محبسه؟"، فيُرَد. وكان أهل الحبس يومئذ ينزلون إلى النهر الأعظم- قُرْبَهم- للطهور والوضوء، على سرداب اتخذ لهم تحت الأرض، إذ كان مكانه يومئذ لِصْق القصر، على الهبط، والرقباء عليهم، وقد اهمل ارتقابُ أبي الأسود هذا، عندما وُجد السبيل للأمان منه من أجل عماه، فتحيل هنالك في التدبير مع موالٍ له كانوا بقرطبة معه، وانتهز فرصة أجاز فيها الوادي سبحاً إلى خيل له قد أعدت بشاطئه مع ثقات أصحابه، فركب وفر ركضاً، فنجا ولحق بطليطلة. ودعا إلى نفسه، واستمال الناس بموضِعِه، وسار في عسكر جحفل حتى حل بأحواز جيّان. فخرج إليه عبد الرحمن بن معاوية في جيوشه، فلاقاه مرةً بعد مرة، يهزمه في كل منها ويقتل له الجمع الكبير. وكانت بينهما بقَسْطَلُّونة- على**

مخاضة الفتح[1]- حرب شديدة، مكر عبد الرحمن فيها بأبي الأسود، فراسلَ ميمنته، وواطأه على جر الهزيمة من جهته، ففعل. وانهزم أبو الأسود، وقتل عامةُ رجاله، فلم تقم له بعد قائمة. وذُكر أنه تمثل يوم قسطلونة: [البسيط]

وموقفْ مثل حد السيف قمتُ به   أحمى الذمارَ وترميني به الحَدَقُ

وعن الرازي: أن هذه الوقيعة بمخاضة الفتح كانت يوم الأربعاء غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين ومائة، بعد موافقة قبل ذلك أياماً كثيرة. قال: وقُتل لأبي الأسود فيها أربعة آلاف من أصحابه، سوى من تردى في النهر، ووقع في المهاوى، وتلف في الشعاب. وبلغ في هزيمته إلى قَسْطَلونة على وادي الأحمر، ومضى على وجهه إلى ناحية الغرب، فبلغ مدينة قورية[2]، وتمادى في شروده

---

[1] قسطلونة: يقول الدكتور حسين مؤنس: ليس من السهل تحديد موقع هذه المعركة بدقة، لأن قسطلونة المذكورة هنا كانت قرية تسمى Cazalona، إلى جوار بلدة ليناريس Linares الحالية شمال مديرية جيّان، وكان اسمها في القديم Castulone Cstulo (راجع معجم الأماكن الملحق بالترجمة الإسبانية للأخبار المجموعة ص250). ونهر الوادي الأحمر المذكور هنا هو المعروف باسم Guadalimar نهير من نهيرات الوادي الكبير، وينبع من جبال شقورة. وهذا النهر يتكون من نهيرات صغيرة arroyos تملتئ بالماء بعد المطر وتصبح مخاضات، فلا بد أن مخاضة الفتح المذكورة هنا كانت في ذلك الموقع. ويفهم من النص بعد ذلك أن المعركة كانت عند ا لمخاضة، ثم هرب أبو الأسود إلى قسطلونة، (للمزيد: ابن الآبار: الحلة السيراء 2/ 351- 352، الحاشية رقم 3.

[2] قُوريّة (Coria): مدينة بالأندلس من نواحي ماردة، كانت تسمى قبل الفتح (Caurium) وتعد من مدن الثغر الأدنى، وهي مدينة قديمة أولية البنيان، كان قد فتحها الأمير موسى بن نصير سنة 94هـ/ 713م على الأرجح بعدما فتح ماردة، وقد نزلها الكثير من قبائل البربر، وقورية مشهورة بالبساتين، وزراعة الفواكه وخاصةً العنب والتين، كانت أيام ملوك الطوائف تابعةً لملوك بني ذي النون كغيرها من مدن الثغر الأدنى، ثم آلت سنة 472هـ/ 1079م إلى صاحب بطليوس المتوكل عمر بن الأفطس، بعد أن ثار أهل طليطلة على القادر يحيى بن ذي النون الذي كان لاهياً طائشاً مهملاً للأمور، ثم استولى عليها الفونسو السادس ملك قشتالة وليون سنة 472هـ، أو أوائل سنة 473هـ/ 1079، 1080م، وقد استعادها المرابطون، ثم ملكها الفونسو السابع، سنة 536هـ/ 1142م، ثم استعادها الموحدون، وبقيت بيدهم حتى سنة 597هـ/ 1200م حيث سقطت بيد الفونسو الثامن. (للمزيد: ياقوت الحموي: معجم البلدان 4/ 412، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/2، ج/1، ص 547، الحِميَري: صفة جزيرة==

وخلافه إلى أن هلك في سنة سبعين ومائة. وقيل إن عبد الرحمن غزاه في سنة سبعين، فلما أحس به فرَّ عن قورية، وانقطع وحدَه، وانحاز إلى غياض أشبِيَةٍ، ثم صار إلى رَكَانَة[1] من طليطلة فمات هنالك. وقام بعده أخوه قاسم بن يوسف، فغزاهُ عبد الرحمن بن معاوية؛ فلما دنا منه خرج إليه بلا أمان، فتقبَّله وأمَّنه، ونقله إلى قرطبة وأحسن إليه، وكان آخر المخالفين عليه) [2].

والجديرُ بالذكر أنَّ الأمير سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية كان قد أبلى بلاءً حسناً في هذه المعركة (مخاضة الفتح سنة 169هـ/ 785م) وقد مدحه الشاعر أبو المخشي[3] بقصيدةٍ أوردها ابن الخطيب في كتاب الإحاطة [الكامل] [3]:

==الأندلس، ص164، مجهول: أخبار مجموعة، ص17، 39- 42، 62، 107، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص147- 148، ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 54، 125، عنان: دول الطوائف 90، 105، سحر سالم: بطليوس 1/ 206، 361 الحاشية رقم 8، 2/ 20- 22، 23، الحاشية رقم 6، 24، الحجي: العلاقات الدبلماسية ص337، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية 2/ 898- 902).

(1) رُكانّة (Rucana): ذكرها ياقوت الحموي وقال بأنها مدينة لطيفة من عمل بلنسية وذكرها العذري وقال: توفي فيها أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري، أما ابن عِذاري فقد اعتبرها من قرى طليطلة. للمزيد: ياقوت الحموي: معجم البلدان 3/ 63، العذري: نصوص عن الأندلس، ص 1، ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 51، ابن الآبار: الحلة السيراء 2/ 353، الحاشية رقم 1، وقد ضبطها بالإسبانية هكذا (Requena).

(2) ابن الآبار: الحلة السيراء 2/ 351- 353، وللمزيد انظر: (ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 57- 58، ابن خلدون: العبر 4/ 158- 159 وفيه أن الأمير عبد الرحمن قتله خلافاً لما أورده ابن الآبار، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 4/ 70 وفيه كما ذكر ابن خلدون، النويري: نهاية الأرب 23/ 204 نقلاً عن ابن الأثير. العذري: نصوص عن الأندلس، ص11، مجهول: أخبار مجموعة، ص 105، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/1، ص 190، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص205، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ص32- 37،

Dovy: Histoire, vol1, p.240. Lévi provencal: Histoire. Vol,I, p110.

(3) هو: عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن محمد التميمي ثم العبَّادي الجاهلي: يكنى أبا المخشي، وهو من أهل إلبيرة، كان شاعراً مجيداً، شهير المكان، بعيد الصيت على عهد؛ كان أبوه قد دخل الأندلس أول الفتح مع جند دمشق، وكان شاعراً هجّاءً، يقذف نساء من لا يعجبوه، ويهتك==

ماذا تسائلُ عن مواقعِ معشرٍ | أودى بهمْ طلبُ الذي لم يُقْدَرِ
رشدُ الخليفةِ إذ غَوَوا فرماهُمُ | بالموبذيِّ الجهمِ والمتأزّرِ
فغدا سليمان السماح عليهمُ | كالليثِ لا يلوي على متعذّرِ
غاداهمُ متقنّصاً في مأزقٍ | بالموتِ مرتجسُ العوارضِ ممطرِ
وهو الذي وَرِثَ النّدى أهل النَّدى | ومحا مغبّةَ يومِ وادي الأحمرِ
بعداً لقتلى بالمجانصِ أصبحت | جِيَفاً تلوح عظامها لم تُقْبَرِ
فالليل فيها للذئابِ فرائساً | ونهارها وقفاً لنهشِ الأنسُرِ
أفناهُمُ سيفٌ مبيرٌ صارمٌ | في قسطلونةَ بل بوادي الأحمرِ
فَلْتَرْكَبَنّك ما هربتَ مخافةً | منهُ فقع يا ابن اللّقيطةِ أوَطِرِ

==حرمهم، أفاكاً نهّابا، كان منقطعاً لسليمان بن عبد الرحمن الداخل، وكان هشام حاقداً عليه رغم أنه كان يمدحه، قيل لهشام أنّه عرّض بك من خلال مدح أخيك سليمان في شعر له قال فيه [الطويل]:

وليس كمثلِ مَنْ إنْ سيل عُرفاً | يقلّبُ مقلةً فيها اعورارُ

وكان هشام بن عبد الرحمن الداخل أحولاً، واستدعاه هشام عندما كان والياً على ماردة، فسمل عينيه، وقطع لسانهُ، فقال في عماه شعراً وصل إلى الأمير عبد الرحمن الداخل، فرّق له ودعا بألفي دينار فأعطاه، وضاعف له ديّة العينين، ومن هذا الشعر قوله [الرمل]:

خضعت أمُّ بناتي للعدا | إذ قضى الله بأمرهِ فمضى
ورأت أعمى ضريراً إنّما | ميشهُ في الأرضِ لمساً للعصى
وإذا نال العمى ذا بصرٍ | كان حيّاً مثل ميتٍ قد ثوى

وكان رحمه الله قد أدرك الأمير الحكم الربضي الذي حكم ما بين سنتي (180- 206هـ) على قول ابن حيّان نقلاً عن عبادة الشاعر، أما ابن الخطيب فيقول توفي نحو 180هـ فلعلّه أدرك بداية عهد الحكم الربضي سنة 180هـ، للمزيد: (ابن الخطيب: الإحاطة 4/ 195- 199، ابن عبدالملك المراكشي: الذيل والتكملة، 5/ 102، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص56- 57، طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، أبو الوليد الحِمْيري: بدائع البدائه، ص21، الحُميدي: الجذوة.

(3) الأبيات موجودة عند ابن الخطيب: الإحاطة 4/ 198، آنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص82.

وفي شأن الثورات المتعاقبة على طُليطلة في عهد الأمير عبد الرحمن يقـول ابن حيّان: (**... لم تزل تتقلب على الأملاك، وتعجز من رامها مـن أولـي القـوة والحيلة، ولطال ما أتعبت الخليفة الأول، المُقيم للدولة بالأنـدلس وأول الـداخلين إليها من بني أُميّة، عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، رحمه الله، وقد دانـت لـه الأندلس بحذافيرها، وامتنعت هي عليه أعواما سبعة، فما افتَتَحها إلا بعـد حـرب عوان ومشقّة وعن قهر وغلبة**)[1].

وفي سنة 170هـ/ 786م ولي طُليطلة سليمان بن عبد الـرحمن الـداخل، وكان يتيميز بالنجدةِ وحب الشاميين له، وهو من مواليد الشام، وأمه لُخيمة من ولد حاطب بن أبي بلتعه، وكانت نشأته بالشام، وانتقل إلى الأنـدلس سـنة 147هـ/ 763- 764م[2].

طُليطلة في عهدِ هشام بن عبد الرحمن الداخل (الرّضي)

(172-هـ/788م- 180هـ-796م)

عندما حضرت عبد الرحمن الداخل الوفاة، كان ولده سليمان في طليطلة والياً عليها، وولده هشام في ماردة والياً عليها كذلك، فلم يحضرا وفاته. حيث توفي فـي شهر ربيع الآخر من سنة 171هـ/787م، وقيل في جمـادى الأولـى مـن سـنة 172هـ/ 788م، وهو الأكثر ترجيحاً في المصادر التاريخية، وكان مولده رحمـه الله بالشام سنة 113هـ، وصلى عليه ولده الثالث المقيم في قرطبة عبد الله الملقـب بالبلنسي. وهناك روايتان في تسلّم هشام لزمام الحكم. الرواية الأولى أنّ أباه كان قد عهد إليه بالإمارة بعدهُ، قبل وفاته لأنه كان يرى بهِ الخير للمسلمين وقدّمـه علـى سليمان، فبايع له أخوه عبد الله وكتب إليه ينعى أباهُ ويعزيه به ويعرّفه أنّـه بـايع

---

[1] ابن حيّان: المقتبس 276/5.

[2] ابن عذاري: البيان المُغرب 2/ 58، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 83/5، ابن خلدون: العبر 4/ 159 طبعة دار الفكر، لبنان، 1981، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص30، النـويري: نهايـة الأرب 23/ 206. ابن الخطيب: أعمال الأعلام 12/2.

الناسَ له. أما الرواية الثانية: أنَّ الأمير عبد الرحمن بن معاوية أوصى ولده عبد الله عندما حضرته الوفاة وقال له: **(من سبق إليك من أخويك، فادفع إليه بالخاتم والأمر، فإن سبق إليك هشام فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه، وإنْ سبق إليك سليمان فله فضل سنه ونجدته وحب الشاميين له)** وكان هشام لما علم بوفاة والده أسرع من مارة إلى قرطبة، ووصل قبل أخاه سليمان، فأعطاه أخوه عبد الله الخاتم وأدخله القصر في جمادى الأولى من سنة 172هـ/ (7أكتوبر 788م) وعندما علم سليمان بذلك، لاذ بطليطلة مركز الثورات، ومكمن الفتن والاضطرابات، وأعلن العصيان على أخيه، وقام بقتل غالب بن تمام بن علقمة الذي أرسله هشام ليتولى أمر طليطلة، ثم صلبه ومثل به، أما أخوه الثالث عبد الله الملقب بالبلنسي فقد كان حضيّاً عند هشام: **(... يؤثره ويبره ويقدّمه- لما قام به نحوه فلم يرض إلاّ المشاركة في أمره)** وكان عبد الله في نفسه على أخيه هشام شيئاً، فقد أظهر الطاعة، وفي باطنه الحسد والعصيان، فبعد ستة أشهر من تسلم هشام الحُكْمَ فرّ عبد الله إلى طليطلة خائفاً، فأرسل أخوه هشاماً في أثره جماعةً ليردّوه، فلم يدركوه[1].

قال ابن حيّان بشأن انتكاث أهل طليطلة: **(ثم لم تلبث أن انتقضت على ابنه، الأمام الرضيّ، هشام بن عبد الرحمن، رحمةُ الله عليهما، مع اتفاق أهل الأندلس عليه، حتى راضها، فعادت إليه ذليلةً)**[2].

ولمّا علم الأمير هشام بخروج أخويه سليمان وعبد الله عليه سنة 173هـ/ 789م، جهز جيشاً وسار وحاصر طليطلة، لكن أخاه سليمان استعمل معه المكيدة،

---

(1) ابن عِذاري: البيان المُغرب 61/2- 62، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 5/ 83، 84، ابن الآبار: الحلة السيراء 42/1- 43، النويري: نهاية الأرب 206/23، ابن خلدون: العبر 159/4، طبعة دار الفكر، بيروت، 1981م، المقري: نفح الطيب 334/1، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 12/2، سالم: تاريخ المسلمين وآثاره في الأندلس، ص213.

Lévi provencal: Histoire de L'Espange Musulmone, vol,I, p.141- 142.

(2) ابن حيّان: المقتبس 276/5.

حيث جمع وحشد جمعاً عظيماً وسار به إلى قرطبة للاستيلاء عليها، وخلّف أخاه عبد الله وابنه في طليطلة. لكن هشام لم يأبه لما فعله سليمان واستمر بالحصار، أما سليمان فقد وصل إلى شقنده الواقعة على الشاطئ الأيسر للوادي الكبير تجاه قرطبة، فدخلها وخرج إليه أهل قرطبة وتصدوا له ودافعوه عن المدينة، وبعث كذلك هشام، في أثَرِ أخيه قسماً من الجيش بقيادة ولده عبد الملك، فلمّا عَلِمَ سليمان بذلك هرب قاصداً مدينة مارة التي كان أخوه هشام والٍ عليها، فحاربه واليها، وانهزم سليمان، أما هشام فقد استمر محاصراً لطليطلة شهرين وأياماً، ثم عاد منها وقد قطع أشجارها وسار إلى قرطبة. لقد استاء عبد الله البلنسي من فعلة أخيه سليمان، ولم يكن يعلم بأنّ الأمور تصل لأن يحارب الأخ أخاه، فسار إلى قرطبة بغير أمان، ودخل على أخيه هشام، فأكرمه وأحسن له، وتم الاتفاق معه على أن يرحل من الأندلس إلى المغرب فتمّ له ذلك سنة 174هـ (790-791م)، وفي نفس العام سيّر هشام ابنه معاوية في جيش كثيفٍ وأرسل معه القائدان شُهَيْد بن عيسى وتمام بن علقمة، وتوجهوا إلى تُدمير (Teodmiro) لمحاربة سليمان بن عبد الرحمن أخيه، فخرّب معاوية أعمال تدمير، وفرَّ سليمان من تدمير، حيث لجأ إلى بلنسية عند البربر المستقرين بها، واعتصم عندهم محتمياً بمسالكها الوعرة. أما معاوية فقد عاد مع الجيش إلى قرطبة، وبعد ذلك استقرت الأمور بين الأخوين وجرت المفاوضات على أن يرحل سليمان وأهله وأولاده إلى بلاد المغرب مفارقاً الأندلس على أن يعطيه هشام ستين ألف دينار مصالحةً عن ميراث أبيه[1]، فتم له ذلك ورحل سليمان وأهله وعياله إلى بلاد المغرب فأقام بها، وبذلك تنتهي الثورة

---

[1] ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/62- 63، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 6/84، 86، 89، ابن الآبار: الحلة السيراء 2/363- 364، النويري: نهاية الأرب 23/ 206- 207، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/12-13، ابن خلدون: العبر 4/159، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص214- 215، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/1، ص250.

Dozy: Histoire des Musulmanes d'Espange, vol,I, p.250; Léviprovencal: Histoire de L'Espange Musulmone, vol, p.141- 142.

الغاشمة التي كان لمدينة طُليطلة فيها اليد العظمى، فهذهِ هي طليطلة، قُدرّ لهـا أن تكون دائماً منبعاً للثورات والعصيان على ولاة الأمر، فعلى النفـاق جُبِـلَ أهلهـا، وعلى الشتات تعودوا.

في سنة 175هـ/ 791م، دخلت طليطلة في طاعة الإمارة الأموية، وولّى الأمير هشام ولده الحكم عليها فضبطها وأقام بها طـويلاً، فولـده عبـد الـرحمن (الأوسط) كان من مواليد طليطلة سنة 176هـ/ 792م[1] وبقيت طليطلـة هادئـة الأوضاع بولاية الحكم بن هشام حتى وفاة أبية سنة 180هـ، حيث عـادوا للعنـاد والثورة كعادتهم وكما سنبين لاحقاً.

طليطلة في عهد الحكم بن هشام (الربضي)

(180هـ/ 796م- 206هـ/ 822م)

في ليلة الخميس لثلاث عشرة ليلة خلَت من صفر سنة ثمانين ومائة (796م) توفي الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، وولي بعده ابنه الحكم أبو العاص[2]، الملقب بالحكم الربضي لإيقاعه بأهل ربض قرطبة الذين أظهروا العصيان وطالبوا بخلعة وذلك سنة 198هـ/ 202هـ[3]. ففي سنة 181هـ/ 797هـ خالف (**عُبيدة بن حميد**) [4] بطليطلة، وأعلن أهلها التمرّد، فاستقدم الحكم قائدة في مدينة طلبيـرة

---

[1] ابن خلدون: العبر 159/4- 160، ابن الأثير: الكامل في التـاريخ 94/5، النـويري: نهايـة الأرب 200/23.

[2] ابن الآبار: الحلة السيراء 43/1، ابن عذاري: البيان المُغرب 65/2-68، ابن خلدون: العبـر 160/4، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 101/5، النويري: نهاية الأرب 210/23، ابن سعيد: المُغـرب 13/1، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 15/2-16، الأحاطة 269/1-270، المقري: نفح الطيب 338/1.

[3] للمزيد عن وقعة الربض انظر: (ابن عِذاري: البيان المُغرب 75/2-77، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 172/5، النويري: نهاية الأرب 217/23- 218، ابن الآبار: الحلة السيراء 44/1-45، المقري: نفح الطيب 339/1، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 17/2، الإحاطة 270/1، ابن سعيد: المُغرب 15/1، ابن خلدون: العبر 161/4- 162).

[4] اختلفت المصادر حول اسم قائد تلك الثورة. فعند ابن الأثير في الكامل 105/5، ورد: عُبيدة بن حميد، وعند ابن خلدون في العبر. ==

من أعمال طليطلة لإخماد هذه الثورة وهو (**عمروس بن يوسف**)[1]، فحاصره عمروس، واستعمل معه الخديعة، باستمالة بني مخشي من أهل طليطلة، فقتلوا عُبيدة بن حميد قائد التمرّد، وأرسلوا برأسه إلى عمروس، وأنزل بني مخشي عنده في طلبيرة، لكن البربر قتلوهم بثأر كان بينهم، فأرسل رؤوسهم إلى الحكم بقرطبة مع رأس عبيدة، وكتب إليه يخبره بأمرهم[2]. ورغم ذلك فلم ينثني أهالي طُليطلة عن عادتهم، وعادوا لخلع طاعة الحكم، والتمرّد على ولاتِهِ، آخذين بالاعتبار حصانة بلادهم ومنعتها، فطمعوا بالأمراء، وخلعوهم مرةً بعد مرةٍ، حتى أعيا الحكم أمرهم، فأوقع بهم الحكم الوقعة المشهورة في التاريخ وهي وقعة الحفرة، فكان قد ولّى على طليطلة هذه المرة عمروس بن يوسف السالف الذكر، الذي اطمأن له الحكم لإخلاصه للإمارة الأموية وكان ذلك سنة 191هـ/807م. وللحديث عن

ورد: (عُبيدة بن عُمير) وعند النويري في نهاية الأرب 11/23.

ورد: (عبيدة بن حُمير)، وعند ابن عِذاري في البيان المُغرب 69/2، ورد: (عبيدة بن حميد) وعند ابن سعيد في المُغرب 15/2، ورد: (عبيدة بن حُمير).

[1] هو عمروس بن يوسف من المولدين، كان في خدمة سليمان بن يقضان الإعرابي صاحب سرقسطة في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن، وفي سنة 175هـ/ 791-792م، ثار سليمان بن يقضان على الإمارة الأموية بقرطبة، فأرسل إليه هشام عبيد الله بن عثمان فحاصره في سرقسطة، وطال الحصار عليها،وملّ أهلها من هذا الحصار، وخرج ابن مطروح يوماً إلى الصيد، ومعه عمروس بن يوسف وابن صلتان، فأخذاه على حين غرّة وقتلاهُ، وأرسلا برأسه إلى عبيد الله بن عثمان، وكان عمروس قد ولاّه الأمير الحكم بن هشام على طلبيرة (Talavera) للمزيد (ابن عِذاري: البيان المُغرب 63/2، ابن خلدون: العبر 159/4 طبعة دار الفكر، بيروت، 1981م، العذري: نصوص عن الأندلس، ص26-29، طبعة مدريد، 1965م، النويري: نهاية الأرب 207/23- 208.

[2] للمزيد: ابن عِذاري: البيان المُغرب 69/2- 70 أحداث سنة 181هـ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 105/5، ابن خلدون: العبر 161/4، النويري: نهاية الأرب 211/23، ابن سعيد: المُغرب 15/1، ابن الخطيب: الإحاطة 270/1، أعمال الأعلام 16/2، المقري: نفح الطيب 340/1، العذري: نصوص عن الأندلس ص27، عنان: دولة الإسلام في الأندلس القسم/1، ص239، حسين، حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص45-46.

Lévi Provencal: Histoire de L'Espange Musulmone, vol, I, p.154.

تفاصيل هذه الوقعة نورد النص الكامل الذي أورده ابن الأثير قال: (في هذه السنة أوقع الأمير الحكم بن هشام الأموي صاحب الأندلس بأهل طليطلة فقتل منهم ما يزيد على خمسة آلاف رجل من أعيان أهلها، وسبب ذلك أن أهل طليطلة كانوا قد طمعوا في الأمراء وخلعوم مرة بعد أخرى وقويت نفوسهم بحصانة بلدهم وكثرة أموالهم فلم يكونوا يطيعوا أمراءهم طاعة مرضية، فلما أعيا الحكم شأنهم أعمل الحيلة في الظفر بهم فاستعان في ذلك بعمروس بن يوسف المعروف بالمولد، وكان قد ظهر في هذا الوقت بالثغر الأعلى فأظهر طاعة الحكم ودعا إليه فاطمأنَّ إليه بهذا السبب، وكان من أهل مدينة وشقة. فاستحضره فضحر عنده فأكرمه الحكم وبالغ في إكرامه وأطلعه على عزمه في أهل طليطلة وواطأه على التدبير عليهم فولاه طُليطلة وكتب إلى أهلها يقول: إني قد اخترت لكم فلاناً وهو منكم لتطمئن قلوبكم إليه وأعفيتكم ممن تكرهون من عمّالنا ومواليناو لتعرفوا جميل رأينا فيكم، فمضى عمروس إليهم ودخل طليطلة فانس به أهلها واطمأنوا ليه وأحسن عشرتهم، وكان أول ما عمل عليهم من الحيلة أن أظهر لهم موافقتهم على بغض بني أمية وخلع طاعتهم فمالوا إليه ووثقوا بما يفعله، ثم قال لهم، أن سبب الشر بينكم وبين أصحاب الأمير إنما هو اختلاطهم بكم وقد رأيت أن ابني بناء اعتزل فيه أنا وأصحاب السلطان رفقاً بكم فأجابوه إلى ذلك فبنى في وسط البلد ما أراد فلما مضى لذلك مدة كتب الأمير الحكم إلى عامل له على الثغر الأعلى سرّاً يأمره أن يرسل إليه يستغيث من جيوش الكفرة وطلب النجدة والعساكر ففعل العامل ذلك، فحشد الحكم الجيوش من كل ناحية واستعمل عليهم ابنه عبد الرحمن وحشد معه قوّاده ووزراءه، فسار الجيش واجتاز بمدينة طليطلة ولم يعرض عبد الرحمن لدخولها، فأتاه وهو عنده الخير من ذلك العامل أن عساكر الكفرة قد تفرقت وكفى الله شرها فتفرق العسكر وعزم عبد الرحمن على العودة إلى قرطبة فقال عمروس عند ذلك لأهل طليطلة: قد ترون نزول ولد الحكم إلى جانبي وأنه يلزمني الخروج إليه وقضاء حقه فإن نشطتم لذلك وإلا سرت إليه وحدى، فخرج

معه وجوه أهل طليطلة فأكرمهم عبد الرحمن وأحسن إليهم، وكان الحكم قد أرسل مع ولده خادماً له ومعه كتاب لطيف إلى عمروس فأتاه الخادم وصافحه وسلم الكتاب إليه من غير أن يحادثه، فلما قرأ عمروس الكتاب رأى فيه كيف تكون الحيلة على أهل طليطلة فأشار إلى أعيان أهلها بأن يسألوا عبد الرحمن الدخول إليهم ليرى هو وأهل عسكره كثرتهم ومنعتهم وقوتهم فظنوه ينصحهم ففعلوا ذلك وأدخلوا عبد الرحمن البلد، ونزل مع عمروس في داره وأتاه أهل طليطلة إرسالاً يسلمون عليه، وأشاع عمروس أن عبد الرحمن يريد أن يتخذ لهم وليمةً عظيمة وشرع في الاستعداد لذلك وواعدهم يوما ذكره وقرر معهم أنهم يدخلون من باب ويخرجون من آخر ليقل الزحام ففعلوا ذلك، فلما كان اليوم المذكور أتاه الناس أفواجاً فكان كلما دخل فوج أخذوا وحملوا إلى جماعة من الجند على حفرة كبيرة في ذلك القصر فضربت رقابهم عليها، فلما تعالى النهار أتى بعضهم فلم ير أحداً فقال: أين الناس؟ فقيل: إنهم يدخلون من هذا الباب ويخرجون من الباب الآخر فقال: ما لقيني منهم أحد وعلم الحال وصاح واعلم الناس هلاك أصحابهم فكان سبب نجاة من بقى منهم، فذلت رقابهم وحسنت طاعتهم بقية أيام الحكم وأيام ولده عبد الرحمن، ثم انجبرت مصيبتهم وكثروا فلما هلك عبد الرحمن وولى ابنه محمد عاجلوه بالخلع على ما نذكره)[1].

---

(1) هذا النص موجود عند ابن الأثير في الكامل في التاريخ 5/124-125، النويري: نهاية الأرب 23/214-215، نقلاً عن ابن الأثير: وللمزيد: ابن خلدون: العِبر 4/162 في خبر مختصر، ابن عِذاري: البيان المغرب 2/69-70، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/16، في خبر قصير، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص65-66، طبعة دار الجامعيين للنشر، بيروت، 1957م، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/1، ص238- 241، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص222، العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص129-130، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص728، حسين، حمدي عبدالمنعم حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص47-49.

Lévi Provencal: Histoire de L'Espange Musulmone, vol,Ip.156-158.
Dozy: Histoire des Musulmanes d'Espange vol, I, p.291-294.

بعد ثمانية أعوام من وقعة الحفرة تقريباً، أي سنة 199هـ/ 814م، كانت لأهل طليطلة ثورةً جديدة، في عهد الحكم بن هشام، فلم تكن تلك السنوات الثمانية إلاّ الهدوء الذي يسبق العاصفة، وما كان رمادُ أهل طليطلة الذي خلفته وقعة الحفرة إلاّ مَكْمَناً لجمر بداخله، توهجَّ شيئاً فشيئاً حتى اشتعل واضطرمت ناره. وهذا نص أورده ابن عِذاري يحدثنا عن ثورة أهالي طليطلة، حيث استخدم معهم هذه المرة كذلك الحيلة. قال ابن عِذاري: من خلال حديثه عن أحداث سنة 199هـ: (**وذلك أنه أظهر الغزو إلى بلاد المشركين، وقصد تُدمير، وهو يريد في نفسه طُليطلة، فنزل تُدمير، واضطرب فيها، ونازَلَ بعض حصونها، وكتب إلى عمّال الثغر بنزوله فيها وحربه لها؛ فأمِنَ أهل طُليطلة، وانتشروا في بسائطهم، ونظروا في زروعهم وله عليهم عيون. فلما صح عنده انبساطهم، جعل يتغرّب من أحواز تدمير. وأخبار طليطلة ترد عليه. فلما أمكنته الفرصة فيها، جد السير إليها، وطوى المراحل، فوصل إليها ليلاً، وسبق بقطيع من الحشم. فدخل طليطلة ليلاً ولم يُعْلَمْ بدخوله، وأهلها في غفلة، وأبوابها مفتحة. وتتابع العكسر عليه بمقدار قوة كل أحد، فملكها، وحالَ بين أهلها وبينها، وقطع الخروج عمن كان بها على من كان بخارجها، فاستوسق له ملكها دون مؤنة ولا قتال فاستنزل أهلها من الجبال إلى السهل، وحرّق ديارها، وسكّنهم في الصحراء ثم ردهم إليها**)[1].

وقد ذكر كذلك ابن سماك العاملي في كتابه الزهرات المنثورة؛ أنَّ جزءً من أهل ربض قرطبة الذين أوقع بهم الحكم سنة 202هـ بوقعة الربض الثانية المشهورة وكانوا قد فرّوا إلى طليطلة، فاستنفروا بها، وكان لهم ثورة ضد الحكم مع أهالي طُليطلة. (**... فرّوا إلى طليطلة واعتاموها، لأجل خلاف أهلها على الخليفة الحكم فاستنفروا فيها حتى أوقع بعد ذلك بأهلها وبهم في الجملة**) ويفهم من حديثه

(1) ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/75-77، ابن سعيد: المُغرب 1/15.

أنّهم قاموا بتحريض الأهالي حتى أرسل لهم الحكم من يؤدبهم[1] وعند ابن سعيد: (... **فلحق جمهور منهم بطليطلة وكاتبوا مهاجر بن القتيل الذي كان قد لحق بدار الحرب، وولوه عليهم،..)**[2].

طُليطلة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط)

(206هـ/822م- 238هـ/852م)

كانت وفاة الأمير الحكم بن هشام (الربضي) يوم الخميس لأربع بقين من ذي الحجة من سنة ستٍ ومائتين (206-هـ/ 822م)؛ حيث بويع ولده عبد الرحمن (الأوسط) في نفس اليوم، وتسلّم إمارة الأندلس [3]، ودخلت طليطلة في طاعته كغيرها من المدن الأندلسية، إلا أنّها أبت إلا أن تخالف وتخرج عن الطاعة، وهذه المرة ثار بها هاشم الملقب بالضراب وكان ذلك سنة 214هـ/ 829م، وكان هاشم هذا من الذين نقلهم الحكم الربضي إلى قرطبة بعد وقعة الحفرة، وصار يضرب بالمعول في الحدادين أجيراً، فعُرف بالضراب، وخرج من قرطبة إلى طليطلة، واجتمع إليه أهل الشر والفساد بعد أن استدعاهم لذلك، وأخذ يبسط نفوذه خارج طليطلة، وذلك بإغارة أتباعه على البربر والعرب، وسمع به أهل الشر والفساد فقطعوا إليه، حتى اجتمع له منهم خلق عظيم، فعلا ذكره في البلاد، وأغار على بربر شنتيريه (santãver) التي تقع شمال شرق طليطلة بالقرب من منابع نهر تاجه (Tajo) وأوقع بالبربر، وكان له عليهم دوائر، فأرسل له الأمير عبد الرحمن

---

(1) ابن سماك العاملي: الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، نشر وتحقيق محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد21، الزهرة 75، ص43، مجهول: أخبار مجموعة، ص130- 131، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص72-74، طبعة دار النشر للجامعيين، بيروت، 1973م.

(2) ابن سعيد: المُغرب 15/1-16.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 203/5، ابن عِذاري: البيان الغرب، 77/2، ابن خلدون: العبر 163/4، النويري: نهاية الأرب 219/23، 220، ابن سعيد: المُغرب 18/1، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 19/2، ابن الآبار: الحلة السيراء 113/1، المقري: نفح الطيب 344/1.

(الأوسط) جيشاً بقيادة محمد بن رستم[1] عامله على الثغر الأدنى، إلا أن ابن رستم فشل في القضاء على الضرّاب وشرذمته، وباتَ الضرّاب يهددُ الثغر الأدنى كلـــه، وصارت له شوكةً، فأغضب ذلك الأمير عبد الرحمن، وكاتبه بكتابٍ يعنّفـــه فيـــه، ويبيّن تقصيره، وفي سنة 216هــ، أمدّه الأمير عبدالرحن بجــيشٍ كبيـــر، وأمـــره بالسير للقضاء على هاشم وإخضاعه، والتقى الفريقان على مقربـــةٍ مـــن حصـــن

---

(1) هو: محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم مولى الغَمْر بن يزيد بن عبدالملك، كان أبوه قد دخل الأندلس، وكان محمد بن سعيد في ناحية الجزيرة، اصطنعه عبد الرحمن بن الحكم فـــي إمارتـــه على شذونه من قِبل أبيه الحكم، فكان يأنس به في بعض الأحيّان، وعندما ولي الأمير عبـــد الـــرحمن إمارة الأندلس استقدمه وصرفه في الحجابة والوزارة، وفي سنة 214هـــ/ 829 عهد إليه الأمير عبـــد الرحمن بحكم طليطلة الثغر الأدنى عندما نشبت ثورة هاشم الضراب، ثم أرسل إليـــه الأميـــر يعنفـــه ويتهمه بالتقصير في قمع هاشم وثورته، فالتقى محمد بن سعيد بهاشم ثانيةً، وهزمه وقتل الآلاف ممـــن معهُ، وفي سنة 230هـــ/844، كان أحد القواد الذين تصدوا لمراكب المجوس التـــي حلّـــت بإشـــبيلية، وكانت وفاته سنة 235هـــ، وكان أديباً حكيماً لاعباً للشطرنج، (للمزيد عن محمد بن رستم: ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص448- 449، التعليق رقم87، ابن الآبار: الحلـــة الســـيراء 372/2- 373، ابن عِذاري: البيان المُغرب 87/2-88، العذري: نصوص عـــن الأنـــدلس، ص99- 100).

أما أسرة بني رستم التي ولي بعض أفرادها الوزارة والقيادة للأمويين في الأندلس؛ تنتهي إلـــى عبـــد الرحمن بن رستم الفارسي مولى الغمر بن يزيد ابن عبدالملك، وهو مؤسس الدولة الرستمية في تاهرت بالمغرب الأوسط؛ ونحن نعلم أن العلاقات بين الدولة الرستمية الخارجية المذهب والأمـــويين بقرطبـــة كانت دائماً تتميز بالمودة والصداقة، فقد كان أمراؤها بحكم عداوتهم لجيرانهم الأغالبـــة فـــي افريقيـــة وللأدارسة في المغرب الأقصى، يَرَوْنَ أن السياسة تقضي بتوثيق علاقاتهم بقرطبة الأموية، وفي ســـنة 207هـــ/823 م قدم على عبد الرحمن ابن الحكم بنو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم صـــاحب تاهرت فاستقبلوا استقبالاً فخماً أنفق فيه الأمير الأندلسي عليهم ألف ألف دينار (ابن سعيد في المغـــرب 19/1) ويبدو أن بعض بني رستم قد استقروا في الأندلس من قبل بحكم هذه العلاقـــات الطيبـــة بـــين المملكتين، فابن الآبار يذكر أن أول من دخل الأندلس منهم هو سعيد بن محمد بن عبد الـــرحمن بـــن رستم حفيد منشئ الدولة. وللمزيد عن أسرة بني رستم انظر: (ابن حيّان: المقتبس من تحقيق د. محمود علي مكي، ص 448- 449، التعليق رقم 87، ابن سعيد: المغرب 19/1، أحداث سنة 207هـــ، ابـــن الآبار: الحلة السيراء 372/2- 373، Léviprovencal: Histoire, Vol, I, p.248.

سمسطا. بمجاورة رورية، وبعد معاركٍ بينهما قضى الله أن تكون الهزيمة على هاشم ومن معه، وقتل مع جملةٍ من أعوانه في المعركة[1].

لكن مقتل زعيمهم الضراب لم ينهي أمرهم، بل استمرت ثورتهم، ففي سنة 219هـ/ 834م أرسل عبد الرحمن بن الحكم جيشاً لقتالهم واستئصال شأفتهم، وكان الجيش بقيادة أخيه أمية بن الحكم. قال ابن الأثير من خلال حديثه عن أحداث سنة 219هـ.

(في هذه السنة سيّر عبد الرحمن بن الحكم الأموي صاحب الأندلس جيشاً مع أمية بن الحكم إلى مدينة طليطلة فحصرها وكانوا قد خالفوا الحكم وخرجوا عن الطاعة واشتد في حصرهم وقطع أشجارهم وأهلك زروعهم فلم يذعنوا إلى الطاعة فرحل عنهم، وأنزل بقلعة رباح جيشاً عليه ميسرة المعروف بفتى أبي أيوب؛ فلما أبعدوا منه خرج جمع كثير من أهل طليطلة لعلهم يجدون فرصة وغفله من ميسرة فينالون منه ومن أصحابه غرضاً، وكان ميسرة قد بلغه الخبر- فجعل الكمين في مواضع، فلما وصل أهل طليطلة إلى قلعة رباح للغارة، خرج الكمين عليهم من جوانبهم ووضعوا السيف فيهم، وأكثروا القتل وعاد من سلم منهم منهزما إلى طليطلة، وجمعت رؤس القتلى وحملت إلى ميسرة فلما رأى كثرتها عظمت عليه وارتاع لذلك ووجد في نفسه غماً شديداً فمات بعد أيام يسيره)[2].

---

[1] للمزيد: ابن عِذاري: البيان 83/2، ابن خلدون: العبر 164/4، وقد ذكر أن ثورة الضراب كانت سنة 215هـ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 219/5، النويري: نهاية الأرب 222/23، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/1، ص258، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 230، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص53-55.

Lévi Provencal: Histoire de L'espange Musulmone, vol, p.201.

[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ 232/5- 233، النويري: نهاية الأرب، 222/23، نقلاً عن ابن الأثير، ابن عِذاري: البيان المُغرب 84/2، ابن خلدون: العبر 164/4- 165، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/1، ص258-259، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص230- 231، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص55-56.

Léviprovencal: Histoire, vol, p.201.

ويذكر لنا كذلك ابن الأثير أن هذه السنة كان فيها ثورة وفتنة من أهالي طليطلة تعرف بملحمة العروس قتل فيها الكثير من أهل طليطلة[1].

ثم كان للأمير عبد الرحمن كرةً أخرى على أهل طليطلة في عام 220هـ/ 835م، قال ابن الأثير: (**ثم سيَّر عبد الرحمن جيشاً في سنة عشرين ومائتين فقاتلوا ولم يظفروا منها بشيء. فلما كان في سنة إحدى وعشرين ومائتين، خرج جماعة من أهلها إلى قلعة رباح وبها عسكر لعبد الرحمن فاجتمعوا كلهم على حصار طليطلة وضيّقوا على أهلها واشتدّوا في حصارهم إلى سنة اثنتين وعشرين ومائتين، فسيّر عبد الرحمن أخاه الوليد بن الحكم فرأى أهلها وقد بلغ بهم الجهد كل مبلغ، واشتد عليهم طول الحصار وضعفوا عن القتال والدفع، ففتحها عنوة يوم السبت لثمان خلون من شهر رجب منها، وأمر بتجديد القصر على باب الجسر الذي كان هدم أيام الحكم، وأقام بها آخر شعبان سنة ثلاث وعشرين حتى استقرت قواعد أهلها**)[2].

طُليطلة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن

(**238هـ/ 852م- 273هـ/ 886م**)

بويع للأمير محمد بن عبد الرحمن لأربع خلون من ربيع الآخرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين (238هـ/ 852م) بعد وفاة والده الأمير عبد الرحمن (الأوسط)، وكان والده قد رشح أخاه عبد الله ابن طروب لولاية العهد، وكان عبد الله مستهتراً منهمكاً في اللذات، فاتفق أولو العقل على مبايعة محمد بدلاً من أخيه عبد الله، وكان الأمير محمد محبّاً مؤثراً لأهل البيت الحديث، عارفاً حسن السيرة[3].

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 233/6، وهذه الفتنة لم يذكرها النويري الذي ينقل عن ابن الأثير حرفياً.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 232/5، وللمزيد ابن عِذاري: البيان المُغرب 84/2- 85، ابن خلدون: العبر 165/4، النويري: نهاية الأرب 223/23. نقلاً عن ابن الأثير، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/1، ص 259، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص231.
Léviprovencal: Histoire, vol, I, p.201- 202.

(3) ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 93، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 292/5، ابن سعيد: المُغرب 22/1، ابن خلدون: العبر 4/ 167، النويري: نهاية الأرب 226/23-227، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 21/2-22، ابن الآبار: الحلة السيراء 119/1، المقري: نفح الطيب 350/1.

كانت أخبار وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط)؛ قد علم بها أهل طليطلة في اليوم الثالث، وكانَ بها سعيد ابن الأمير عبد الرحمن، والعامل عليها حارث بن بزيع، فأعلن أهل طليطلة الثورة منتهزين هذه الفرصة، وقد تزعم حركة أهل طليطلة أحد الذين فرّوا من قرطبة، وهو مشنوؤه ابن مطرف، وكان معه صاحبه ابن بشير وهو من المولدين، كان مرتهناً بقرطبة ففرّ وأقام بجبل الأخوين، الواقع بالهضبة القريبة من مدينة طليطلة (بادية طليطلة)، وانضم إليهم من أهل الشقاق والنفاق، وأصحاب السوابق بالشر والعصيان، ثم كاتب أهل طليطلة للوثوب بسعيد ابن الأمير عبد الرحمن ومن معه من رجال السلطان، فتم له ذلك، ونكثوا العهود، وفي يوم السبت الرابع عشر من ربيع الأول من سنة 238هـ 852م، وقت صلاة الظهر؛ نبذوا الطاعة، وأعلنوا التمرّد والعصيان، وأقبل مشعل نار فتنهم ابن مطرف مع شرذمته يوم الأحد، وبدأت المعركة بين سعيد وحارث بن بزيع والحامية الأموية من جهة، وابن مطرف وأهل الفتن بطليطلة من جهة أخرى، لكن الحامية الأموية لم تتمكن من دحرهم، مما اضطروهم إلى فتح باب القنطرة، فخرج منه سعيد ابن الأمير عبد الرحمن ونجا، أما العامل حارث بن بزيع فقد أسروه، ولم يطلقوا سراحه، حتى أطلق الأمير محمد سراح رهائنهم الذين فيهم سجون قرطبة[1].

وبعد سنة من الحادثة، أي سنة 239هـ/ 853م؛ جهزّ الأمير محمد بن عبد الرحمن جيشاً، وجعل عليه أخاه الحكم بن عبد الرحمن إلى قلعة رباح من أعمال طليطلة، وكان أهل طليطلة قد خرّبوا أسوارها، وقتلوا كثيراً من أهلها، فأقفرت. فاحتلها الحكم بالجيش، وأصلح أحوالها، وأعاد إليها من فارقها من أهلها، وترك

---

[1] ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، بيروت، 1973م، ص292- 293، ابن عذاري: البيان المُغرب 94/2، في خبر قصير، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/1/ ص291- 292، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص244، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص59، Lévi Provencal: Histoire, vol,1, p.291 .

عندهم أعداداً من الجيش كحاميةٍ لها، وجال بالصائفة ديار أهل الخلاف في طليطلة، وعاث فيها[1] وفي العام نفسه في شهر شوال كان لأهل طليطلة فعلةً مشينةً، حيث خرجوا من كمائنهم عندما حلّ الجيش الذي أرسله الأمير محمد إلى شندلة[2] بأندوجر[3] وكان على هذا الجيش قاسم بن العباس[4]، وتمام بن أبي العطاف، حيث كثر القتل في جيش الأمير محمد، وانهزم قاسم وتمام وأصيب في العسكر، وفي ذلك يقول صفوان بن العباس أخو القاسم المذكور [الرمل]:

ضَرَطَ القاسمُ يوماً ضرطةً في القَرْميط
ماتَ منها كلُّ حوتٍ كانَ في البحر المحيط

وكانت هذه الوقعة يوم السبت لسبع بقين من شوال من سنة 239هـ/ 853م[5].

---

[1] ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، بيروت، 1973م، ص 293- 294، ابن عِذاري: البيان المُغرب 94/2، ابن خلدون: العبر 4/ 167، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، عنان: دول الإسلام في الأندلس، القسم/1، ص 292، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص245، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص60. Lévi Provencal: Histoire, vol, I, p.292.

[2] **شندلة**: اسم لنهر معروف اليوم باسم Jāandula وهو فرعٌ من فروع نهر الوادي الكبير يصبُّ في هذا النهر على مقربةٍ من أندوجر وباسم هذا النهر سميت قلعة كان موقعها ينبغي أن يكون على مقربة من أندوجر المذكورة، وهي التي ذكرها ابن حيّان وابن عِذاري باسم حصن سندلة (ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص586- 587، التعليق رقم477.

[3] أندوشر: أو أندوجر (بالأسبانية الآن Andujar) مدينة من أعمال جيان Jaen تقع على نهر الوادي الكبير، وهي تبعد بنحو أربعين كيلو متر إلى الشمال الغربي من جيّان. (ياقوت الحموي: معجم البلدان 264/2، ابن حيّان: المقتبس، ص591، التعليق رقم 486.

[4] هو القائد قاسم بن العباس بن عبد الله بن عبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم المرواني القرشي.

[5] ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، بيروت، 1973، ص294، ابن عِذاري: البيان المُغرب 94/2، ابن خلدون: العبر 4/ 167، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 5/ 239، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/1، ص292، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص245، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص60. Lévi Provencal: Histoire, vol, I, p.292.

وعلى إثر هذه الوقعة افترق أهل حاضرة جيّان عنها لفرط مخافتهم على أنفسهم، فتعرّقوا عنها وزالوا عن الجبل، ولهذا السبب بنى الأمير محمد حصن أبدة (Ubeda)[1] بكورة جيّان، وضم إليه العرب المقيمي على الطاعة، فسميّت أبدة العرب بذلك، وعيّر الناس ابن أبي العطاف وصاحبه قائدي خيل السلطان بقبح فرارهما عن عَدوه وقلة غنائهما عن سلطانه[2].

وفي سنةِ 240هـ/ (يونيو سنة 854)؛ خرج الأمير محمد بن عبد الرحمن بنفسِهِ لأهل طليطلة، وهي أو غزوةٍ له منذ توليه إمارة الأندلس سنة 238هـ/ 852م، وعندما علم أهل طليطلة بمقدم الأمير محمد نحوهم، كاتبوا أردون الأول بن رذمير ملك جليقية واشتوريش (236- 252هـ/ 850-866م)، واستغاثُوا بِهِ فبعث إليهم أخاه غشتون، أوغتون Gaston أو Gaton على رأس جيش كبير من النصارى، ولقيهم الأمير محمد بوادي سليط[3]. وقد أورد ابن حيان أحداث لقاء الأمير محمد مع أهل طليطلة سنة 240هـ قال: (**قال عيسى بن أحمد الرازي. قال**

---

[1] أبَّدة Ubeda: عُبّادة العرب Ubbadat al-Arab: تلفظ بالذال المعجمة كذلك، وهي مدينة صغيرة تبعد عن بياسه Baoza سبعة أميال إلى الشمال الشرقي منها، تقع على مقربة من نهر الوادي الكبير، أشار الزهري إلى أنها قديمة وهي من المدن التي تصالح عليها موسى بن نصير مع تدمير ملك الروم. (الزهري: الجغرافية، ص100) وتشير مصادر أُخرى إلى أنّها بنيت في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وقد حصنّها الأمير محمد بن عبد الرحمن، وقد اشتهرت هذه المدينة بكروم العنب، وكانت أبدة من المناطق التي سيطر عليها عمر بن حفصون الثائر على بني أمية واستعادها الخليفة عبد الرحمن الناصر، وبقيت بحوزة المسلمين حتى سقطت بيد فردناندو الثالث ملك قشتالة سنة 631هـ/ 1233م بعد حصار دام ستة أشهر (للمزيد: ياقوت الحموي: معجم البلدان 64/1، الحِميْري: الروض المعطار، ص6، العذري: نصوص عن الأندلس، ص170، الزهري: الجغرافية 98-100، المقري: نفح الطيب 142/1، 217/3، ابن حيّان: المقتبس 65/5، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/2، ج/1، ص 569، عنان: نهاية الأندلس، ص 16، 27، وفيه أن ملك غرناطة محمد الخامس هاجمها سنة 1368م لكنه لم يتمكن من احتلال قصبتها.

[2] ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، بيروت، 1973م، ص294.

[3] وادي سليط (Guazalete) نهر صغير متفرع من نهر وادي تاجه (riotajo)، وهو يخترق سهلاً يقع في جنوب غربي طُليطلة (ابن حيّان: المقتبس، ص592 تعليق رقم 490.

Léviprovencal; Histaire, vol,1 p.203

فرج بن سلام: كان العتاة أهل طليطلة الذين مردوا على نفاق الأئمة أول من نكث بالأمير محمد بن عبد الرحمن، لأول إجماع الناس عليه، فخالفوهم فيه، ولم يؤثروه ببيعة، ونصبوا الحرب له من بين أهل الأندلس، وكانوا أول من استجاش بالمشركين جيرانهم نصارى أهل دار الحرب على المسلمين إخوانهم، واستمدوهم عليه، فأخرجوا منها جمعاً عظيماً للقاء الأمير محمد عندما نهد إليهم بصائفة سنة أربعين ومائتين، وكانت هذه الغزاة أول غزاة غزاها محمد بنفسه، وحفل لها بنفسه، فاحتفل الفسقة للقائه، وقايضوه في اعتزامه، وصاروا عن طليطلة نحوهُ يبغون صده عن وجهه والإيقاع به وبمن معه. فأعظم المسلمون ما أتوا به من الاستجاشة بالعدو، واستبصر أولو الصلاح في قتالهم، ولم يتثاقلوا عنهم، فخرج كثير من أهل الحسبة منهم مع الأمير محمد منبعثين من ذاتهم رجالاً وركباناً يطلبون الشهادة في وجهتهم، فلما التقى الفريقان بوادي سليط من أرض المارقين الذي تنسب إليه الوقعة احتال الأمير محمد عليهم بتكمين أكثر جنوده، وراح عليهم في الأقل من عديده، فتبادروا نحوه لا يشكون في الظفر به وبمن معه. فلما نشبت الحرب وظهرت الكمائن وتتابعت الردود من عن يمين وشمال سقط في أيديهم وخانهم صبرهم، فانهزموا لا يلوون على شيء، وأخذهم السيف، ودارت بهم الدوائر.... وشعار نبيه ﷺ، وليخشَ كل واحد منكم أن تؤتى هذه العصابة من قِبَلِهِ اليوم، فيمحي الدين من هذه الجزيرة) [1]! فشحذ كلامه من نياتهم، ونهضوا عنه لشأنهم، فرفع محمد يديه إلى السماء، وقال اللَّهُمَّ أيِّد دينك، وانصر وَلِيَّك، وتمم وعدك، واخذل من عاندك وحادّك! قال: فاختلط الفريقان لوقتهم، واجْتَلَدُوا مَلِياً بصِدْقٍ ما رُئِيَ أحدٌ منه، وأبلى أهل الأحساب وأصحاب البصائر الصادقة بلاءً لا شيء فوقه، فهزم الله أهل طليطلة ومددهم من المشركين حين انتصف النهار هزيمةً لم تكن لها عطفة، وأخذت السيوف الحرار [2] مأخذها منهم، فما حانت صلاة الظهر إلا وعلى باب الرواق من رؤوسهم أحد عشر ألفاً، وقد قيل أكثر من ذلك، وأسر من مددهم كثير من القسيسين قدموا فضربت أعناقهم، وأخذ

---

[1] يظهر أن هذه الجمل إنما هي بقية خطبة ألقاها الأمير محمد في عسكره قبل المعركة لإثارة الحماسة في نفوسهم حتى يستبسلوا في قتال أعدائهم (ابن حيّان: المقتبس ص297، الحاشية رقم1).

[2] الحرار: العطاش.

المسلمون صلبانهم فنكسوها وكسروها. وذكر حجاج بن عمر بن العريف قال: لم يبرح الأمير محمد عن المنبر الذي وضع بين يدي الرواق حتى فتح الله عليه، وكومت الرؤوس بين يديه، فأمر بقناة طويلة، فوضع عليها رأس برمند القس[1] زعيم جميع النصارى، وركزت القناة قدام باب الرواق، وأمر بالرؤوس المحتزة فأحدقت حولها وتراصت وذروتها تعتلي حتى استوت مع السنان، فشوهد من كثرتها ما لم يكن يعهد بمثله، وحان أذان الظهر، فأمر الأمير محمد المؤذن، فاستعلى فوق ذروة الكوم، ونادى بالآذان من أعلاها؛وكتب الله للأمير محمد ومن معه من المسلمين نصراً لا كفاء له...[2]. البلاد، وهنأته به الخطباء، وامتد [حته] [حته] به الشعراء، كان من ذلك ما قاله عباس بن فرناس من قصيدة له] [الطويل].

[ومُخْتَلِف الأصوات مُؤتَلِف الزَّحفِ ... لَهومِ الفلا عَبْلِ القنابِلِ مُلْتَفِّ
إذا أومَضَتْ فيه الصَّوارم خِلْتَها ... بُرُوقاً تراءَى في الجهامِ وتَسْتخفي][3]
كأنَّ ذُرى الأعلامِ في سَيلانِهِ ... قَراقيرُ يَمّ[4] قد عَجزْنَ عن القَذْفِ
وإنْ طَمَحَتْ أركانُهُ[5] كان قُطْبُهُ[6] ... حِجى مَلِكٍ نَجْدِ شَمائلُهُ عَفِّ
سَمِيِّ خِتامِ الأنبياءِ مُحَمَّدٍ ... إذا وُصِفَ الأملاكُ جَلَّ عن الوَصْفِ
فَمِنْ أجْلِهِ يومَ الثُّلاثاءِ غَدْوَةً[7] ... وقد نَقَضَ الإصباحُ جُلَّ[8] عُرى السَّجفِ
بَكى جَبلا وادي سَليطٍ فأعْولا ... على النَّفَرِ العُبْدانِ والعُصبةِ الغُلْفِ

---

[1] عند ابن عذاري ورد اسمه غشتون أوغتون (Caston أو Caton) غير ما يسميه ابن حيّان هنا (Veremundo) ابن حيّان: المقتبس، ص592، التعليق رقم 491).

[2] هكذا من المصدر المحقق.

[3] أثبت البيتين الأولين من هذه القصية ابن عذاري في البيان المغرب (111/2) وابن عبدربه في العقد الفريد 4/ 495 -496.

[4] كذا جاء بهذا الشطر أيضاً في العقد الفريد، وفي البيان المغرب "قراقير في يم عجزن عن القذف".

[5] في البيان: "طحنت أرحاؤها"، وفي العقد: "جحنت أركانه".

[6] في البيان والعقد "قطبها".

[7] في العقد: غزوة.

دَعاهُمْ صَرِيخُ الحينِ[9] فاجتمعوا لهُ ... كما اجتَمعَ الجعلانُ[10] للبعَر القُفّ[11]

يُريدون إرعابَ الأميرِ جهالةً ... بسعر كلابِ الحربِ في حشوةِ العصفّ[12]

[فما كان إلا أن رماهُم ببعضها ... فولَّوا على أعقاب مهزولةٍ كُشفِ] [13]

كأنَّ مساعيرَ الموالي عليهمُ ... زماميجُ حادت للغرانيق بالنَّشف[4]

بنفسي تنانين[1] الوغى حين صممت ... إلى الجبل المشحونِ صفّاً على صف

يقول ابن بُلوشٍ لموسى وقد دنا[2]: ... أرى الموت قُدَّامي وتحتي ومن خلفي

قتلناهم الفاً وألفاً ومثلها ... وألفاً وألفاً بعد ألف إلى ألف

سوى من طواه النّهر في مُسلَحِّبِهِ ... فأُغرقَ فيه أو تَدَهْدَهَ من جُرُفِ[5]

لقدْ نعمتْ فيه غزاةُ نُسورنا ... وسمَّعتِ الذُّؤبانُ قصفاً على قصفِ

وجارت ثنايا فيه اغير ما يدِ[3] ... غداة قفلنا من نُسورِهِمُ العُجفِ

---

[8] في البيان: حبل، وفي العقد: حل.

[1] في العقد: تنانير.

[2] في البيان: "يقول أبو يوليش لموسى وقد ونى"، وفي العقد: "... إن بليوس... ولى".

[3] كذا ورد هذا الشطر في الأصل، وقد يكون "وحازت ثناياها على غير ما يد"، ولم يرد هذا البيت ولا سابقة في البيان ولا في العقد. (ابن حيّان: المقتبس: ص301، الحاشية 2).

[11] في البيان: في وقف، وفي العقد: في قف.

[12] هذا البيت انفرد به الأصل فلم يرد في المرجعين المذكورين. (ابن حيّان: المقتبس، ص300، الحاشية رقم1).

[4] ورد هذا الشطر في البيان: "شواهين جادت للغرانيق بالنسف" وفي العقد: "شواهين جادت للغرانيق بالسيف".

[5] في الأصل: سوى من طواه الموت في مستحله" وقد آثر المحقق د. محمد علي مكي قراءة البيان في الشطر الأول؛ وفي العقد "مستلجه" بدلاً من "مسلحبه"؛ وآخر البيت في البيان "أو تذأذأ من جرف"؛ وفي العقد: "أو ترى من الجرف" (ابن حيّان: المقتبس، ص30، الحاشية1).

وقول مؤمن بن سعيد الشاعر ند عباس[1] ورسيله في قصيدة له [البسيط]:

شَهِدْتُ أنَّ ولـيَّ الله منصـورُ ... وأنَّ من حاربَ الإسلامَ موتـورُ
أضحى الإمام لنا حصناً نلـوذ بـه ... إن يأتنا حَدَثٌ أوزا [رَ محـذورُ]
أنصـارُ صـدق لـدين الله كلّهُـمُ ... مستبشرٌ بف[توحٍ منـه مسـرورُ]
شُوس تراءت لهم في كل معتـرك ... -فيقدمون- عذارى الجنَّة الحـورُ
وقادهم من بني مـروان نحـوهم ... إمام عـدلٍ بـه الإسـلامُ منصـورُ
محمدٌ خيرُ من يَمشي علـى قَـدَمٍ ... ومن إليه تنـاهى المجـدُ والخيـرُ
هو الإمام الذي لا البخـلُ شـيمتُهُ ... ولا الفـرار إذا التـفَّ المسـاعيرُ
أغرُّ كالبـدر ينجـابُ الظّـلام بـه ... ويرجع الطرفُ عنه وهو محسـور
يابنَ الخلائـفِ لا زالـت مكـررةً ... أيامُكَ البيضُ حتى يُـنفَخَ الصُّـورُ
لولاك ما انفرجت عنا ولا انكشفت ... ظلمـاءُ لا فرجـةٌ فيهـا ولا نُـورُ
أضحت طُليطلـة الفُسّـاقُ مقفـرةً ... محزونةً قد خلت من أهلها الـدُّورُ
أَقَدْتَ بأسـكَ مـن فيهـا فقـادهمْ ... إلـى مصـارعِهمْ حـينٌ وتغريـرُ
أبقى لك الحمدَ ما ناحَـتْ مطوَّقـةٌ ... يومـاً، فقتْـلُ عـداةِ الله مـذكورُ
فاسلَمْ عزيزاً بك الإسلام فـي نِعَـمٍ ... والعيشُ في ظلّها جَـذْلانُ محبـورُ

هذا مجمل لأحداث (**وقعة وادي سليط**) كما نقلها لنا ابن حيّـان نقـلاً عـن الرازي وغيره، وقد نقلت لنا كذلك المصادر التاريخية أحداث هذه المعركة، لكـن باختصار فوجدنا أن نص ابن حيّان هو الأوفى والمفصل[2].

---

[1] أوردت له ترجمة سالفة الذكر.

[2] النص موجود عند ابن حيّان في المقتبس من تحقيق محمود علي مكـي، بيـروت، 1973، ص295-304، وللمزيد عن معركة وادي سليط انظر: (ابن الأثير: الكامل في التاريخ 5/ 294 أحـداث سـنة 240هـ، ابن خلدون: العبر 4/ 167 في خَبرِ قصير، أحداث سنة 240هـ، ابـن عِـذاري: البيـان المغرب 2/ 94- 95، حيث ذكر أن أهل طليطلة قد استجاشوا بأردن بن أدفونش (Ordoño I)، الذي حكم جليقية واشتوريس بين سنتي (236- 252هـ 850- 866م)، ونسبته هنا خطأ إذ أن ابـن =

رغم ما لحق طليطلة وأهلها من الدمار والقتل، ورغم هزيمتهم الشـنيعة؛ إلا أنّهم لم تخمد نارهم، ولا خبا ثارهم، فعمل الأمير محمد رحمه الله على تحسين قلعة رباح وشحنها بالجند لتكن لأهل طليطلة بالمرصاد، وليضيّقَ على أهالي طليطلة[1].

وفي سنة 242هـ/856م؛ بعث الأمير محمد ابنه المنـذر بالصـائفة إلـى طليطلة، فحاصرها ونسف معائشها[2]. وفي سنة 243هـ/ 857م، خـرج أهـل طليطلة وأغاروا على مدينة طلبيرة (Talavera)، وكان قائدها مسعود بن عبد الله العرّيف، فانهزم أهل طليطلة وقُتل أكثرهم، وحُمل إلى قرطبة سـبعمائة رأس مـن رؤوسهم، وكان العرّيف مسعود قد عمل لهم الكمائن فأوقع بهـم، وهـزمهم شـر هزيمة[3] وفي سنة 244هـ/ 857م كانت الوقعة العظيمة على أهل طليطلة، فأوقع بهم الأمير محمد عندما هدم قنطرتهم المشهورة، قال ابن حيّان من خلال حديثه عن أحداث سنة 244هـ: (**فيها غزا الأمير محمد بالصائفة بنفسه إلى طليطلة، وقد قلّ**

=رذمير لا ابن أدفونش. (ابن حيّان: المقتبس، ص592 التعليق رقم 489)، النويري: نهايـة الأرب 23/ 227، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 22/2، المقري: نفح الطيب 1/ 350، عنان: دولة الإسلام في الأندلس القسم/1، ص 292– 293، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأنـدلس، ص 245، حسـين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص 92– 65،

Dozy: Histoire des Musulmanes d'Espange, vol,1 , p. 355, Lévi provencal: Histoire de L'espange Muslumone, vol, I, p. 293- 294, Shanchez- Albornoz: La Jornado del Guadacelete, dans D.R.A.H.,T, C, 1932, p. 691- 700.

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ 5/ 296. النويري: نهاية الأرب 227/23، ابن عذاري: البيان المُغرب 95/2 وزاد(... وترك بها عاملاً حارث بن بزيع).

[2] ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص 304– 305. ابن عِـذاري: البيـان المُغـرب 96/2، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/1، ص 294– 295، سالم: تاريخ المسلمين وآثـارهم في الأندلس، ص245،

Lévi provencal: Histoire, vol.I, p.294

[3] ابن عِذاري: البيان المُغرب 96/2، النويري: نهاية الأرب 227/23، ابن خلـدون: العبـر 4/ 167، أحداث سنة 243هـ لكنه قال أن الأمير محمد هو من سار إليهم، ثم صالحوه ثم نكثوا، ابـن الأثيـر: الكامل 5/ 298. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/2، ص294– 295، سالم: تاريخ المسـلمين وآثارهم في الأندلس، ص245.

Lévi provencal: Histoire, vol, I, p. 294- 295.

عددهم، وانفل حدهم، وضاقت معيشتهم، فتجلدوا مع ذلك لُقراعه، واستسندوا إلى منعة مدينتهم، وواضعوا القتال على قنطرة نهرهم، ورتبوا بباب المدينة ردودهم، فحاربهم أياماً، ونال منهم، وكادهم بقطع قنطرتهم، فجمع لذلك الحذّاق من عُرفاء البناة، فأداروا الرأي في تناولها، وشرعوا في قطعها، والغواة يسخرون منهم ويعجزون طوقهم، فتهيأ للفَعَلَةِ الدائبين عليها أن قطعوها وهم قيام فوق ظهرها في خلق كثير قد اصطفوا للحرب رافعين لِعَلَمِهم، فلم يشعروا حتى اندقت القنطرة جملة بمن كان فيها هاوية في النهر، فهلك كثير منهم، وتدهدهت صخورها عليهم من كل ناحية، فسقط في أيديهم، وعظمت مصيبة قنطرتهم عليهم، إذ كانت من أعجب حنية عقدت، وأبدع جسر أتقن، فعظم عندهم الفجع بها، واشتدَّ سرور الأمير محمد بحربهم عليها)[1].

وقال ابن حيّان: فقال شاعره عباس بن فرناس[2] يغبطه بما تهيأ له في شعر مدحه به[3] [السريع]:

يا بْـنَ الخَلائِـفِ يـا مُحمَّـدُ يـا	مَـنْ سَـيْفُهُ فـي راحَـةِ النَّصـرِ
ما إن تقومُ لحرٍّ بأسِكَ فـي الـ	ـدُّنيا مُحَصَّنَـةٌ مـن الـدَّهر
[أضـحتْ طُليطلـةٌ معطَّلـةً	من أهلِها فـي قبضـةِ الصَّقرِ
تُرِكَـتْ بـلا أهـلٍ تؤهِّلهـا	مهجـورةُ الأكنـافِ كـالقبرِ] [4]
مـا كـان يُبقـي اللهُ قنطـرَةً	أضـحتْ سـبيلَ كتائـبِ الكُفـرِ

---

[1] نصّ ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص305- 306، ابن عذاري: البيان المُغرب، المُغرب، 96/2، البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص87، الحِميَري: الروض المعطار، ص394، صفة جزيرة الأندلس، ص 133، المقري: نفح الطيب 1/ 162، وذلك من خلال حديثه عن قنطرة طليطلة وخرابها، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/ 1، ص296، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 246، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص66- 67. Lévi Provencal, Histoire, vol, I, p. 295.

[2] أوردت له ترجمة سالفة الذكر.

[3] ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص306- 307.

[4] هذا البيت الثالث والذي يليه الرابع إضافةً من نفح الطيب للمقري 1/ 163.

وفي سنة 245هـ/ 859م؛ عقد الأمير محمد أمانَ أهل طليطلة وهو الأمان الأول. قال ابن حيان من خلال حديثه عن أحداث سنة 245هـ: **(قال أحمد بن محمد الرازي: فيها عقد الأمير محمد أمان أهل طليطلة، إذ كانوا أظهروا الإذعان بطاعته، واللياذ بأمانِهِ، على شروطْ أعطاهم إيّاها،...)**[1] وقال ابن عِذاري: **(وفي سنة 245، دعا أهل طليطلة الأمان، فعقد الأمير لهم؛وهو الأمان الأول)**[2]. ثم إنّهم نكثوا العهدُ الذي أعطاه لهم الأمير محمد بن عبد الرحمن ولم يحفظوه، وغدروا بالأمير وعادوا لما كانوا عليه؛ شق عصا الطاعة والخلاف.

(....... لم يقيموا عليها إلاّ ريثما تنفّسَ مخنقهم، فنكثوا به، وانتقبضوا سريعاً عليه فأدخلوا لب بن موسى[3]

---

[1] ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص307.

[2] ابن عِذاري: البيان المُغرب، ص/96.

[3] هو: لب بن موسى بن فرتون بن قسى، ينتهي نسبه إلى قسي من أشراف القوط، وأسرته بالثغر الأعلى (سرقسطه Zaragoza) أسرة عريقة، وعند ابن حزم: (كان قسى قومس الثغر الأعلى في أيام القوط، فلما افتتح المسلمون الأندلس لحق بالشام، وأسلم على يدي الوليد بن عبدالملك، فكان ينتمي إلى ولائِهِ، وكان بنو قسى أول أمرهم إذا وقعت العصبيّة بين المضرية واليمانية، يكونون في جملة المضريه). وهكذا فقد حافظوا على امتيازاتهم وأملاكهم ومراكزهم في الإسلام كما كانوا خلال سيطرة القوط على إسبانيا. وسار أبناؤه فيما بعد على سنّة، يهمهم الحفاظ على امتيازاتهم قبل كل شيئ فيخدمون من يحققها لهم مسيحياً كان أم مسلما أمويا. وهكذا نراهم يخضعون للأمراء الأمويين في فترة الإمارة ويوليهم هؤلاء عمالاً لهم في منطقة الثغر الأعلى (سرقسطة). وقد ظل بنو قسي موالين لإمارة قرطبة حتى إمارة عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) وقيامه بتعيين عبد الله بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي على إمارة سرقسطة وأخيه عامر على تطيلة. وقام بنو كليب من عرب جذام باضطهاد بني قسى وعلى رأسهم موسى بن موسى القسوي وأغاروا على خيلة وانتهبوا أمواله وقطعوا ثماره، فجاهر موسى بن موسى بالعصيان والثورة سنة 226هـ (840م). وفي سنة 227هـ (841م) خرج المطرف بن الأمير عبد الرحمن على رأس الحملة الصيفية إلى نصارى بنبلونه، فأوفد موسى بن موسى ابن فرتون على رأس فرسانه للانضمام إلى الحملة مما أثار المطرف بسبب تخلفه فرفض إمداداته وأعادها، كما أوصى أبوه الأمير عبد الرحمن بتولية حارث ابن بزيع سرقسطة لمحاربة موسى بن موسى، ولكن موسى =

بلدهم، وعادوا إلى الخلاف، فعمد إلى مغاورتهم)[1].

وفي سنة 254هـ/ 868م خرج الأمير محمد إلى ماردة، لكنه أظهر لأهل طليطلة أنه قاصدهم، وتقدّم بالمحلات إلى طريق طليطلة[2]، وربما كان هذا الأمر من الأمير محمد لإخافة أهل طليطلة، وإظهار القوة أمامهم، حتى لا يفكّروا بالثورة من جديد، وعند ابن حيان من خلال حديثه عن أحداث سنة 257هـ، أن أهل

=نجح في هزيمته وتمكن من أسره مع بعض أعوانه، مما دفع الأمير عبد الرحمن للسير لغزو الثغر الأعلى في سنة 228هـ (842م) والاعتراف بسيادة بنى قسى في المنطقة. وتقلب موسى بن موسى بين الطاعة والثورة حتى سنة 235هـ(849م) وولاه عبد الرحمن في أواخر فترة حكمه مدينة تطيلة ثم أسند إليه ولاية سرقسطة في سنة 238هـ/ (852م). وبعد توليه الأمير محمد بن عبد الرحمن أقره على ما بيده. وفي صيف سنة 247هـ (761م) طلب موسى ابن موسى من الأمير محمد أن يكون طريق الحملات الصيفية الغازية لممالك الشمال المسيحية عن طريق آخر غير المار بمنطقته نظراً لما يصيب أراضيه من الدمار، فأجابه الأمير إلى طلبه، ثم توفي موسى بن موسى سنة 248هـ (862م). وقد آلت زعامة بني قسى إلى أبناء موسى بن: إسماعيل، مطرف، فرتون. وترأس لب بن موسى رئاسة بنى قسى وتغلب على الثغر الأعلى سنة 257هـ (871م) وملك سرقسطة وتطيلة وغيرهما. وقد توفى لب ابن موسى بن موسى سنة 261هـ (875م). وظل بنو قسى يحملون لواء الثورة في الثغر الأعلى ضد حكومة قرطبة إلى أن نجح الأمير عبد الرحمن بن محمد (الناصر) في القضاء على دولتهم في الثغر الأعلى.

للمزيد عن بني قسى انظر: (ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص502- 503، ابن عذاري: البيان المغرب 2/ 86، 87، 95، 97، 100-102، ابن القوطيّة: تاريخ افتتاح الأندلس، ص67، 98، 101، طبعة دار النشر للجامعيين، بيروت، 1957م من تحقيق أنيس الطباع، ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص1، 4، 5، 16، 304، 315، 318، 338، 385. العذري: نصوص عن الأندلس، ص29- 40، المقري: نفح الطيب 1/ 292، ابن الآبار: الحلة السيراء 2/ 79. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/1، ص259- 261، 265، 294، 298، 299، 300- 302، حسين: أضواء جديدة على ثورات طليطلة، ص69- 70 مع الحواشي،

Lévi Provencal: Histoire, vol, I, p. 214- 218, 312-322.
Aguado bleye: Manuel de La Historia de Espana, p. 500- 507.

(1) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص 307

(2) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص321، ابن عِذاري: البيان المُغرب2/100.

طليطلة قد عادوا إلى الطاعة، وأنهم طلبوا من الأمير محمد أن يولّي عليهم أحد زعمائهم وهو: (محمد بن بلوش) ثم قتلوه بعد أن ولاه الأمير محمد[1] ويشير حسين إلى أن طليطلة ربما بقيت مواصلةً انتزائها على الإدارة المركزية بقرطبة طوال عهد الإمارة، وإنْ كانت تتبعها في كثير من الأحيان تبعية اسمية تتمثل في دفع الخراج السنوي، وأشار كذلك إلى أن ما يؤكد حديثه: اختيارهم لمحمد بن بلوش أميراً عليهم مع إسباغ ولايتِهِ الصفة الشرعيّة، عن طريق الحصول على موافقة الأمير محمد[2]، وقد اعتمد حسين على ما أورده ابن حيان من خلال أحداث سنة 257هـ؛ أنّ أهل طليطلة كانوا يومئذٍ بين الانتزاء والطاعة[3].

وفي سنة 258هـ/ 872م كانت للأمير محمد غزوةً إلى طليطلة قال ابن حيان من خلال حديثه عن أحداث سنة 258هـ: **(فيها غزا الأمير محمد طليطلة النفاق، عندما أعيا عليه أمر أهلها الفساق، ففصل إليها بجنده وعدته لخمس مضين من رجب من هذه السنة، ونازلها...)**[4].

وفي سنة 259هـ/ 873م تحرك الأمير محمد بن عبد الرحمن على رأس جيش قاصداً غزو طليطلة، ونازلها في شهر شعبان من سنة259هـ؛ وحاصرها، وكان أهلها قد حالفوا عليه، فأخذ رهائنهم بعد أن طلبوا منه الأمان، قال ابن حيان: **(وغزاها بالصوائف عاماً بعد عام، حتى أثّرت فيهم ونالت منهم، فصاروا إلى طلب الأمان والإذعان بإيتاء الجباية وقبول العمال وبذل الذهن على التزام الطاعة)**[5] وعقد لهم الأمان، واختلفت آراءهم وأهواءهم فيمن يولّى عليهم، فطلب

---

(1) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص327، والتعليق رقم 535، ص610.

(2) حسين، حمدي عبدالمنعم حسين، أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص70-71.

(3) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، بيروت، 1973م، ص327.

(4) المصدر نفسه، ص328.

(5) ابن حيّان: المقتبس 2/ 276.

البعض تولية مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب المولد[1]، واتفق آخرون على تولية طربيشة (Tarpeza) بن ماسونة[2]، وقيل ماسوية[3]، وكان كذلك من المولدين، وعندما شاور الأمير عبد الرحمن وزراءه أشار عليه وزيره والقائم بدولته هاشم بن عبد العزيز[4] بتوليهما جميعاً، وبذلك تقسّم مدينة طليطلة إلى قسمين متساويين، يحكم كل منهما قسماً، لكن الطمع تسلط عليهما، وبدأ كل منهما يتطلع للاستقلال والسيطرة لوحده، والانفراد بملك طليطلة، وربما بعدت أنظارهم إلى ما هو أكبر

---

[1] هو: مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب، أحد زعماء طليطلة وهو من المولدين، وفي التعليق رقم 540، ص 612 من كتاب المقتبس يقول الدكتور مكي: (فلا نعرف عنه شيئاً سوى ما جاء هنا أي اختياره لولاية طليطلة، وقد أورد ابن حيّان في كتاب المقتبس الجزء الخاص بالأمير عبد الله بن محمد من نشر انطونيا، ص140، من خلال أخبار سنة 290هـ اسم مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب قائلاً: إنه كان يقتسمُ مشيخة طليطلة مع زعيم آخر يدعى يحيى بن قطام، وذكر أن هذين هما من استدعيا لب بن محمد بن لب بن موسى القسوي إلى دخول طليطلة، فبعث لب أخاه مطرف بن محمد فدخل طليطلة سنة 290هـ، ومطرف هذا ليس الذي تقاسم زعامة طليطلة مع طربيشة سنة 259هـ، وما هذا التوافق إلا بالاسم وبنزعة التمرّد وقد رجّح مكي هذا الأمر وهو توافق في الاسم والنزعة. للمزيد (ابن حيّان: المقتبس من نشر ملشور انطوانيا، ص 140، المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص 612، التعليق رقم 540).

[2] هكذا وردت عند ابن حيّان في المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص 330.

[3] هكذا وردت عند ابن عِذاري في البيان المغرب 2/ 101.

[4] هو: هاشم بن عبد العزيز، من أبرز وأهم وزراء الأمير محمد بن عبد الرحمن، وقد فوّض إليه الأمير محمد أمور دولته كان تيّاهاً معجباً بنفسهِ حقوداً لحوحاً، فأفسد الدولة، وكان سيء السيرة مع العسكر، وقد أساء الأدب كذلك مع الأمير المنذر فحقد عليه، حتى قتله بعد أن سجنه أول دولته سنة 273هـ. (ابن سعيد: المغرب 1/ 23- 24)، وهو أخو القاضي أسلم بن عبد العزيز وقد اجتمعت به خصال لم تكن في غيره من البأس والجود والفروسية والكتابة والبيان، وقرض الأشعار البديعة، وقيل أنَّ الأمير المنذر حقد عليه لبيتين قالهما أثناء دفن الأمير محمد وهما [الوافر]:

أُعزّي يا محمد عنك نفسي معاذ الله والمنَنِ الجسامِ

فهلا مات قوم لم يموتوا ودوفع عنك لي كأس الحمامِ

وهذان البيتان لأبي نواس، وقد ذكر ابن الآبار نقلاً عن الرازي أن هاشم عندما سجن بكاه أهل قرطبة لأنه كان مبسوطاً للعامة والخاصة (للمزيد: ابن الآبار: الحلة السيراء 1/ 137- 142).

من ذلك بعد السيطرة على طليطية، وهو الاستقلال عن الحكومة المركزية في قرطبة[1].

ثم نجح الداعون إلى طربيشة إلى تقديمه، وتأخير ابن مطرف[2]، وكان أهل طليطلة قد خرجوا إلى حصن سكتان[3] وكان يضمُّ حاميةً من البربر تتألف من سبعمائة كانوا أعلنوا تأييدهم لموسى بن ذي النون الهواري الثائر بشنت برية (Castro de santaver)، وكانوا هؤلاء البربر يغيرون على أطراف طليطلة، وقد آذوا أهلها، فخرجوا إليهم لكف بأسهم وآذاهم، وعندما دارت رحى المعركة تقدم طربيشة لوحده مع أتباعه، أما مطرف فقد انهزم بأنصاره أمام البربر، ورغم أن جيش طليطلة كان يتألف من عشرة آلاف إلاّ أن مطرف فرَّ منتقماً من طربيشة حتى بقي هو ومن معه، لتصفى الأمور له وحده، وكانت الهزيمة لطربيشة ومن معه. وبذلك تخلوا الأمور لمطرف وحده حتى يحكم طليطلة حسبما أفادنا ابن عذاري[4] وهذه آخر الأحداث لمدينة طليطلة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، فمن المرجّح أن أمر أهالي طليطلة قد استقام بولاية مطرف لهم، وربما كانوا يتمتعون بشبه استقلال عن الإمارة المركزية.

---

(1) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص 329، ابن عِذاري: البيان المغرب 2/ 101، النويري: نهاية الأرب 23/ 229، ابن الأثير: الكامل 5/ 371.

(2) ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 101.

(3) حصن سكتان: كان يقعُ في شمال غرب مدينة طلبيرة، ومن خلال حديث ابن حيّان عن أحداث سنة 329هـ يقول أنه مدينة وأيده في ذلك ابن عِذاري قال ابن حيّان: (فيها استتم الوزير القائد أحمد بن محمد من اليأس بنيان مدينة سكتان، من قاصية الجوف وشحنها بالرجال، وأعدّ فيها الأطعمة والأسلحة) فعلى ما يبدو لنا من خلال الحديث أنّها كانت حصن وأحدثت مدينة (ابن حيّان: المقتبس 5/ 465، ابن عِذاري البيان المغرب 2/ 210).

(4) للمزيد: (ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص329- 330، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 5/ 371، ابن عِذاري: البيان المغرب 2/ 101، النويري: نهاية الأرب 23/ 229).

طليطلة في عهد الأمير المنذر بن محمد:

(273هـ/ 886م- 275هـ/ 888م)

كانت وفاة الأمير محمد يوم الخميس لليلة بقيت من شهر صفر سنة 273هـ، وقيل في غرّة ربيع الأول رحمه الله. وقد بويع المنذر لإمارة الأندلس بعد وفاة أبيه بثلاثة أيام، فقد اتصل به موت أبيه، وهو على حصن الحامة يقاتل المرتد والثائر على بني أُمية عمر بن حفصون، فقفل إلى قرطبة وتمت له البيعة.(1) لقد قدرّ الله أن يفتتح المنذر عهده بمواجهة الثورات والفتن التي نغصت عليه إمارته، وبقيت نارها تلفح أخاه عبد الله حتى أخمدها الله بالناصر عبد الرحمن أول الخلفاء من بني أمية بالأندلس. فوجّه المنذر أول ولايته حملةً عسكريةً إلى مركز الفتن والخلاف طليطلة، وهذه المرّة انضم إلى أهل طليطلة جماعة من برير ترجيله (Trujillo)(2) ودارت رحى المعركة التي انتهت بهزيمة أهل طليطلة ومن حالفهم، وسقط منهم آلاف القتلى(3).

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 61/6، ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 106، 113، 114، ابن خلدون: العبر، 4/ 169، النويري: نهاية الأرب 23/ 229- 230، ابن سعيد: المُغرب1/ 21، 22، 23، المقري: نفح الطيب 1/ 352.

(2) تُرجيلة (تَرْجالة Trujilo): مدينة بالأندلس غرب طليطلة في الشمال الشرقي من بطليوس، وهي من أعمال مارة، وهي مدينة كبيرة كالحصن المنيع، ولها أسواق عامرة، كان سكانها من البربر، وكانوا يعبرون على بلاد الروم، وهي منزل لقبائل نفرة من البربر، وفي عهد ملوك الطوائف كانت تابعةً لابن ذي النون كغيرها من مدن الثغر الأدنى طليطلة، وبقيت بيد المسلمين حتى سنة 560هـ 1164م، حيث استولى عليها مغامر برتغالي اسمه (جرانده الجليقي Gerraldo sem pavor el Gallego) وعادت إلى المسلمين سنة 592هـ/ 1195م، على يد أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي، ثم سقطت بيد النصارى سنة 630هـ/ 1232م للمزيد انظر: (ياقوت الحموي: معجم البلدان 22/2، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/2، ج1، ص550، الحِميَري: صفة جزيرة الأندلس، ص63، ابن حيّان: المقتبس 315/5، ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 64، 140، ابن خلدون: العبر 6/ 245، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص215- 216، عنان: دول الطوائف، ص 94، سحر سالم: بطليوس الإسلامية 2/ 199، 248- 250، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية 1/ 347- 349.

(3) ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 16.

قال ابن حيّان: (**فلّجوا في غوايتهم أيام الأمير المنذر بن محمد**) [1]. واشتدت وطأة الثائر عمر بن حفصون على الأندلس، فانشغل به الأمير المنذر، فاستغل هذه الأوضاع المضطربة، موسى بن ذي النون، ليصطاد بالماء العكر، وانتهز هذه الفرصة الذهبيّة بانشغال الإمارة الأموية بمحاربة عمر بن حفصون، الذي لم يعد القضاء على ثورته أمراً سهلاً بعد ما تفاقم أمره، واستفحل بالبلاد واتقدّ جمره، فقام موسى بمهاجمة طليطلة بجيش كبير قد حشده، وكان والي طليطلة والقائم على أمرها (لب بن طربيشة)، وكان لب حاقداً على أهل طليطلة لتركهم لأبيه طربيشة لسيوف البربر المقيمين في حصن سكتان المؤيدين لموسى بن ذي النون الثائر على بني أمية في شنت بريه (Castro de Santaver)، وتخلو عن أبيه حتى لحقته الهزيمة، فلم ينسَ فعلتهم بأبيه[2] ودارت رحى المعركة بين أهل طليطلة وموسى بن ذي النون وجيوشه وكان ذلك سنة 274هـ/ 888م، فقام لب بن طربيشه بخطة الانتقام، وانسحب مع أصحابه متظاهراً بالهزيمة، فانهزم أهل طليطلة أمام موسى بن ذي النون، ووضع فيهم السيف[3].

طليطلة في عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن

(275هـ/ 888م- 300هـ/ 912م)

بويع له في اليوم الذي توفي فيه أخيه المنذر في المحلّة ببربشتر (Barbastro)، وذلك يوم السبت النصف من صفر من سنة 275هـ/ 888م، ثم رجع إلى قرطبة بأخيه المنذر، الذي مات رحمه الله وهو منشغلٌ بعمر بن حفصون

---

(1) ابن حيّان: المقتبس 1/ 278.

(2) أسلفنا حديثاً مفصلاً عن لقاء طربيشة بالبربر وموسى بن ذي النون من خلال حديثاً عن أحداث سنة 259هـ/873م وللمزيد (ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص329- 330، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 371/5، ابن عِذاري: البيان المُغرب 101/2، النويري: نهاية الأرب 229/23.

(3) ابن حيّان: المقتبس من تحقيق ملشور انطوانيه، ص 18.

محاصراً له في حصن بربشتر. وقد أفضت الخلافة لعبد الله والأندلس نارها تضطرم، والفتن والثورات تجتاحُها من كل حدبٍ وصوب، وخرجت معظم بلاد الأندلس من يدهِ حتى لم يبقْ في يده إلاّ مدينة قرطبة[1]. وفي هذا الشأن يقول ابن عذاري: (**وأفضت الخلافة إليه، وقد تحيّفها النكُث، ومزّقها الشقاق، وحل عراها النفاق، والفتنة مستوليةٌ، والدجنة متكاثفة، والقلوب مختلفة، وعصى الجماعة منصدعة، والباطل قد أعلن، والشرّ قد اشتهر؛ وقد تمالأ على أهل الإيمان حزبُ الشيطان؛ وصار الناسُ من ذلك لفي ظلماء ليل داج، لا إشراق لصباحه، ولا أفول لنجومه. وتألبَ على أهل الإسلام أهلُ الشرك ومن ضاهاهُم من أهل الفتنة، الذين جرّدوا سيوفهم على أهل الإسلام؛ فصار أهل الإسلام بين قتيل ومحروب ومحصور، يعيش مجهوداً، ويموت هزلاً؛ قد انقطع الحرث، وكاد ينقطع النَّسل، فناضل الأمير بجهده، وحمى بجدّهِ، وجاهد عدو الله وعدّو. وانقطع الجهاد إلى دار الحرب، وصارت بلاد الإسلام بالأندلس هي الثغر المخُوفُ، فكان قتال المنافقين وأشباههم أوْكَدَ بالسنّةِ، وألزَم بالضرورة**)[2]. وكان الأمير محمد رحمه الله هو آخر أمراء الأندلس، وهو سابعهم.

لقد كان لكثرة الفتن في عهد الأمير عبد الله أثراً واضحاً سلبياً على البلاد الأندلسية، فخرجت معظمها عن طاعته، وقد كانت طليطلة واحدةً من هذه المدن التي خرجت من يده، وبقيت مستقلةً عن إمارته حتى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ) (912- 961م). ففي عهد الأمير عبد الله بن محمد غلب

---

[1] ابن عذاري: البيان المُغرب 2/ 120-121، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 6/ 95، النويري: نهاية الأرب 23/ 231، ابن خلدون: العبر 4/ 170، المقري: نفح الطيب 1/ 352- 353، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 27- 30، الحُميدي: الجذوة، ص18، الضبي: البغية، ص20، ابن الآبار: الحلة السيراء 1/120-123.

[2] ابن عذاري: البيان المُغرب 2/ 121.

على طليطلة محمد بن لب بن موسى القسوي[1] وقد كانت بيد بني ذي النون حيث تغلبوا عليها سنة 274هـ/ 888م في عهد الأمير المنذر كما أسلفنا[2]، وذلك أن أهل طليطلة استدعوا محمد بن لب بن موسى فدخلها في ذي الحجة من سنة 283هـ/ (يناير 897م)، واستخلف عليها بعدهُ ابنه لب[3]، لكن طليطلة خرجت عن

---

(1) هو: محمد بن لب بن موسى بن فرتون القسوي، وهو ابن جارية لأبيه اسمها (عجبا البلاطيّة)، قد أهداها إليه الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) وقد كان رهينةً بقرطبة لأبيه الحكم، واشترك في ثورة بني قسى بالثغر الأعلى في سنة 258هـ (871م) مع أخوته، فدخل سرقسطة وانتزى بها في هذه السنة ومنع عنها الأمير محمد بن عبد الرحمن حينما غزاها في سنة 259هـ (872م). وفي سنة 260هـ (873م) غزا المنذر بن محمد إلى الثغر وكان معه الوزير القائد هاشم بن عبد العزيز ونازل سرقسطة وقطع ثمارها وانتسف زروعها دون أن يتمكن من فتحها. وفي آخر هذه السنة وأوائل سنة 261هـ (874م) خرج هاشم بن عبد العزيز إلى الثغر الأعلى فاستنزل محمد بن لب عن سرقسطة وابتاعها منه بخمسة عشر ألف دينار على يدي حوشب القاضي، وخرج محمد بن لب عن سرقسطة وصارت إلى عمال الأمير محمد وعوضه الأمير عنها بالتسجيل له على أرنيط Arnedo وطرسونة Tarazona وجريش واستقامت طاعته، فجدد له الأمير المنذر وأخوه عبد الله بن محمد على الحصون المذكورة، وأضيفت إليها تطيله فضلاً عن ملكه منت شون Monzôn ولاردة Lerida ناجرة nājera وبقيرة Viguera، وكان من مظاهر إخلاصه الطاعة للسلطان أن توجه في غزوة إلى البة والقلاع، فاقتحم بلاد النصارى ودوخها في سنة 273هـ (886م). ولكنه لم يلبث أن نكث في أول أيام الأمير عبد الله. وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط حينما أشجاه أمر بني قسى قد نصب بإزائهم بني المهاجر التجيبيين، فبنى لهم قلعة أيوب Calatayud ودروقه Darica، وكان يلي سرقسطة في أول أيام الأمير عبد الله أحد هؤلاء التجيبيين وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز التجيبي، فحسده محمد بن لب ونصب له الحرب مدة من ثماني عشرة سنة متوالية، واستفحل أمر ابن لب حتى أنه عمل على عقد حلف بينه وبين الثائر عمر ابن حفصون في سنة 285هـ/ (898م) وقواعد الزعيمان الناكثان على الاجتماع ببعض أطراف جيان لتتميم المعاقدة، ولكن محمد بن لب لم يستطع إنجاز الموعد لاشتغاله بمحاصرة التجيبي بسرقسطة فبعث ابنه لب بن محمد نائباً عنه، غير أن هذا لم يكد يصل إلى قرب جيان حتى وافاه الخبر بمصرع والده محمد بن لب لدى باب طليطلة بسرقسطة وهو على حصارها. فخلفه على رياسة الثغر ابنه لب بن محمد بن لب. للمزيد انظر: (ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص 535- 536، التعليق رقم 331، ابن خلدون: العبر 4/ 172.

(2) ابن حيّان: المقتبس، نشر ملشور انطوانيه، ص18.

(3) المصدر نفسه.

طاعته بني قسى بعد مقتل محمد بن لب بن موسى وذلك سنة 285هـ/ 899م، أي بعد عامين تقريباً من دخوله طليطلة، وفي سنة 290هـ/ 903م، عادت طليطلة من جديد ليحكمها بنو قسى، فاستدعى مطرف بن عبد الرحمن ابن حبيب، ويحيى بن قطام وكانا شيخا طليطلة؛ **(لب بن محمد بن موسى)** ليعود ويدخل طليطلة، وكانا قد أخذا معهما أخاه المطرف بن محمد بن موسى؛ فدخل طليطلة في الثالث والعشرين من ذي الحجة من سنة 290هـ/ السابع عشر من أيلول سنة 903م، ثم خرج على لب بن محمد بطليطلة محمد بن إسماعيل بن موسى وكان من أبناء عمومته، واستولى على حكم طليطلة حتى سنة 293هـ/ 906م، ثم قتله أهلها، وولوا عليهم لب بن طربيشه الذي تحالف مع موسى بن ذي النون سنة 274هـ، وتواطأ معه ضد أهل طليطلة، وبقي لب بن طربيشه متولياً أمور طليطلة حتى بداية عصر الناصر عبد الرحمن بن محمد[1]، وسيأتي الحديث مفصلاً من خلال حديثنا عن طليطلة في عهد الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد.

[1] ابن حيّان: المقتبس، نشر ملشور انطوانيه، ص118، 140، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، القسم/1، ص340، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص79- 81،
Lévi Provencal: Histoire, vol, I, p. 386- 389.

الباب الثاني

طُلَيْطُلة في عهد الخلافة الأموية

(300هـ/ 912م- 400هـ/ 1009م).

- عهد الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله (300هـ/ 912م- 350هـ/ 961م).
- عهد الخليفة الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله (350هـ/ 961م- 366هـ/ 976م).
- عهد الخليفة هشام بن الحكم المؤيد بالله وحجّابه من آل عامر المعافري (366هـ/ 976م- 400هـ/ 1009م).

طُليطلة في عهد الخلافة الأموية (300هـ/ 912م- 400هـ/ 1009م)

طُلَيْطُلَة في عهد الخليفة عبد الرحمن بن محمد (**النّاصر**)

(300هـ/912م- 350هـ/ 961م)

بويع له بالخلافة بعد موتِ جدّه في مستهل شهر ربيع الأول من سنة 300هـ/ 912م؛ وكان جدّه قد سجن أبوه وعمّه المطرف، فقتل المطرّف أخوه والد عبد الرحمن الناصر، فألقى الله على عبد الرحمن الناصر محبة جدّه، فكان (**يحضّه ويومي إليه ويرشحه للأمر، ويقعده في الأعياد والمواسم مقعد نفسه، ويأمر بالسلام عليه**)، وكان الناصر أول من تسمّى بأمير المؤمنين من بني أمية بالأندلس، وهو أول خليفة من بني أمية بالأندلس[1]، وقد أفضى إليه الأمر، وما زالت نار الثورات والفتن تضطرم وتحرق بلاد الأندلس. قال ابن الخطيب: (**قالوا: وولي الناصر الأُمور، والأندلس جمرة تحتدم، ونارٌ تضطرم، وقد عظم الشقاق والنفاق، وارتجّت الآفاق، فسكنّها الله بسعدهِ، وعزّه نقيبته، وكان يشبّه بعبد الرحمن الداخل**)[2] فاستطاع الناصر أن يقضي على كل الثورات، ويخمد نارها، (**فقد طال عمره، واتّسقَ سعده، وبعد صيته، وانتشرت بالعدوة الغربيّة طاعته، وعلت على منابرها كلمته**)[3] قال ابن الآبار: (**وظهر لأول ولايتِهِ يُمْنُ طائره، وسعادة جدّه، واتساع ملكه، وقوّة سلطانه، وإقبال دولته، وخمود نار الفتنة- على اضطرامها**

---

(1) ابن حيّان: المقتبس 61/5-65، ابن عِذاري: البيان المُغرب 156/2- 222، ابن عبدربه: العقد الفريد 498/4- 527، ابن الآبار: الحلة السيراء 197/1- 200، ابن سعيد: المُغرب 122/1-126، ابن الأثير: الكامل 285/7، النويري: نهاية الأرب 232/23-234، الذهبي: سير أعلام النبلاء 265/8، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 30-31، الإحاطة 353/3، المقري: نفح الطيب 353/1- 382، 523-525، أزهار الرياض 257/2، 282، ابن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة 379/3، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب 97/3، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص523.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام 31/2.

(3) المصدر نفسه.

بكل جهةٍ- وانقياد العصاة لطاعته، ما تعجزُ عنهُ الأوهـام، وتكـلُّ فـي تحبيـرة الأقلام)[1].

لم يَفُتْ الناصرُ لدين الله وهو صاحبُ العقل الـرَّاجح، والهمّـة العاليـة، أنَّ طليطلة كانت قد استعصت على أجدادِهِ من قبلِهِ، وقد أنفقوا من أجل ردّها للطاعـةِ الأموال والذخائر العظيمة، والعدد من الرجال. فكم من قادةٍ وجنودٍ قضـوا نحـبهم وهم محاصرون لها، ليردّوا عصاتها ومن تمرّد على الجماعة وشق عصا الطاعة، فقد أولى الناصر طليطلة اهتمامهِ البالغ،وجعلها على أولويات خططهِ، وجلّ اهتمامهِ منذ بداية عهدهِ، فكان وكما سنرى يباشرُ الغزوَ بنفسه.

قال ابن خلدون: **(وحمل أهل طليطلة على الطاعة، وكانوا معروفين بالخلاف والانتفاض)**[2]. وقال في موضعٍ آخر: **(... ثم لم تزلْ طليطلة دار فتنةٍ وعصـبيّةٍ ومنعةٍ، أتعبت عبد الرحمن الداخل سبع سنين، وانتقضت على هشام والحكم وعلى عبد الرحمن الأوسط، إلى أنْ جاء الناصر فأدخلهم في الطاعة كرهاً)** [3]. وقال ابن سعيد: **(كثيراً ما قامت بها الثوار في مدة السـلطنة المروانيـة، ونهـض إليهـا سلاطينهم، وحاصروها فرجعوا خائبين. وملكوها، فعاثوا بأهلها)**[4].

وقال ابن حيّان ما نصّه: **(... لم تزل تتقلب على الأملاك، وتعجز من رامها من أولي القوة والحيلة، ولطال ما أتعبت الخليفة الأول، المُقيم للدولـة بالأنـدلس وأول الداخلين إليها من بني أُميّة، عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، رحمـه الله، وقد دانت له الأندلس بحذافيرها، وامتنعت هي عليه أعواما سبعة، فما افتتَحها إلا بعد حرب عوان ومشقّة وعن قهر وغلبة، ثم لم تلبث أن انتقضت علـى ابنـه، الأمام الرِضيّ، هشام بن عبد الرحمن، رحمةُ الله عليهما، مع اتفاق أهل الأنـدلس**

---

(1) ابن الآبار: الحلة السيراء 1/ 198- 199.

(2) ابن خلدون: العبر 176/4.

(3) ابن خلدون: العبر 181/4، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 143/6.

(4) ابن سعيد: المُغرب 11/2.

عليه، حتى راضها، فعادت إليه ذليلةً، وطاعت له قليلةً، ثم تغلبت على ابنه الخليفة الحكم، وهو ظِرّ الصّفا الذي لم يتمرّس به أحد إلا كَبَا، فداولها حتى افتتحها مرة بعد مرة، وداسها دوس الحصى، وأذاقها وبال أمرها، ما بين المغاورة والمكايدة، واختلفت بعده على ابنه، الإمام عبد الرحمن بن الحكم، رحمه الله، الخفيف الوطأة المحبب إلى الأمة لدُموثة خُلُقه وسكون الناس إلى كنفه، فاعنتته حيناً حتى غيرّ لها خُلُقه، وجمع لها رأيه ورؤيته، فملكها مَلْكاً راضها به، ملك معه زمامها طول أيّامه، ولم يكد أمره يزول حتى انتكث على ابنه، الخليفة محمد، رحمه الله، على لين جانبه وسلامة ضَيْره، فصمد لها لأول وقته، وغزاها بالصوائف عاماً بعد عام حتى أثّرت فيهم ونالت منهم، فصاروا إلى طلب الأمان والإذعان بإيتاء الجباية وقبول العمال وبذل الرهن على التزام الطاعة، لبثوا بذلك مُدَيْدة، فلما مضى لسبيله، وقد نجمت ببلد الأندلس الفتنة واضطرب الحَبْل، ابتدروا النُكث وسارعوا في المعصية، فأخذوا من ذلك بأوفر نصيب، وجاهروا بالخلعان، ونبذوا الطاعة، وتكشّفوا في الغواية، واتفق أن شغل السلطان عنهم بمن هو أقرب إليه من العصاة بالموسطة[1]، فلجّوا في غوايتهم أيام الأمير المنذر بن محمد، ووصلوا ذلك أيام الأمير عبد الله بن محمد أخيه، رحمة الله عليهم، على امتدادها، فلم يقلعوا عن غواية ولا تمسّكوا بعروة من عرى الطاعة، وجاء الله أثراً ذلك بأيام الإمام الناصر لدين الله، كاشفة الطَخْية، التي اهتدى بسناها كل غاوٍ وأصحب لها كلّ ناب، فمضوا على غيّهم وتمادوا في ليّهم، وظنّوه كمن سلف ممن تمرّسوا به، حتى بلوه فجاشهم بالساعد الأشد، وآلاهم[2] بالغزوة السرمد، ونصب الجيوش حولهم، واتخذ الحصون عليهم، وجبَّ حبال من كان يمدهم في غوايتهم، حتى انفردوا بسوء الفهم، فلم يطيقوا ولا قاوموا كَيْده، إلى أن مَلَكَ

[1] يشير ابن حيّان هنا إلى الثائر عمر بن حفصون.

[2] قد تكون ووالاهم وهذا أفضل، المقتبس 277/5، الحاشية (3).

نواصيهم وهدم صَيَاصِيَهُم[1]**، فأدخلهم في الطاعة كرهاً، وأفْحَم الجماعة قسراً، وساسهم سياسة لم يطيقوا لها نقضاً، حسبما يجيء ذكره بعد هذا، وبالله المعونة)**[2].

ففي سنة 308هـ/ 920م، خرج للغزو في حملته المعروفة بمويش، وعند نزوله على مدينة طليطلة؛ خرج لاستقباله القائم عليها لب بن طربيشه السالف الذكر، الذي تولى أمرها سنة 293هـ/ 906م بعد أن قتل أهل طليطلة محمد بن إسماعيل بن موسى بن لب القسوي، وكان لب بن طربيشه قد أعلن وأفصح للناصر عن رغبته بالمشاركة في هذهِ الغزوة، وحقيقته غير ذلك إذ كان يخفي ناراً مضطرمة تحت رماد، لبس أمام الناصر جلد الضأن، ونفسه نفس ذئب غدور **(وهو في ذلك يظهر طاعةً تحتها معصية)**[3]. والجدير هنا بالذكر أن الناصر ورث الدولة وخزانتها تشكو من قلة المال، فَجَدُّه عبد الله كان قد أنفق ما في الخزانة لقتال عمر بن حفصون، ولأن البلاد التي خرجت عن الطاعة لم تعد تؤدي الخراج. قال ابن خلدون: **(ولمّا كثر الثوار قلَّ الخراج لامتناع أهل النواحي من الأداء وكان خراج الأندلس قبله ثلثمائة ألف دينار (300000)، مائة ألف للجيوش، ومائة ألف للنفقة في النوائب وما يعرض، ومائة ألف ذخيرةً ووفراً فأنفقوا الوفر في تلك السنين وقلَّ الخراج)**[4]. وقال النويري: **(...واتصلت عليهم الحروب خمس عشرة سنة فنفذت ذخائرهم واحتاجوا للقروض)**[5]. وعند ذلك وجد الناصر أنّ الغزو والجهاد أقرب الطرق لتسكين الثورات وجمع الأموال. وبالفعل **(فاتفق أنّ صاحب الدوجر**

---

(1) الصَّياصي: البروج المشيدة العالية.

(2) نص ابن حيّان: المقتبس 276/5– 278.

(3) ابن حيّان: المقتبس، 5/ 161– 162، ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 175– 176، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ص81، Léviprovencal: Histoire, vol, II, p.26.

(4) ابن خلدون: العبر 4/ 170، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 65/6، النويري: نهاية الأرب 23/ 232، المقري: نفح الطيب 1/ 352.

(5) النويري: نهاية الأرب 23/ 232.

أغار على قرطبة في نحو ثلمائة فارس فهزمه عبد الرحمن وأسره، فسلّم إليه الحصن بجميع ما فيه فتقوّى به)[1].

واستمرّ الناصر لدين الله كما أجمعت المصادر على الغزو بنفسه، يدكُّ حصون النصارى، ووضع جزيةً يؤديها ملوك وأصحاب البلاد التي كان يغزوها، حتى اجتمعت له الأموال، وغصّت خزائنه بها، واجتمع عنده من الذخائر والأموال ما مكّنه من متابعة إخماد الثورات المتأججة في الأندلس، حتى استطاع بتوفيقٍ من الله القضاء على الثورات التي كانت نارها مشتعلةً زمن جدّهِ، وَصَفَتْ له البلاد، وأحبته الرعية، وحسن في عيون العباد. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

لقد كانت في عهد الناصر نقلة نوعية، حيث تغيّر لقبه من أمير إلى خليفة، وهو أولّ من تلقب بالخلافة، وتسمّى بأمير المؤمنين من سلاطين بني أمية بالأندلس وكان ذلك سنة 316هـ[2] وخاصةً بعد أن ضعفت الخلافة العباسيّة في المشرق، واستبد موالي الترك ببني العباس وظهور الشيعة في المغرب، وقد كانوا يدعون للمهدي، ثم كان مقتل المقتدر العباسي على يد رجال مؤنس المظفر مولى الخليفة المقتدر سنة 320هـ[3]. ولقد بيَّت الناصر لدين الله العزّم على إخضاع جميع البلاد التي كانت قد خرجت عن طاعة آبائهِ وأجدادهِ من قبله، وخاصةً طليطلة التي طالما حاصرتها الجيوش، ونارها تضطرم عام بعد عام، حيث عزم الناصر على إخماد نيرانها مهما كلّف الأمر. قال ابن الخطيب: **(وهو الذي استنزل الثوار، وأعظم في الكفر النكاية، فلم يبق عليه في الأندلس مخالف ولا نازعه منازع ودخل الناس**

---

(1) النويري: نهاية الأرب 23/ 233.

(2) ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 198، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 31.

(3) ابن حيّان: المقتبس 5/ 241- 242، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 6/201- 202، 320، 321، 322، ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 198، ابن خلدون: العبر 4/ 176- 177، ابن الآبار: الحلة السيراء 1/ 198، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 31، ابن سعيد: المُغرب 1/ 123، النويري: نهاية الأرب 23/ 232، المقري: نفح الطيب 1/ 353.

أفواجاً في طاعته ورغبوا في مسالمته)[1]. وقال ابن خلدون: (**وقاتل المخالفين حتى أذعنوا، واستنزل الثوار ومحا أثر ابن حفصون كبيرهم، وحمل أهل طليطلة على الطاعة، وكانوا معروفين بالخلاف والانتفاض**)[2]. فأرسل الناصر إلى أهلها وفداً ليتفاوض معهم لنبذ ما سبق من الخلاف، والعودة إلى الطاعة والجماعة، لكن الوفد خابت آماله، وأخفق في ما ذهب إليه، فلم يتحقق أي شيء، فأهل طليطلة كانوا قد جُبلوا على الشقاق والنفاق، وعقولهم وسلوكهم صعبة وقاسيةٌ كوعورة بلادهم، وكانوا معاندين ميالين للعصيان، وقد ضنّوا أنَّ حصونهم وقلاعهم ومنعة بلادهم تمنعهم من قضاء الله النازل بهم، وأنّهم سوف يُمنعون من قدر الله، ولا راد لقضائهِ إلا هو، سامع الصوت، وسابق الفوت، قاهر الجبابرة، والكفرة بالهلاك والموت.

وكان الوفد الذي أرسله الناصر لدين الله إلى أهالي طليطلة من أهل العلم والفضل، والقدر والجاه: **الفقيه العالم والحافظ محمد بن عبدالملك بن أيمن بن فرج القرطبي**[3]، **والفقيه الحافظ صاحب الجاه والقدر أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عيسى الكتاني القرطبي**[4]، **والقاضي الفقيه الجليل قاضي القضاة بقرطبة أبو**

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/31.

(2) ابن خلدون: العبر 4/ 176، المقري: نفح الطيب 1/ 353، 363.

(3) هو: محمد بن عبدالملك بن أيمن بن فرج: من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله، سمع من جملةٍ من الشيوخ في المشرق والمغرب، كان فقيهاً عالماً، حافظاً للمسائل والأقضية، نبيلاً في الرأي، مشاورا في الأحكام، كان في أيام الخليفة عبد الرحمن (الناصر)، وكانت وفاته سنة 330هـ. (للمزيد: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص332- 333، الحُميدي: الجذوة، ص61، الضبي: البغية، ص87، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب 3/ 28، الذهبي: تذكرة الحفاظ 8/ 836، العبر 2/ 38، سير أعلام النبلاء، 15/ 241، اليافعي: مرآة الجنان 2/ 222، المقري: نفح الطيب 2/ 47، 48، 51، 52، 237، 633، 660، 3/ 169.

(4) هو: محمد بن إبراهيم بن عيسى الكتاني: من أهل قرطبة يكنى أبا بكر، ويعرف بابن حيوية، سمع من جلة من شيوخ المغرب والمشرق، وكان حافظاً للفقه، عالماً بالأقضية والأحكام، مشاوراً عظيم الوجاهة، متشبّهاً بأهل الدنيا، خارجاً من طبقة أهل العلم، حدّث يسيراً، وكانت وفاته فجأةً سنة 328هـ. (للمزيد: ابن الفرضي: تاريخ الأندلس، ص330- 331.

عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى[1]، وعبيد الله الزجالي، وكان الناصر قد عزم على غزو طليطلة إذا رفضتْ الحلول السلميّة، فقد استعدّ لتسيير جيوشه إليها، ليتم إخضاعها لتعود للطاعة والجماعة[2].

قال ابن حيَّان بهذا الشأن: (**وكان عند اكتمال الناصر لدين الله الافتتاح لمدائن غربي الأندلس،، باجة وأكشُبونة وماردة وبَطَلْيُوس وشنترين وذواتها، ما أوفى بهمتّه وعزيمته على مزاولة مدينة طليطلة، أم المعاقل وقاعدة المدائن، التي عظم في الأوائل خَطَرُهَا، وأعجز ملوك الأمم مرامها، وقد رأى تقديم الإعذار إلى أهلها بالافتتاح [و]مراسلتهم معذراً ومنذراً، آخذاً بالحجة عليهم، مخرجاً للإنباء الثقات بذلك إليهم، مكرراً لهم عليهم، لإثارِهِ الإنابة وسكونه إلى الصفح ورغبته**

---

[1] هو: الفقيه الأجلّ القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى: من بني يحيى بن يحيى الليثي، وهذه ثنيّة علم وعقل، وصحة ضبط ونقل، كان كما قال عنه صاحب المطمح: عَلَمُ الأندلس وعالِمُهَا النّدس، ولي القضاء بقرطبة بعد رحيله إلى المشرق، وكان ذلك في عهد الناصر لدين الله، كان حافظاً معتنياً بالآثار، جامعاً للسنن، متصرفاً في عِلْم الإعراب، ومعاني الشعر، شاعراً مطبوعاً، استقضاه الخليفة الناصر لدين الله على إلبيره وبجانه، ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة، وذلك سنة 326هـ، وجمعت له مع القضاء الصلاة، اعتلّ في آخر أيامه ومات رحمه الله في بعض الحصون المجاورة لطليطلة سنة 337هـ، وكانت ولادته سنة 284هـ، ومن جميل شعره ما أورده صاحب المطمح قوله: [البسيط]:

ماذا أكابد من وُرقٍ مغـردةٍ	**على قضيبٍ بذات الجـزع ميّاس**
رددّنَ شجواً شجا قلب الخلي فهلْ	**في عبرة ذرفت في الحب من باس**
ذكرّنه الزمن الماضـي بقرطبـة	**بين الأحبة في أمـنٍ وإينـاسِ**
هُمُ الصبّابةُ لولا همةٌ شَـرُفَت	**فصيّرت قلبه كالجنـدل القاسـي**

وللمزيد انظر: (ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص 339، ابن خاقان: مطمح الأنفس، ص 259-266، الحُميدي: جذوة المقتبس، ص66، الضبي: بغية الملتمس، ص 94، وفيه أن وفاته سنة 339هـ ومولده سنة 284هـ، ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 265، النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 59-62، الخشني: قضاة قرطبة، ص267-270، طبعة دار الصميعي من حيقيق ياسر ابو طعمة، المقري: نفح الطيب 2/12- 15).

[2] ابن حيّان: المقتبس 5/ 280، ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 202.

في العافية، فقدم إليهم في المحرم فاتحة هذه السنة وفداً من وجوه أهـل قرطبـة حضرته، تنخلّهم من أعالي طبقتي رجاله، أهل خدمته وفقهاء قرطبة المشهورين بالديانة والثقة والتصحيح والأمانة، فمن أكابر الفقهاء محمد بن عبدالملك بـن أيمن، ومحمد بن إبراهيم بن عيسى، ومحمد بن عبد الله بن أبي عيسى، وغيرهم، ومعهم من وجوه أهل الخدمة عُبيد الله بن عبد الله الزجّالي، فـي نفـر معهـم، أشخصهم إلى طليطلة، داعين لهم إلى الفيئة إلى الطاعة والانتظام في الجماعـة، فأتوهم في مدينتهم وأدوا رسالته إليهم، فدفعوها بالراح ولجّوا في غيّهم، ومشوْا على أمرهم، وظنوا أن حِصنهم مانعهم، وقلبوا رسله علـى أعقـابهم، ممـوهين بخدائع من إفكهم، لم تذهب على الخليفة الناصر لدين الله، وأرهفوا بهـا عزمـه على غزوهم، فأخذ في التأهب لهم)(1).

وعندما علم أهل طليطلة بما بيّته الناصر لهم من الاستعداد، لجأوا كعـادتهم باستخدامهم الدهاء والمكر بالحيلة، والعبث، فراسلوا حاجبه موسى بـن حُـدير(2)،

---

(1) ابن حيّان: المقتبس، 280/5.

(2) هو: أبو الإصبغ موسى بن محمد بن سعيد بن موسى بن حُدير: كان مع رئاسته وجلالته، ونباهة سلفه واستعمالهم في الكور، وسنيات الخطط- من أ هل العلم والأدب والشعر، وكان أول ما تـولى للأميـر عبد الله بن محمد سنة 293هـ خطة القُطع، ثم ولي خطة المدينة، ثم عُزل عنها وأُعيد إليها، وفي عهد عبد الرحمن بن محمد (الناصر) أُقرَّ على المدينة، واستوزره يوم خلافته، ثم استحجبه بعد وفاة حاجبه بدر سنة 309هـ، وبقي حاجباً للخليفة الناصر حتى توفي سنة 319هـ/ 931م، فلم يستحجب الناصر بعده أحداً. ومن جميل شعره يمدح الخليفة الناصر قوله [الوافر]:

إذا مـا فُرِّجـت خللُ الستّورُ ... ولاح وقد تمكّن في السريـرِ

ترى الأمـلاك مائلـةً لديـهِ ... بأعنـاقٍ إلى الغبراءِ صـور

كأنّهـم لهيبتـه قـد أوفـوا ... من المـوتِ الزّعافِ على شفير

وبنو حدير ينتسبون إلى حُدير، الجد الأكبر الذي كان بواباً على باب السدّة بقصر قرطبة زمن الحكم بن هشام (الربضي) وأثناء ثورة أهل الربض سنة 202هـ 818م؛ رفض حدير أن يصدع لأمر الحكـم عندما أمره بضرب رقاب الفقهاء الثائرين عليه وقال له: (والله يا مولاي إني لأكره لـك ولنفسـي أن أكون غداً وأنت في زاوية من زوايا جهنم تهر إليّ وأهرُ إليك لا تنفعني ولا أنفعك) (للمزيد عـن =

ليكن وسيطاً بينهم وبين الخليفة، فيكن لديهم متسع من الوقت لجني زروعهم وقد حان حصادها، لتكن لهم عوناً على مقاومة الناصر، لكن ابن حُدير كان أكثر ذكاءً منهم، فكشف مستورهم، وبانت عورتهم أمامه، ولم تجدي مكاتبتهم شيئاً. قال ابن حيّان: (**فلمّا بلغهم ذلك كتبوا إلى الحاجب موسى بن محمد بن حدير، الجميل/ الوساطة بين الرعيّة وسلطانهم، يستشفعون به إلى الناصر لدين الله ويطفئون من موجدته، ويحاجونه مع ذلك في تثبطهم، ويشتطّون في شروطهم حيلةً منهم في صرف الجيش عنهم، كيما يصلوا إلى إحراز غَلاّتهم الداني وقتها، فيقوّون بها الاستمساك بشأنهم، فلم يذهب ذلك على الحاجب موسى ما ذهبوا إليه، وحسم أطماعهم منه، وعدل بهم إلى صدقهم، وأجابهم على كتابهم ذلك بكتابه الطويل الذي شهر في الناس يومئذ، يقرّعهم فيه ويكشف تمويههم، ويحذرّهم ما هو حائق بهم، إذ كانوا لا يلتزمون طاعة ولا يؤتون جباية ولا ينتهون عن منكر ولا معصية**)[1].

ولمّا علم الناصر من حاجبة مكرهم وخديعتهم؛ عزم على غزوهم، والتضييق عليهم، وتأديبهم، وقد كانوا من قبل قد امتنعوا على مَنْ قَبْله. ففي صدر ربيع الآخر من سنة 318هـ/ نيسان 930م، أمر الناصر قائده ووزيره سعيد بن المنذر القرشي بالتحرك نحو طليطلة في جيش كثيف، حتى يلحق به الناصر ببقية الجيوش، وأمره أن يحاصرها، فتحرّك سعيد بالجيش يوم السبت لثمان بقين من ربيع الآخر من سنة 318هـ/ نيسان 930م قال ابن حيّان:

==موسى بن حدير: ابن الآبار: الحلة السيراء 1/ 232- 237، ابن حيّان: المقتبس من تحقيق محمود علي مكي، ص 475 تعليق رقم 161، ابن القوطيّة: تاريخ افتتاح الأندلس طبعة دار الكتاب اللبناني من تحقيق إبراهيم الأبياري، ص8، 53، 22، 23، الخشني: قضاة قرطبة، ص 72- 73، ابن عِذاري: البيان المُغرب 142/2، 144، 158، 182، 208.

(1) نص ابن حيّان: المقتبس 280/5- 281.

(ووقف الناصر لدين الله على ما يذهبون إليه من الخديعة، فاستجدّ لذلك صريمةً، واستغرم على غزو القوم، وشمَّرَ لمناهضتهم وإنزالِ بأسِ الله بهم، وبرز للغزو في صائفة العام بنفسه إليهم، فأنفذ التبريز لغزوته صدر ربيع الآخر سنة ثماني عشرة وثلاث مائة المذكورة، وهو شهر نيسان العجمي من العام المذكور، فقدّم إليهم الوزير القائد سعيد ابن المنذر القرشي الميمون النقيبة في جيش كثيف، ضمه إليه بِعُدّةٍ كاملةٍ، أمره بالسبق إلى طُليطلة والاحتلال بها وشد الحصر عليها، حتى يلحق به هو في جيوشه الجمّةِ وعُدَدِهِ المتكاملةِ. فنفذ الوزير سعيد بن المنذر لأمره يوم السبت لثمان بقين من ربيع الآخر، وأجدّ السيرَ حتى نزل بساحتها، فأخذ فيما حد له من محاصرتها والتضييق عليها بأبلغ عزمٍ وأتمِّ حزم)[1].

وفي الثاني من جمادى سنة 318هـ/ الثاني من يونيو، لحق الناصر لدين الله بالجيوش التي بعثها لحصار طليطلة، وكان بصحبته ولده وولي عهده الحكم، قاصداً طليطلة التي طالما استعصت على أجداده من قبلِهِ، ووصل الناصر إلى حصن (مورة)[2] وكان هذا الحصن قد اتخذه أهل طليطلة ليجتمع به أهل النفاق والشقاق والفساد، وكان به عليهم مطرف بن عبد الرحمن، فأرسل إليه الناصر من يُنْذِره ويهدّده، فسلّم الحصن للناصر، ثم سار الناصر بالجيوش حتى وصل إلى جبل جرنكش، وهو على مقربةْ من طليطلة، ليستطلع من هذا الجبل أفضل المواضع لحصار طليطلة منها، ونزل بمحلة المقبرة على باب المدينة، وأقام بها سبعة

---

(1) ابن حيّان: المقتبس 5/ 280- 281، ابن عِذاري: البيان المغرب 2/ 202.

(2) حصن مُوّده (Maura): من حصون طليطلة، وعلى بعد إحدى وثلاثين كيلو متر من طليطلة، وهو الذي اتخذه أهل طليطلة شجّاً على المسلمين وذلك في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، وفي سنة 318هـ خرج عنه قائده مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب للناصر، بعد أن أنذره ولاذ بالأمان. (للمزيد: ياقوت الحموي: معجم البلدان 221/5، العذري: نصوص عن الأندلس، ص10، ابن حيّان: المقتبس 5/ 292، ابن عِذاري: البيان المغرب 203/2، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية 2/ 1076، Lévi provencal: Histoire de L'Espagne Musulmone, Vol,11, p.28

وثلاثين يوماً، يقطع الثمار، ويخرّب القرى، وينتسف ويحطم الزروع، وبنى مدينة على الجبل المذكور (جَرْنَكش)، وشحنها بالأقوات، وأمر بنقل الأسواق لها، وأنزلها أفضل جنده، وأمر محمد بن سعيد بالإقامة على باب القنطرة والتضييق على أهل طليطلة، والمبالغة في أذاهم حتى يذعنوا ويرجعوا إلى الطاعة. قال ابن حيّان: (... **ثم فَصَلَ الناصر لدين الله لغزوته هذه من قصر قرطبة، آمّاً طليطلة الخائنة، يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الأولى منها، وهو اليوم التاسع والعشرون من أيار الشمسي، وأغزى مع نفسه ابنه الأكبر ولي عهده، الحكم، على عادته، ومعه من إخوته المنذر بن الناصر لدين الله المعروف بابن القرشية، وتخلّف في القصر ابنه عبد العزيز، شقيق الحكم لتنفيذ الكتب إليه على العادة، ومعه أحمد بن محمد بن حُدير، وعلى المدينة/ أحمد بن عبدالوهاب بن عبدالرؤوف. فلما احتل الناصر لدين الله في طريقه بمحلة الغدر، وقرب من حصن مورة، الذي كان اتخذه أهل طليطلة شجاً على المسلمين ومستركناً للمفسدين، وقدموا عليه منهم [مطرف بن] عبد الرحمن بن حبيب من أكابر المجرمين، قدم إليه الناصر لدين الله من أنذره وخوّفه وأمره بالخروج عن الحصن وإسلامه، فبدر إلى ذلك بداراً لم يجد منه بداً ولا في الامتناع طمعاً، فنزل عن الحصن ولاذ بالأمان، فسلّمه الناصر لدين الله وأمر بضبطه، ثم نهض بجيوشه المتكاثفة وعزيمته الماضية غير معرج عن ساحتهم حتى احتلّ بأسنى صياصيهم[1]، وأخذ بأبوابهم، وغلب على بسيطهم، وأنهب غلاتهم، وأحجرهم داخل مدينتهم، فنزل بمحلته حرنكس، باب طليطلة على نهرها، خلال جناتها وكرومها وحدائقها، ودبر رأيه في أمكن المواضع من محاصرتها وأقرب الجهات الآخذة بأنفاس أهلها، فرأى النزول بمحلة المقبرة على باب المدينة أبلغ في النكاية وأشدّ للمضايقة، فنقل محلته إلى هنالك في اليوم الثاني، وأخذ في نكاية العصاة المجرمين بما لم يجز لهم في ظنّ ولا دخل في حسبان، فأقام بمحلّته هذه سبعة وثلاثين يوماً، وإلى فيها نكايتهم بقلع أشجارهم**

---

[1] الصياصي: الحصون العالية.

وتخريب قُراهم وحطم زروعهم وانتساف نِعَمِهم، ثم أمر ببنيان المدينة التي سمّاها مدينة الفتح بجبل حرنكس منزله الأول، وحشد الآلات إليها وجمع الأيدي عليها، فارتفع البناء إلى مُدَيدَةٍ فيها، وولّى شأنها الوزير القائد سعيد بن المنذر القرشي، وأمر بنقل المحلة إليها أجمعها، ورتَّب محمد بن سعيد ولد الوزير القائد في كثيف من الجند على باب القنطرة، وعهد إليهما في صلة حصر الفسقة والاستبلاغ في آذاهم وصِلة قتالهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله وتمضي مشيئته فيهم.

وقدم على الناصر لدين الله في محلته على مدينة طليطلة صاحب حصني قنالش[1] وحصن الفَهْمَين[2] من ثغر طليطلة، مستسلمين/ إليه، معتصمين بطاعته، فَتَقَبَّلهما وكرَّمهما وأمر بنقلهما إلى الحضرة وإلحاقهما في الديوان والتوسع

---

(1) قنالش (Canales) حصن على بعد خمسة وعشرين كيلو متر إلى الشمال من طليلطة، وعند ابن عِذاري: حصن قنليش وكان صاحبه قد ثار على الأمير عبد الرحمن الناصر فقدم عليه مستسلماً سنة 318هـ. أما قرية قنالش فتقع في منطقة وادي الحجارة شمال شرق طليطلة على الحدود القشتالية. وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي الأموي (238- 273هـ/ 852- 886) بنى عدة حصون ومنها قنالش في منطقة الثغر الأدنى لحماية المسلمين من غارات النصارى (للمزيد ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص183 الهامش، ابن حيّان: المقتبس 5/ 283، ابن عذاري: البيان المغرب 2/ 203، مؤنس: الجغرافية والجغرافيين، ص574، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية 2/ 892، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص185، الحاشية، 129،

Palencia (Gonzales): Los Mozanabes de Toledo enlos Siglos XIIy XIII, Madrid, 192, Vol. I, p94- 95.

(2) حصن الفَهْمَين (Al- Fahmin): حصن يقع شمال غربي طليطلة على بعد اثنى عشر كيلو متر شمال شرق اسكلونا Escaluna (Léviprovencal: Histoire: vol, 11, p.28).

أما قرية الفَهْمَين فقد ذكرها ياقوت الحموي وقال في لفضها كأنه جمع فهميٌ وهي مدينة بالقرب من طليلطة وتعدُ من أعمالها، وهي مدينة متحضّرة، حسنة الأسواق والمباني، وفيها منبر ومسجد جامع، وكان سقوطها سنة 478هـ/ 1085م بسقوط طليطلة بيد ألفونسو السادس ملك قشتاله (للمزيد: ياقوت الحموي: معجم البلدان 4/ 281، الحِمْيري: صفة جزيرة الأندلس، ص144، البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص135، الإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد/2، ج1، ص552- 553، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية 2/ 760، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص185، الحاشية 130.

عليهما مكافأة لنزوعهما وقصدهما، وتوفر نظر الناصر لدين الله على عمارة مدينة [الفتح] التي ابتناها على مدينة طليطلة، فاجتهد فيها وفي جمع الأقوات إليها وإقامة الأسواق بها، وجمع الماهنين والفعلة والصناع والمعالجين إليها، وشحنها بالأقوات والعدد، وأنزلها طوائف من نخب الجند أولي الغناء والجلد، فأحاط بأهل طليطلة ورتَّب مراتب الحصار عليهم، وقسّم طبقات الأجناد مع قوّادهم على الأماكن حواليهم، فحبسهم في جوف جحرهم المانع منهم، لا يطلع أحد منهم رأسه ولا يقدر بشر على الدخول إليهم ولا الخروج عنهم. فلما ارتضى من ذلك كله سعيه، وبلغ وسعه، وأبلى عذره في مجاهدة الفسقة الدائنين بدفع الأئمة والتفريق بين الأمة وإرصادها بالغائلة، فقفل أثر ذلك إلى قرطبة بعد أن غادر فيها وزيره الشهم ذا المِرّة البَذْراء سعيد بن المُنْذِر في أكابر القُوّاد وجَماهِير الأجْناد، الذين لم يَنْتَقِصوا الفَسَقة مِمّا أحلّه بهم دَرَجة. فكان قُفولـه عن طُلَيطلة يَومَ الخميس لستّ بَقِينَ من جُمادى الآخرة منها، ودَخلَ إلى قصره بقُرطبة يومَ الاثنين لأربع خَلَوْنَ من رَجَب. وقد استَتَمّ في غَزاته واحداً وستّين يَوْماً)[1].

وكان الناصر لدين الله وقبل عودته إلى قرطبة، رتّب من الجند مراتب الحصار على أهل طليطلة، وقسمّهم مع القادة العسكريين على أماكن الحصار؛ فأحكم القادة والجند الطوق على أهل طليطلة ليذوقوا وبال أمرهم، فلا أحد يدخل إليهم، ولا أحد يخرج منهم، وبذلك تنقطع الإمدادات أو الاستنجاد بغيرهم، فكانت خطة الناصر خطةً ذكيةً، حيث النتائج الإيجابيّة لتلك الخطة كما سنتحدث لاحقاً.

وخلّف الناصر لدين الله وزيره سعيد بن المنذر في أكابر القواد وأجنادهم، ثم قفل إلى قرطبة، فوصلها يوم الاثنين الرابع من رجب من سنة 318هـ/ الثاني من أغسطس من سنة 930م[2]. في العام التالي 319هـ/ 931م؛ تجهزّ الناصر للمسير

---

[1] نص ابن حيّان: المقتبس، 5/ 281-284.

[2] ابن حيّان: المقتبس 5/ 283 – 284، ابن عِذاري: المُغرب 2/ 203.

إلى طليطلة، وكانت ما زالت محاصرةً من قبل القادة وكافة طبقات الأجناد، لكنه عدل عن المسيرة بنفسه، واكتفى واستغنى بالقادة المحاصرين لطليطلة، وبالمقابل أمدّهم بالخيل والعدة والسلاح، وما يلزمهم، وأمدّهم بالعطايا والهبات والصلاة لتكن محفزاً لهم للاستمرار في حصار طليطلة، وأكدّ عليهم بالاستمرار بالحصار والتضييق على أهالي طليطلة، وكان جزءٌ منهم قد أفنته سيوف القوات المحاصرة، ومنهم من جلا عن المدينة لضيق العيش بها، وبات سقوط طليطلة بيد قادة الخليفة الناصر قاب قوسين أو أدنى[1] قال ابن حيّان بهذا الشأن من خلال حديثه عن أحداث سنة 319هـ: (..**هم فيها الخليفة الناصر لدين الله بالغزو إلى مدينة طليطلة، فأخذ في التأهب وإبراز السرادق والأبنية إلى المضرب[2] بفحص السرادق شرقي قرطبة، ثم انثنى عزمه عن ذلك، إذ استغنى عنه بمن قد رتبه على محاصرتها من قوّاده، ونَظمَه حواليها من أجناده، وما يتصل به من ظهورهم على أهلها ونغصهم لهم، وأخذهم بأكظامهم وإشرافهم على الاقتحام عليهم، فَنَقَضَ غزوه هذا بعد أن برز له، وتابع إخراج البعوث إلى قوّاده هنالك لاستيفاء محاصرتها والاستبلاغ في نكايةِ أهلها طول هذه السنة، وإمدادهم بالكراع والسلاح وموالاتهم بالصلات والأعطية، وتأكيد بصائرهم في الجدّ والعزيمة، فتوافت الأمداد على القواد وشدّوا محاصرة القُساة الأكباد/ والبُنيان عليهم والإرصاد لهم، إلى أن صاروا في مثل كفه الحابل من ضيق الإحاطة بهم والأخذ بالأقطار عليهم، بعد تحيُّف السيف الكثير منهم وتبديد الجلاء لعامتهم وإشرافهم على الإلقاء بأيديدهم**)[3].

وفي نفس الوقت فقد بلغ الناصر لدين الله عن طريق قادته المحاصرين لطليطلة، أنّ (راميرو الثاني RamiroII) قام بمهاجمة بعض الحصون في الثغر

---

[1] ابن حيّان: المقتبس 5/ 283 – 284، ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 204.

[2] في البيان المغرب لابن عِذاري 2/ 204: (المُضطَرب).

[3] نص ابن حيّان في المقتبس 5/ 287.

الأوسط، مستغلاً الفرصة بوجود جيوش المسلمين محاصرة لطليطلة، وقد كتبوا بذلك إلى الناصر، فأرسل من فوره الوزير القائد أحمد بن محمد بن حدير على رأس جيشٍ كبير إلى الثغر الأوسط. لكن اللعين راميرو أسرع بالانسحاب إلى بلاده عندما علم بقدوم القائد أحمد على رأس جيشه وبذلك كفى الله المؤمنين شرّ القتال، أمّا القائد أحمد فقط انضم بجيشه إلى الجيوش المحاصرة لطليطلة[1]. قال ابن حيّان بهذا الشأن:

(ثُمّ بلغ الناصر لدين الله أن العدو عامل على الخروج إلى الثغر الأعلى، طامعاً في انتهاز الفرصة من أهله، وجيشانه لقصده، للذي بلغه من اشتغال الناصر لدين الله [بأهل طليطلة... فأمر الناصر لدين الله] بإخراج الوزير القائد أحمد بن محمد بن حدير إليهم بمن حضر قرطبة، خاصة من حشمه، وبمن خفّ به من المُطَّوّعة المحتسبين، ومن نشط من المجاهدين، نافراً إلى أهل الثغر، ذاباً عنهم مهتماً بشأنهم، فاحتل أحمد بن محمد بن حُدير الثغر فيمن معه، وأوجبت له الضرورة التعول عليه، مُسَكِناً لأهله من روعة عدوّهم، مقوياً لنفوسهم، مؤنساً من وحشتهم. فلما بلغ العدو مكان ابن حُدير وجيشه عندهم، فسخ عزمه في الخُروج إليهم، وانصدع جمعه، فأقصروا عما كانوا همّوا به، ولم يفارقوا أرضهم، فأقصر ابن حُدير إقصارهم، ولم يقتحم عليهم لمّا كفى الله المسلمين شأنهم بمنّه، وانتهى القائد ابن حُدير إلى طليطلة فيمن معه من جيشه وصار نازلاً عليها مع القوّاد المرتّبين)[2].

لقد كان انضمام القائد أحمد بن محمد بن حدير بجيشه إلى الجيوش المحاصرة لطليطلة بمثابة المدد، لتقوية عزائمهم، وتضييق الخناق على أهالي طليطلة، وربما أنها رغبة الناصر لدين الله وتوجيهاته الحكيمة، فلا يستبعد أن تكون

---

(1) ابن حيّان: المقتبس 5/ 288، ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/ 204- 205.
Léviprovencal: Histoire, vol, 11, p.29.

(2) هذا نص ابن حيّان: المقتبس 5/ 288.

تحركات راميرو الثاني لأشغال المسلمين، هي خطة للتخفيف عن أهل طليطلة لعل بحركاته تلك يكون الفرج لهم، وربما ظن أن الجيوش المحاصرة لطليطلة سوف تنسحبُ عن طليطلة حال سماعها بإغارته على الثغر الأوسط، فتكون الفرصة الذهبية لأهل طليطلة. والجدير بالذكر أنَّ أهالي طليطلة كانوا قد كاتبوا راميرو هذا من قبل يستغيثونه ويطلبون عونه.

وفي يوم السبت الرابع عشر من رجب سنة 320هـ الحادي والعشرين من يوليو سنة 932م، غزا الخليفة الناصر لدين الله إلى مدينة طليطلة وهي غزاته الثانية، وكان بصحبته ولي عهده الحكم. أما أهل طليطلة فقد كانوا استنجدوا براميروا الثاني ملك ليون عندما ضاق عليهم الحصار كما أسلفنا، لكن هذا المدد انقضَّت عليه الجيوش الإسلامية قبل وصوله وبقيت طليطلة على حالها حيث تركها راميروا لقضائها[1] ووصل الناصر لدين الله إلى طليطلة يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رجب سنة 320هـ/ 12 أغسطس 932م ونزل بمحلته من جبل جرنكش. أمَّا تفاصيل غزوته الثانية لطليطلة فيحدثنا عنها المؤرخ ابن حيّان من خلالِ حديثه عن أحداث سنة عشرين وثلاث مائة (320هـ) قال: (**فيها غزا أمير المؤمنين الناصر لدين الله إلى مدينة [طليطلة غزاته] الثانية، التي فُتحت فيها عليه، فبرز لهذه الغزاة في صدر جمادى الآخرة منها، وهو شهر حزيران الشمسي الكائن فيها، وفصل إليها من حضرته قرطبة يوم السبت لأربع عشرة خلت من رجب منها، وهو اليوم الحادي عشر [ون] من تموز الشمسي. وصار معه ابنه الأكبر، ولي عهده الحكم، وتخلّف في القصر ابنه عبد العزيز، شقيق الحكم، لتنفيذ الكتب إليه، ومعه من الوزراء أحمد بن محمد بن حدير، وعبدالحميد بن بسيل، صاحب المدينة.**

[1] ابن حيّان: المقتبس 5/ 317- 320، ابن عذاري: البيان المُغرب 2/ 206- 208.
ابن خلدون: العبر 4/ 181، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص283، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ص313، حسين: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، ص 87- 89،
Léviprovencal: Histoire: voll, 11, p. 29- 30.

وكان أهل مدينة طليطلة العُتاة، لما لزّهم الحصار، واشتدّ عليهم التضـييق، ولازمهم القوّاد الذين نظم الناصر لدين الله عليهم بأجنادهم المغاورة، ممداً لهـم بآرائه الصائبة وعزائمه المُصْمِيَة، قد استجاشوا بجيرانهم المشـركين، أهـل دار الحرب، دمرهم الله، واستنجدوهم، ورجوا نصرهم فلم يغن عنهم فتيلاً ولا كشفوا عنهم عذاباً، ولا جَلَبُوا لهم إلا خزياً وهواناً، لما أنفذوا إليهم مدداً كثيراً من أنجاد رجالهم، علم القواد المحاصرون لهم بشأنهم، فخرجوا إليهم، فهزمـوهم وفرَّقـوا جمعهم، فانصرفوا مولين على أعقابهم، خاذلين لمن انتصر بهم، رجاء اللِياث من قبلهم، وسقط لذلك في أيدي العُصاة، أهل طليطلة، وعلمـوا أن لا منـاص لهـم، واستيأسوا أن ينصرهم أحد من بأس الله، الذي عاجلهم، وض[رعـوا] لـه فـي اغتفار ذنوبهم وقبول فيئتهم.

فخرج بنفسه لاستنزالهم، وتوطيد [طاعـ]ته لديهم، وإحكام/ نظـره لهـم، فنزل عليهم في هذا الوقت بمحلته الممدَّنة المعروفة بجرنكش[1] يـوم الأربعـاء لخمس بقين من رجب منها، وقد كان بادر بالخروج إليهم أميرهم المدبر لأمرهم، ثعلبة بن محمد بن عبدالوارث، وتلقاه قبل نزوله بها، معترفاً بجهله، مستقبلاً من زَلَلِهِ، فعفا عنه، وأمَّنه، وعاد بفضله عليه، فامتثل أهل طليطلة فِعْلَـهُ، وابتـدروا الخروج إلى الناصر لدين الله، مُستميلين لأمره، منقادين لحكمه، فبذل لهم الأمان، وبسط فيهم الإحسان، وعمَّ جميعهم بالأمان العام، وسارعوا إلى الدخول بمحلّتـه المنصورة، مبتغين لما قد كانوا عَدِمُوهُ من ألطاف المعيشة، التي طالَ ما أجهدهم عدمها، ومنعهم الحصار منها، فتهافتوا عليهـا مُسـتبغين، واستبشـروا بنيلهـا مغتبطين بما صاروا إليه من الأمن بعد الخوف، والسّعةِ بعد الضيّق، والانبسـاط بعد الانقباض، لم يعهدوا أفراح من صبحهم، ولا فازوا بأربح من صـفقتهم، ثـم ركب الناصر لدين الله إلى مدينة طليطلة في اليوم الثاني من نزوله بمحلته عليها، وذلك يوم الخميس لأربع بقين من رجب منها.

---

[1] في البيان المُغرب لابن عِذاري 2/ 207 (جرنكش).

فدخلها على حكمه، وجال في أقطارها، وتخلل أنفاقها، فرأى من فرط حصانتها، وعجيب خلقتها وشرف قعددها، وانتظام الأجبل داخلها وامتناعها من كل جهات بوثاقة أسوارها، واكتناف واديها لقصبتها ووعورة مسالكها، وشرف مدرتها، وسعة ربوعها من الطعام، وفضيلة تواترها[1] على الأيام، وما حبيت به من التوحد بمنابت الزعفران، إلى ما عاينه من كثرة البشر بها، على تحوفهم بآفة طول الحصار، ما اشتد منه عجبه،وأعلن الشكر لله تعالى، على ما منحه فيها، وسهل له منها، وأحمد ما كان من جده وعزمه في أمرها، وعلم أنه، لولا ما وفَّقه الله له من الدأب على ذلك، ما ملكها مع منعتها وما اعتاده القُساة أهلها من ملك أنفسهم والاستبداد على الخُلفاء، ودفع طاعتهم، ومداخلتهم لجيرانهم المشركين كل وقت، والاستمداد بهم، فكم أعيت الملوك الأكابر، وامتنعت/ من ثقاف العساكر، وانصرفت عنها الصوائف ذوات الحشود بغير نجح ولا استفادة، إلى أن أذن الله بهصرها لخليفة ربّ الدولة، فخصّه دون قوّاده الذين سلطهم عليها بجليل فتحها وعِظَمِ الصنعةِ فيها)[2].

وبعد أن تَمَّمَ الله الفتح للخليفة الناصر لدين الله، والظهور على أهل طليطلة، قام بالنظر في إصلاح ما أفسدته الحرب وطول الحصار، وما لحق المدينة من الهدم والدمار، وقد وكلّ فتاه درى بن عبد الرحمن الصقلبي[3] ليشرف على عمليات

---

(1) كلمة أندلسية بمعنى لا تثبته القواميس (ابن حيّان: المقتبس 5/ 319 الحاشية رقم1.

(2) هذا نصّ ابن حيّان الكامل حول غزوة طليطلة الثانية والأخيرة في عهد الناصر لدين الله (ابن حيّان: المقتبس 5/ 317- 319).

(3) هو: من الفتيان الصقالبة الذين كان يغص بهم قصر الخلافة بقرطبة، ومن أبرزهم؛ حيث ولاهُ الخليفة الناصر لدين خطة العرض سنة 301/ 913م، وخطة المواريث سنة 302/ 914م، ثم الشرطة العليا سنة 308، 920م، وفي سنة 315هـ/ 927م، أرسله الناصر على رأس جيشٍ إلى ابن الزيّات أحد الثائرين عليه، فلما اقترب منه هرب ابن الزيات، فظفر دُرى هذا بهابل أحد قواد الثائر اللعين عمر بن حفصون وبأصحابه، فأسرهم وعاد بهم إلى قرطبة، وصُلّبوا، وفي سنة 317هـ/929م؛ افتتح درى مدينة شاطبة واستنزل منها عامر بن أبي الجيوش، وفي سنة 325هـ/ 937م، عينه الناصر قائداً على طليطلة. (ابن حيّان: المقتبس 5/ 249، 250، 350، العذري: نصوص عن الأندلس ص14- 15، ابن عذاري: البيان المغرب 2/ 164- 167، 180، 194، 210.

البناء والترميم. فأمر بإعادة بناء القنطرة الواقعة على نهر تاجة، لما لحقها من الهدم والضرر أثناء حصار طليطلة، وكذلك القصر المخصص لسكنى العمال والقواد، وقام بالوصل ما بين القصر وباب القنطرة لإحكام السيطرة على أهل المدينة[1] قال ابن حيان بهذا الشأن: (... **فقبض عليها باليمين ونهض بالنظر في إصلاح ما أفسدته الحرب من بُنْيانِها وضعضعته من أركانها وشعثته من عمرانها، فأثر في ذلك كله الآثار العظيمة، وقرطسة بآرائه المصيبة واختراعاته العجيبة، فأمر قبل ذلك كله بإعادة بناء القنطرة على نهرها الماثلة على بابها، الذي منها يُدخل إليها، وقد كانت ساءت لفقدها، وتمكّن الحضر الشديد من أهلها، فجمعت الأيدي لأول الوقت عليها، ودبر فيها من ذاته القصر المرسوم لسُكنى القواد والعمال بها، الذي من باب هذه القنطرة بالمكان المسى الحزام، بناء محكماً متقناً، يكون مستقر القوّاد وعُماله فيهم، وزماماً على أهلها بأيديهم، فَصَلَ به الحزام من المدينة، ووصله بباب القنطرة، فنظم به باب قصرها بباب جسرها، كيما يختصّ برأيه قوّاده وعمّاله النازلون بالقصر بملك هذه القنطرة والباب دون أهلها، فصاروا لذلك من يومئذ في قبضة السلطان وتحت غَلَقه، لا دخول لهم ولا خروج من مدينتهم، إلا تحت إذنه، فذلّ لذلك شماسهم جداً، وأقصروا عن غوايتهم، وتردد الناصر لدين الله بطليطلة بعد فتحه لها ثمانية أيام، مشارفاً للشروع في بناء ما دبَّر بناءه، وهدم ما أحبّ هدمه حتى فتحت أساس المحدث وأعفت المجنيّ عليه القديم، ورتب على بُنيان ذلك كله، وتبليغه حدوده فيه مولاه وقائده دُرّي بن عبد الرحمن،وملأ القصر الذي أحله إياه رجالاً وعدة وسلاحاً وميرة، فاطمأنت بأهل طليطلة الدار، وأنِسُوا بالقرار، وفَتَحوا أسواقهم، وانْبَسَطُوا في أفنيتهم، وحضروا مساجدهم، وانتشروا في بواديهم وأسفارهم، وشكروا الله على ما له هَداهم.**

وورد الخبر ببنيان هذا الحزام في مكان آخر، فقال: شرع الناصر لدين الله لوقته في شأن قصر طُليطلة والحزام/ فوق النهر لقرار القوّاد والجند فيه، فَفَصَلَهُ عن ثقاف المدينة، ووصل باب القصر بباب القنطرة، فصار في ضبطه خاصة دون أهل المدينة، وشحنه برجاله استظهاراً عليهم، فأذعنوا من ذلك الوقت بالطاعة،

---

[1] ابن حيّان: المقتبس 5/ 219- 220، ابن عِذاري: البيان المغرب 2/ 207- 208.

وفارقوا ما كانوا عليه من النخوة، وتداولتهم الولاة دهراً أعزّةً، ثم قفل الناصر لدين الله عنهم يوم السبت لست خلون[1] من شعبان منها فدخل قصره قرطبة يوم السبت لعشر بقين منها، وقد استتم في غزاته هذه ستة[2] وثلاثين يوماً)[3].

وبعد أن وصل الناصر لدين الله قرطبة يوم السبت لست أو لعشر من شعبان من سنة 320هـ، واستقر به المقام، صنع صنيعاً عظيماً واحتفالاً بالنصر، وتعبيراً عن مدى الفرح والسرور، بعد أن قضى الله أن تعود طليطلة للطاعة والجماعة، وكان هذا الحفل قد وافق تطهيره (ختان) لبعض بنيه الأصاغر، وكان هذا الحفل يضم رجاله ومواليه وصنوف القادة والأجناد والحشم ممن شاهد فتح طليطلة[4]، والله يؤيد بنصره من يشاء. قال ابن حيّان: قال: **(ولمّا استقر الناصر لدين الله في قصره بقرطبة، اتّخذ صنيعاً فخماً شنيعاً أثرُ قفوله عن طليطلة، احتفل فيه لإعذار عدة من أولاده الأصاغر، فأعد فيه صنوف الأطعمة الرفيعة والفواكه الغريبة والطيوب المثمنّة، وزانه بما أظهر فيه من الآلات السلطانية والأدوات البديعة وفاخر الآنية وبديع الزينة، دعا له أصناف الحشم والأجناد ووجوه الموالي والقواد، الذين فازوا معه بمشهد طليطلة، وباشروا جليل الفتح فيها، وقاسَواْ طول المقام على حصرها، فخصهم بتكرمة هذا الصنيع البديع، دون من تخلّف عن مشهده، ووفرَّ حظوظهم من خَيْرِهِ، فكان صنيعاً مشهوراً بقرطبة عظم شأنه وكثر حفله واعتلت عليه النفقة)[5].**

---

[1] في البيان المُغرب لابن عِذاري 208/2: (لعشر بقين).

[2] في البيان المغرب لابن عِذاري 208/2: (سنة).

[3] هذا النص الكامل لابن حيّان في المقتبس 319/5- 320، حول عمليات الإصلاح والترجمة في طُليطلة.

[4] ابن حيّان: المقتبس، 320/5-321، ابن عِذاري: البيان المغرب 208/2.

[5] نص ابن حيّان: المقتبس، 320/5-321.

كذلك أورد لنا ابن حيّان هذه الرواية عن فتح الناصر لطليطلة سنة 320هـ نقلاً كذلك عن المؤرخ أحمد بن محمد الرازي، كان قد أخبره بها شيخٌ جميل المذهب من أهل طُليطلة كان الرازي قد لقيه في مسجدها، فسأله عن خبر فتح طليطلة. قال ابن حيّان: (**وقال أحمد بن محمد الرازي: أخبرني شيخ جميل المذهب من أهل طليطلة، لقيته في جامعها وسألته عن خبر فتحها، فقال: "إنّ السلطان، لما اقتدر على حصار مدينتنا، واستبلغ في الإحاطة بنا، والتضييق علينا، والحؤول بيننا وبين جميع مرافقنا، نال الجوع والضر أهل الضعف والإقلال منا، واردى الجهد من لم يكن له ذخرة قوت من عامّتنا،ونادى فينا الزبير بن السليم، صاحب العسكر المحاصر لنا نداءً عاماً، أن من بلغه الحصار وناله الجوع من ضعفائنا وأيتامنا وأراملنا وطبقات مساكننا، ويمنعه من الخروج الخوف منه، فليخرج متى شاء، آمناً مطمئناً في نفسه وعياله وماله وولده، يقيم حيث يشاء ويمضي إلى حيث يريد، لا يعرض له بأذّى، ولا ينال بمكروه، فأصغى طبقات الناس من أهل المسكنة إلى ذلك منه، وطرقوا في الخروج إليه، ولم تزل طوائفهم يتتابعون في ذلك ويكثرون منهُ كلما أدركهم الجهد ونالهم الحصار، إلى أن اندخل فيهم من لم يكن منهم، فطرق المقاتلة من فرسان ورجّاله إلى الخروج بمعنى كره الضيقة والنزوع إلى الإحسان والسعة، وكل ما خرج واحد فلقي خيراً، دعا إخوانه ومعارفه إلى امتثاله، ورَّغبهم فيما صار إليه، فلم يزل بعضهم يجيب بعضاً، حتى خرج ذوو الشوكة منا، وذهب مقاتلتنا، فقل منا الغناء، واشتد علينا البلاء، وانقطعت المرافق وضاقت المعايش، ووصل الجهد إلى القوي منا والضعيف.**

فلما رأينا أنه الموت عَيَاناً، دعونا إلى الصلح وطلبنا الأمان، فأجابنا السلطان وكتب لنا، على فرط اضطرارنا، بكل ما أردناه واشترطناه من الحرية عن الوظائف والإعفاء عن النوائب ومن شكوس القبالات ومعرة الإنزال في الدور، وأنْ لا يُؤخذ منا غير الزكاة المفروضة على السنّة المعلومة، وأن لا يعزل عنا صاحب صلاتنا، ولا يقدم علينا غير خيارنا، ومن تتفق عليه جماعتنا، فلم يمنعنا

السلطان ذلك كله، ولا ضايقنا في شيءٍ منه، فأسْمَحتْ عند ذلك قرابتنا، وألقينا إليه بأيدينا، وفتحنا له مدينتنا، فدخلها على حكمه. ووفّى لنا بعهده، وتعمدنا جميعاً بعفوه، وتلقّى إساءتنا بصفحه، ونظر لنا ولبلدنا بأحسن نظر، وأكمله وأحوطه بعاجل الوقت ومآل عاقبته، بأن فصل بيننا وبين القصر المخصوص به لعمالّه بسور منيف بيننا وبينهم، فكان ذلك صلاح الجميع وسكون نفوسهم واستقامتهم على الطريقة، بحمد ربهم)[1].

وبهذا الفتح العظيم، والنصر المبين، انتهى عهد الفتن والثورات في عهد الناصر لدين الله في طليطلة، فلم تنقل لنا المصادر أي خبرٍ عن انتقاضٍ لأهل طليطلة. (**... فلم يزالوا مستقيمين على الطاعة بعد)**[2]، (**... فأذعنوا منذ ذلك الوقت بالطاعة، وفارقوا ما كانوا عليه من النخوة، وتداولتهم الولاةُ دهراً أعزّة)**[3].

وهكذا فقد ولّى عهد الثورات في طُليطلة وانتهى. فقد قدّر الله لهذا البحر المتلاطم الأمواج أن يهدأ. وأن يبدأ له عهدٌ جديد في ظل خلافة الناصر لدين الله، فقد تعاقب الولاة على طليطلة بعد سنة 320هـ/932م، وسارت أمور طليطلة على أحسن حال وأكمل وجه، وقد احتفظ ابن حيان ببعض هذه الولايات التي كان يولّيها الناصر على طليطلة. ففي سنة 321هـ/933م سجّل الناصر لدين الله لمحمد بن عبد الله بن حُدير على مدينة طليطلة وأعمالها[4] لكنه عزله عنها في السنة التالية 322هـ/933م وأرسل بدلاً منهُ محمد بن عبد الرحمن[5]. وفي سنة 325هـ/936م عزل عنها محمد بن عبد الرحمن واستبدله بأحمد بن محمد بن

---

(1) نص آخر حول فتح طليطلة من شاهد عيان، ابن حيّان: المقتبس، 5/ 321- 322.

(2) ابن خلدون: العبر، 181/4.

(3) ابن حيّان: المقتبس 5/ 319.

(4) ابن حيّان: المقتبس 332/5، أحداث سنة 321هـ.

(5) ابن حيّان: المقتبس 355/5، أحداث سنة 322هـ.

مبشر واشرك معه عبد الله بن محمد[1]. وفي سنة 328هـ/939م عزل عنها قسم بن حريق واستبدل بهشام بن جَهْوَر وسجل له كذلك على قلعة رباح، بيد أن ابن حيان لم يذكر لنا متى عُزل كلاً من أحمد بن محمد بن مبشر وعبد الله بن محمد، ومتى كذلك وُلي قاسم بن حريق[2] لكن قاسم بن حريق لم تطل مدته إذ تم عزله عن ولاية طُليطلة سنة 329هـ/940م واستبدل بعيسى وسليمان ابني محمد بن عيسى، وقد ظم إليهما الناصر لدين الله عمالة كورة قلعة رباح كذلك، وتم كذلك عزل هشام بن جَهْوَر عن قلعة رباح[3]. في سنة 330هـ/941م تم عزل عيسى وسليمان ابني محمد بن عيسى، وأرسل بدلاً منهما إلياس بن سليمان[4]. وبقيت طُليطلة على حالها من الطاعة يتداولها الولاة في عهد الحكم المستنصر بالله (350- 366 هـ/961/976م) كما كانت عليه في عهد الناصر لدين الله ولم أجد في المصادر الإسلاميّة ما يُشير إلى حدوث أيٍ من الفتن أو الثورات الداخلية في مدينة طُليطلة، مما يدلُّ على أنَّ أمورها سارت على أجمل طريقة وأفضل حال خلال عهد الحكم المستنصر بالله.

طليطلة في عهد الخليفة هشام (المؤيد بالله) بن الحكم (المستنصر بالله) (366هـ/ 976م- 403هـ/ 1013م)

بويع له بعد وفاة أبيه الخليفة الحكم المستنصر بالله، سنة 366هـ/ 976م، وكان هشام صبيّاً لم يبلغ الحُلم، وتم ذلك بعد أن قُتل المغيرة عمّه بتدبير من أبي عثمان المصحفي حاجب الخليفة الحكم، وبتنفيذ من الوزير محمد بن أبي عامر المعافري، الذي حجر على الخليفة هشام فيما بعد، وتغلب عليه، وأبعده عن الناس، ولم يَبْقَ لهشام من الخلافة إلا اسمها والدعاء له على المنابر، وكتب اسمه في السكّة

---

[1] ابن حيّان: المقتبس 417/5، أحداث سنة 325هـ.

[2] ابن حيّان: المقتبس 462/5، أحداث سنة 328هـ.

[3] ابن حيّان: المقتبس 472/5، أحداث سنة 328هـ.

[4] ابن حيّان: المقتبس 489/5، أحداث سنة 330هـ.

والطرز، وكان هشام هذا جامد الحركة، أخرس الشمائل، وأمّه صبح (Aurora) من البشكنس، وهي مَنْ أوصلت الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر إلى ما وصل إليه، وبقي هشام محجوباً عن الناس، وليس بيده شيء، والقائم بالأمور أبو عامر محمد بن أبي عامر الحاجب المنصور الذي أصبح حاجباً لهشام بعد أن تخلص من قائد الجيوش غالب الناصري، والحاجب المصحفي وَصَفَتْ له الأمور، وفي عهد المظفر عبدالملك وأخيه عبد الرحمن شنجول بقي هشام محجوباً معطلاً، حتى قيام الفتنة البربرية في الأندلس سنة 399هـ، حيث تم قتل هشام المؤيد على يد سليمان المستعين بالله الأموي سنة 403هـ/ 1013م عندما دخل البربر قرطبة، وكان هشام رحمه الله لا ينفذ له طول مدته أمر، ولم يولد قط) [1]. أما بالنسبة لطليطلة في عهد هشام وحاجبه محمد بن أبي عامر فقد ولي عليها عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز ابن أمية بن الحكم الربضي أبو بكر، الملقب بالحجر [2]. ولم تنقل لنا المصادر أي تفصيل عن طليطلة خلال تلك المدة، أو عن

---

(1) للمزيد انظر: (ابن عِذاري: البيان المُغرب 2/259- 262، 3/113- 114، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 83/6، 172، 217، 234، 248، ابن بسام: الذخيرة 36/4، الحُميدي: جذوة المقتبس، ص21، الضبي: بغية الملتمس، ص24، ابن الفرضي: علماء الأندلس، ص15، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 44/2-45، المقري: نفح الطيب 1/ 396- 398. ابن سعيد: المُغرب 1/ 132- 134، وفيه أن ولادته كانت سنة 354هـ، ابن خلدون: العبر، 4/ 176، عبدالواحد المراكشي: المعجب، ص45، النباهي: قضاة الأندلس، ص13، 78، 80، 81، 86، النويري: نهاية الأرب، 3/ 235- 236، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص523، الذهبي: سير أعلام النبلاء 1/ 123- 124، العبر: 2/ 185، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 222/4، وقد اعتبره من وفيات عام 399هـ وهذا خطأ حيث أجمعت المصادر على أن وفاته سنة 403هـ، الزركلي: الأعلام، 85/8، ياسر أبو طعمه: محمد بن أبي عامر في الشعر الأندلسي، ص33، 34، والكتاب دراسة مفصلة وشاملة حول الأوضاع السياسية في عهده مع الاهتمام بالجانب الأدبي).

(2) هو: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز ابن أمية بن الحكم الربضي، أبو بكر، يلقب بالحجر، ويقال له: (البِطْرَشُك) بالعجمية ومعناه الحجر اليابس (Piedra Seca) بالإسبانية وقيل أنه لُقِّبَ بالحجر لبخله. كان رحمه الله أحد رجالات المروانيّة، عقلاً وشهامةً وأدباً وغزارةَ علمْ وامتاع حديث وطيب مجالسه. (ابن الآبار: الحلة السيراء 217/2) وفي المُغرب: كان جليل القدر، عظيم==

أي أحداثٍ قد جرت بها، فالبلاد الأندلسية على وجه العموم صفت أيام الحكم المستنصر، وكذلك الأمر أيام ولده هشام وحاجبه المنصور محمد بن أبي عامر، فقد كان الناصر لدين الله قد قضى على الثورات في الأندلس، ودانت له وصَفت، فورّثها لمن بعده على أحسن من يكون من القوة والمنعة، والعزة والهيبة والأمانِ والرخاء.

=الذكر، يُعرف بالحجر. (ابن سعيد: المُغرب 12/2). فوّض إليه أمر طليطلة زمن هشام المؤيد بالله وحاجبه المنصور، وكان على مقدمة جيوش المنصور بن أبي عامر في غزاته إلى جليقية بعد منصرفه من مقتل غالب الناصري سنة 371هـ، ومعه خيل طليطلة وطبقات الأجناد وجميع الرَّجل، سجنه المنصور محمد بن أبي عامر لأنه تحالف مع عبد الله بن محمد بن أبي عامر الذي قام على أبيه وقد قتله أبوه المنصور سنة 380هـ، وبقي عبد العزيز مسجوناً حتى وفاة المنصور سنة 392هـ، حيث أطلقه المظفر عبدالملك بن أبي عامر وخلع عليه وولاه الوزارة، وتوفي رحمه الله سنة 393هـ. وهو غازياً مع المظفر بمدينة مارده وقبره بمسجدها، وكان رحمه جَلْداً في محنته كثير الدعاء. ومن جميل شعره بعد أن ظفر به المنصور محمد بن أبي عامر وسجنه بالمطبق بالزهراء بعد أن أطيف به على جَمَل بالطويل]:

فررتُ فلم يُغنِ الفرارُ، ومن يكنْ مع الله لا يُعجزْه في الأرض هاربُ
ووالله ما كان الفرارُ لحالةٍ سوى حذر الموت الذي أنا راهبُ
ولو أنني وُفِّقتُ للرشد لم يكن ولكن أمرَ الله لا بد غالبُ
وقد قادني جرًّا إليك برُمّتي كما اجترَّ ميتاً في رحى الحرب سالبُ

(للمزيد: ابن الآبار: الحلة السيراء، 2/ 215- 20، ابن سعيد: المُغرب 12/2، الحُميدي: الجذوة، ص231، الضبي: البغية، ص301، المقري: نفح الطيب 3/ 343، أبو طعمة، محمد بن أبي عامر في الشعر الأندلسي ص177- 180.

الفصل الثالث

الباب الأول

طُلَيْطُلة في عهد ملوك الطوائف حتى سقوطها

(400هـ/ 1009م- 478هـم 1085م).

- ❖ تمهيد
- ❖ طُلَيْطُلة في عهد بني ذي النون
  (400هـ/ 1009م- 478هـ/ 1085م).
  - عهد إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون (الظافر) (427هـ/ 1036م- 435هـ/ 1043م).
  - عهد يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (المأمون) (435هـ/ 1043م- 467هـ/ 1075م)
  - عهد يحيى بن إسماعيل بن يحيى (القادر حفيد المأمون) (467هـ/ 1075م- 478هـ/ 1085م).

طُليطلة في عهد ملوك الطوائف حتى سقوطها

(400هـ/ 1009م- 478هـ/ 1085م)

تمهيـــد:

في جمادى الآخرة من سنة 399هـ/ 1008م، كانت بداية الفتنة على بلاد الأندلس؛ وذلك بقيام (المهدي) محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبد الرحمن بن محمد (الناصر الأموي) على الخليفة هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر بالله؛ حيث قتل حاجبه عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر المعافري الملقب بشنجول، وخلع الخليفة هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر بالله، وبايعه أهل قرطبة فأصبح الخليفة. ثم قام على المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار سليمان بن عبد الرحمن بن الحكم ابن أخ المهدي، الملقب بالمستعين، وجرت بينهما حروب انتهت بمقتل المهدي، سنة 400هـ/ 1009م، ومقتل الخليفة هشام المؤيد بالله سنة 403هـ/ 1013م، ومقتل سليمان الملقب بالمستعين بالله سنة 407 هـ، ودارت رحى الفتنة في بلاد الأندلس عامة، فافترقت الجماعة، وانتزى كل والٍ بما ولّي عليه واستقلّ به، وبدأ القوى يطمعُ بالضعيف لأخذ ما بيده وتناثرت فصوص عقد الأندلس، ودبّ الخلاف، وبدأ في بلاد الأندلس ما يسمّى بعهد ملوك الطوائف، عهد الشقاق والنفاق، والضعف والغربة والفرقة، وإذا نزل قضاء الله لا رادّ له إلا هو: قال المقري بهذا الشأن نقلاً عن كتاب مناهج الفكر لابن الوطواط الكتبي المتوفى سنة 718هـ: (ولم تزلْ هذه الجزيرة منتظمةً لمالكها في سلك الانقياد والوفاق، إلى أن ضما بمترفيها سيلُ العِناد والنفاق، فامتازُ كلّ رئيس منهم بصقعٍ كان مسقط، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصارَ كلٌّ منهم يشنُّ الغارةَ على جارهِ، ويحاربه في عقر داره إلى أن ضعفوا عن لقاءِ عدّو في الدّين يعادى، ويراوح معاقلهم بالعبثِ

وإتاوةٍ في كلّ عام على الكبير والصغير مقرّرةٌ، كان ذلك في الكتاب مسطوراً، وقَدَراً في سابق علمِ اللهِ مقدورا)[1].

ويحدثنا ابن بسّام عن ما آلت إليه طُليطلة في عهد ملوك الطوائف فيقول: **(ونتلو هذا الفصل بنُبَذٍ لها بهذا الموضع موقع، من أخبار طُليطلة البائسة، وشرح الحال التي أبادت مصانعها، وطيّرت واقعها، وما آل إليه أمر المملكة القابضة للأنام، المبنية على هدم دعائم الإسلام، المجموعة من افتراق الجماعة، المغلوب عليها أئمة السمع والطاعة. ونذرك طرفاً من حديث مآل أميرها المترف المسرف، الملقب- كان- من الألقاب السلطانية بالقادر بالله، جهلاً منه بحقيقته، وتهاوناً بالله وخَلَيفته. خُطّةٌ ذاده المقدار عن مستقرها، ودعوى دفع الليل والنهار في صدرها)**[2].

عندما دارت رحى الفتنة في بلاد الأندلس، كانت طُليطلة أول ممالك الأندلس استقلالاً عن دولة الخلافة الأُموية، حيث استقل بها قاضيها **أبو بكر يعيش بن محمد بن يعيش الأسدي**[3]، وكان ذلك سنة 400هـ 1009م، وكان يعاونه جماعةٌ من رؤساء أهل قرطبة، يحكمون معهُ، ومنهم **عبد الرحمن بن متيوه، وابن مسرّة، وابن كوثر**[4]، لكن هذه الجماعة ما لبثَ أنْ دبَّ الخلاف بينهم، وتم عزل القاضي

---

(1) المقري: نفح الطيب 4/ 446.

(2) ابن بسّام: الذخيرة، 4/89.

(3) هو: يعيش بن محمد بن يعيش الأسدي: من أهل طليطلة، يكنى أبا بكر، روى عن أبيه وغيرهِ، كانت له رحلة إلى المشرق، وله عناية كثيرة بالعلم، كان حافظاً للفقه، ذاكراً للمسائل، وقد تولى الأحكام في طليطلة، ثم صار إليه تدبير الرياسة عقب الفتنة البربرية سنة 400هـ، ثم خُلع عن الرياسة وحلّ محلّه الظافر إسماعيل بن ذي النون، وصار ابن يعيش إلى قلعة أيوب وبها كانت وفاته سنة 418هـ، وقيل وفاته سنة 419هـ. (للمزيد: ابن بشكوال، الصلة 2/ 529، ابن سعيد: المُغرب 2/ 12).

(4) هو: أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري: كان فقيهاً متفنناً، كان يأتيه طلاب العلم من قلعة رباح ومن المشرق يمكثون عنده الأشهر، فيقوم على خدمتهم وإطعامهم، أحسن الطعام وأطيبه مع التدفئة والعناية، وولي أحكام طليطلة مع ابن يعيش فاستثقله ودبّر على قتله، وذكر ابن بشكوال أن ابن حيّان ذكر أنه مات مسموماً سنة ثلاثٍ وأربعمائة (403هـ) رحمه الله. (ابن بشكوال: الصلة 1/ 46).

ابن يعيش، وصار إلى قلعة أيوب وتوفي بها سنة 418هـ[1]، وولي الأمر عبد الرحمن بن متيوه، وبعد وفاته ولي ولده عبدالملك بن عبد الرحمن بن متيوه، فأساء السيرة في الرّعية، وأهل طليطلة جُبلوا على النفاق والفتن، وخلعِ طاعة الولاة، فاتّفقوا على خلع عبدالملك، وراسلوا عبد الرحمن ابن ذي النون في شنتيريه (Santaver) يستدعونه للقيام بأمر طليطلة، فوجه إليهم ولده إسماعيل، وكان ذلك سنة 427هـ/ 1036م[2]. قال ابن الأثير بهذا الشأن: (...**وأما طليطلة فقام بأمرها ابن يعيش فلم تطل مدته وصارت رياسته إلى إسمعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذي النون ولقبه الظاهر بحول الله، وأصله من البربر وولد بالأندلس وتأدب بآداب أهلها، وكان مولد إسمعيل سنة تسعين وثلثمائة وتوفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان عالماً بالأدب وله شعر جيد وصنف كتاباً في الآداب والأخبار**)[3].

طليطلة في عهدِ إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون

(427هـ/ 1036م- 435هـ/ 1043م)

وكانت أوّلية نبّاهة بني ذي النون من جدّهم ذي النون، أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (238هـ/ 852م- 273هـ/ 886م) وكان قد اعتل خصيٌ له، وكان عائداً من الثغر، فتركه الأمير محمد عند ذي النون بحصن أُقليش (Ucles) يمرّضه، فلما آفاق وبرئ من علته لحق بقرطبة مع الخصي، فأخذ له توقيفاً بتقديمه على حصنه، ثم تداول تلك الخطة ولده إلى أيام الحكم المستنصر بالله

---

[1] ابن عذاري: البيان المُغرب 3/ 276، ابن الأثير: الكامل 7/ 292، ابن خلدون: العبر 4/ 207، طبعة دار الفكر، ابن الآبار: الحلة السيراء 2/ 37، والحاشية رقم 5 القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 252 وفيه أن وفاة ابن يعيش كانت سنة 427هـ، ابن سعيد: المُغرب 2/ 12، ابن بشكوال: الصلة 2/ 529، عنان: ملوك الطوائف ص95-96، النويري: نهاية الارب 23/ 258.

[2] ابن عذاري: البيان المُغرب 3/ 276، ابن بشكوال: الصلة 2/ 529، ابن سعيد: المُغرب 2/12، ابن الخطيب، أعمال الأعلام 2/ 176، القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 252، عنان: ملوك الطوائف، ص96.

[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 7/ 292، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت - بنان، ط4 1973.

(350هـ/ 961م- 366هـ/ 976م) وفي دولة محمد بن أبـي عـامر المعـافري الحاجب المنصور (366هـ/ 976م- 392هـ/ 1002م) تعلق به المظراس بن ذي النون وولده إسماعيل معهُ. وبعد انقراض دولة ابن أبي عامر؛ لحق بالثغر وجمـع إليه بني عمّه، وخطب من سليمان المستعين ولاية أقليش، فولاه إيّاه، ثم تهيّأت لـه قلعة كونكة التي كانت بيد واضح العامري، فلما مات ضبطها إسـماعيل بـن ذي النون، وحصل له البلد وأصبح تحت إمرته وسطا على من يجاوره من قواد الثغر، فاستقامت له الأمور وعقد له سليمان المستعين الثائر في قرطبة مع البربر الوزارة، ولقبّه بناصر الدولة، وكان إسماعيل بن ذي النون أول الثائرين والمفارقين للجماعة، منهُ نبعت الفتن،ـ وكان يتجرّأ وينالُ من السلف الصالح، ناهيك عن شـدة بخلـه، فتولى أمر طليطلة وساسها السياسة الحسنة، ورضيه أهل طليطلة، وكان معتمداً في تدبير أمور طليطلة على رجلٍ من أكبار أهل طليطلة اسمه **أبو بكر الحديدي**، وكان من أهل العقل والعلم والذكاء والدهاء، وحسن النظر في صلاح أهل طليطلة، فحسده الناس على منزلته عند الظافر إسماعيل بن ذي النون، وكان ابن ذي النون يشاوره في صغائر الأمور وكبائرها، ولا يقطعُ أمراً حتى يأخذ رأيه. وبقي إسـماعيل بـن ذي النون يحكم طليطلة حتى وفاته سنة 435هـ/ 1043م[1]. قال ابن حيّان بحـق ابن ذي النون إسماعيل الظافر (**...وآثر الفرقة، واقتطع جانبه، فكان أول الثـوّار لمفارقة الجماعة، وفَرطهم في نقض الطاعة، ثم اتفقت له أُمور اتّسع بها عَمَلُـهُ، وكثرت جبايته وجمعه، وكان من البخلِ بالمال والكلف بالإمساك، والتقتيـر فـي**

---

[1] ابن بسّام: الذخيرة 4/ 89- 90، ابن حيّان: المقتبس من تحقيق الأب ملشـور م. انطوانيـه، بـاريس 1937م، ص 17- 19، ابن عذاري: البيان المُغرب 3/ 276- 277، ابن خلـدون: العبـر 4/ 207، وفيه أن وفاة الظافر إسماعيل كانت سنة 429هـ، النويري: نهاية الأرب 23/ 258، وفيه أن وفاتـه سنة 435هـ، القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 252، وفيه أن وفاته سنة 429هـ، والظاهر أنه ينقل عن ابن خلدون، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 176، ابن سعيد: المُغرب 2/ 12 وفيه (قال ابن غالـب: إنه توفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة) المقري: نفح الطيب 1/ 440- 441، عنان: ملوك الطوائف، ص96.

الإنفاق، بمنزلةٍ لم يكن عليها أحدٌ من ملوك عصرهِ، لم يرغب في صنعةٍ، ولا سارع إلى حسنةٍ، ولا جاد بمعروف، فما أعملتْ إليه مطيّة، ولا حملت نحوه أحداً ناقة، ولا عرَّج عليه أديبٌ، ولا شاعر، ولا امتدحه ناظمٌ ولا ناثرٌ، ولا استخرج من يده درهم في حق، ولا باطل، ولا حَظِيَ أحدٌ منهُ بطائلٍ، وكان مع ذلك سعيد الجدّ، تنقادُ إليه دُنياه، وتصحبه سعادته فينال صعاب الأُمور بأهونِ سعيه، وهو كان فرط الملوك في إيثار الفرقة، فاقتدى به من بعدهِ، وأمّوا في الخلافِ نهجهُ، فصار جرثومة النفاق، وأولّ من استنَّ العصيان، والشقاق، ومنه تفجّر ينبوعُ الفتن والمحن، فتبارك من أملى له، ولم يرضَ له عقوبة الدنيا مثوبة. فقد كان أصحابه حفظوا عنه كلماتٍ في سبيل ذكر السلف الصالح زيادةً إلى مساوئهِ؛ وذلك أنّهُ نوظر في شأن التأمير لبني أُميّة فقال: والله لو نازعني سلطاني هذا الصّديق لقاتلته، ولما سَلَّمتُ لهُ، فكيف أسلِّم لمن يدعى إليه من بني أميّة، ممن لا يوجب الله طاعتهم، عترة مروان خيط باطل[1]، الذين لم يسبق لهم صُحبة ولا أدخلهم السلف في شورى (الإمامة) انتهى كلام ابن حيان[2].

طليطلة في عهد يحيى بن إسماعيل بن ذي النون المأمون

435هـ/ 1043م- 467- 1075م

بعد وفاة الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرِّف بن ذي النون الهواري، ولي أمر طليطلة ولده يحيى بن إسماعيل، تلقبّ بالمأمون، وسار على سنن أبيه في تقديم وزيره ابن الحديدي، ومشاورته والاعتماد عليه في إدارة

---

[1] قيل في المثل: (**أدَقُّ من خيطِ باطل**) وهنا قولان: أحدهما أنّه الهباء يكون ضوء الشمس فيدخلُ من الكوّة في البيت. أمّا ألقول الثاني: أنّه الخيط الذي يخرجُ من فم العنكبوت، ويسميه الصبيان، مخاط الشيطان، وعند الجوهري: خيط باطل، ولعاب الشمس، ومخاط الشيطان واحد، وكان لقب مروان بن الحكم خيط باطل لأنه كان طويلاً مضطرباً. (الميداني: مجمع الأمثال 1/ 480، العسكري: جمهرة الأمثال 1/ 454).

[2] هذا نص ابن حيّان نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة 4/ 89- 90، وقد وصفه ابن حيّان بمواضع عدّة وذكر سوء قوله ونيله من السلف الصالح ومن بني أمية ص90- 91.

الأمور، وكان والده قبل وفاته جعل له خاصةً يشاورهم إضافةً إلى ابن الحديدي وهم: ابن محقور، وابن لبون، وابن سعيد بن الفرج. قال ابن بسام: (**بلغني أنّه لمّا مات الظافر إسماعيل، كان حَمَلَةُ دولتهِ ورؤس جملته، الحاج ابن محقور، وابن لَبُون، وابن سعيد بن الفَرج، وكان أَكّدَ ما عهده إلى ابنه يحيى المتلقب بعده بالمأمون الاقتداء بهديهم، والانتهاء إلى رأيهم،...**)[1]. وكان المأمون رحمه الله أعظم قدراً وشهرةً من بين آبائهِ وأحفادهِ من بني ذي النون[2]، وقد عظم بين ملوك الطوائف، وكان بينهُ وبين الفونسو السادس مواقف مشهورة، وقد غلب المأمون على قرطبة وملكها من يد المعتمد بن عبّاد بعد أن قتل ولده عمرو، ثم غلب على بنلسية وأخذها من يد المنصور (الصغير) بن أبي عامر[3] واستقامت له الأمور في طليطلة، وأطاعته الرعية، وضخم ملكه لأنه ساس دولته خير سياسة، وكانت وفاته رحمه الله سنة 467هـ/ 1075م) بقرطبة، وحمل جثمانه إلى طليطلة، وقيل أنّهُ مات مسموماً بقرطبة[4].

قال الحجاري بحق المأمون: (**لم يكن فيهم أعظم قدراً، وأشهر ذكراً منهُ، اجتمع في مجلسه أبو عبد الله محمد بن شرف حسنة القيروان، وعبد الله بن خليفة المصري الحكيم، وأبو الفضل البغدادي الأديب. ولم يجتمعُ عند ملك من ملوك الأندلس ما اجتمع عنده من الوزراء والكتّاب الجلة: منهم أبو عيسى بن لَبُّون، وابن سفيان، وأبو عامر بن الفرج، وأبو المطرّف ابن مثنّى**)[5].

---

(1) ابن بسّام: الذخيرة 4/ 91.

(2) ابن سعيد: المُغرب 2/ 13.

(3) المقري: نفح الطيب، 1/ 440.

(4) للمزيد عنه انظر: (ابن عِذاري: البيان المُغرب 3/ 277- 285، ابن خلدون: العبر 4/ 207، ابن سعيد: المُغرب 2/ 13، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 176- 177، ابن بسام: الذخيرة 4/ 90-92، المقري: نفح الطيب 4/ 440، النويري: نهاية الأرب 23/ 258- 259، القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 252.

(5) ابن سعيد: المُغرب 2/ 13.

وعند ابن الأثير في الكامل بعض الخلط والوهم من خلال حديثه، عن المأمون بن ذي النون يحيى، فقد خلط بينه وبين حفيده يحيى بن إسماعيل بن يحيى (المأمون). فيحيى الحفيد لُقّب بالقادر أما يحيى الجد فقد لقب بالمأمون، وقد نسب ابن الأثير صفات يحيى (القادر) ليحيى المأمون وهذا خلط ووهم. ثم قال أنّ في عهد يحيى المأمون أُخذت طليطلة، وقد قتل في بلنسية وهذا خلاف لما أوردته المصادر بالإجماع كما أسلفنا، وسيأتي الحديث عن يحيى القادر في موضعه إن شاء الله.

والآن نورد نص ابن الأثير بشأن يحيى بن ذي النون (المأمون) وفيه خلط ووهم قال ابن الأثير: (**...وأما طليطلة فقام بأمرها ابن يعيش فلم تطل مدته وصارت رياسته إلى إسمعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذي النون ولقبه الظاهر بحول الله، وأصله من البربر وولد بالأندلس وتأدب بآداب أهلها، وكان مولد إسمعيل سنة تسعين وثلثمائة وتوفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان عالماً بالأدب وله شعر جيد وصنف كتاباً في الآداب والأخبار؛ وولي بعده ابنه يحيى فاشتغل بالخلاعة والمجون وأكثر مهاداة الإفرنج ومصانعتهم ليتلذذ باللعب وامتدت يده إلى أموال الرعية، ولم تزل الفرنج تأخذ حصونه شيئاً بعد شئ حتى أخذت طليطلة في سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وصار هو ببلنسية وأقام بها إلى أن قتله القاضي ابن حجاف الأحنف**)[1].

لقد كانت مدة المأمون بن ذي النون (435هـ- 467هـ) مليئة بالخصومات مع أشد منافسيه من جيرانه، ابن عبّاد صاحب إشبيلية وابن هود صاحب سرقسطة؛ وكان بداية الصراع بين يحيى وابن هود، حيث يجاوره من ناحية الشمال الشرقي. فبعد وفاة الظافر إسماعيل كان سليمان بن هود قد طمع بوادي الحجارة، فأرسل جيشاً بقيادة ولده أحمد بن سليمان للسيطرة على وادي الحجارة الذي هو أصلاً من أعمال طليطلة، فنازلها أحمد بن سليمان سنة 436هـ/ 1044م، لكن يحيى بن ذي

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ 7/ 292، طبعة دار الكتاب العربي.

النون لم يكن يعلم بهذا الهجوم، ولمّا علم جهزّ جيشاً والتقى مع ابن هود في معارك عدّة، كانت الغلبة فيها لابن هود، وانهزم يحيى بقواته وابن هـود يلاحقه حتى تحصن في طلبيرة، وهي من أعمال طليطلة تقع على نهر تاجه غربي طليطلة، وشدّد الحصار عليه وضايقه، ثم فك الحصار عن يحيى، بعد أن كاتب أحمد بن سليمان أباه، وعاد أحمد إلى سرقسطة وبذلك ينجو يحيى من قبضة أحمد بن سليمان بن هود[1]. وعند حتاملة أن سبب انسحاب ابن هود عندما كاتبَ والده؛ أنه خشي من قيام القوات النصرانيّة ببعض التحركات المعادية، فآثر الانسحاب خشية أن تكون بلاده هي المقصودة، وبذلك يجمع شمل جيوشه للتصدي لأي اعتداء[2] وهذا ليس مستبعداً فقد كانت سرقسطة قريبة جداً لاراضي النصارى وكانت تسمى الثغر الأعلى المتاخم لحدود قشتالة.

قال ابن عِذاري بهذا الشأن: (**... وضخم ملكه وكان يلي نظره من ناحية سليمان بن محمد بن هود مدينة وادي الحجارة، فعارضه ابن هود فيها وكان بعض أهلها يميلون إلى بن هود وبعضهم إلى بن ذي النون، فيعث سليمان بن هود جيشاً إليها أمرَّ عليه ابنه أحمد ولي عهدهِ فنازلها وقاتلها واستجاب له بعض أهلها فأدخلوه البلد. وبلغ ذلك يحيى بن ذي النون فقامت قيامته وأسرع نحو وادي الحجارة ليباشر ما جرى من أمرها فجرت بينه وبين ابن هود حروب ووقائع كان الغلب فيها لابن هود إلى أن فرّ ابن ذي النون أمامه وانحصر في مدينة طلبيرة بجيشه فنازله أحمد بن هود وضيَّق عليه وكتب إلى أبيه يعلمه بما تهيّأ له عليه فجاوبه أبوه بالرجوع عنه فرجع ابن هود إلى سرقسطة،...**)[3].

---

[1] ابن عِذاري: البيان المُغرب 3/277– 278، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 177، عنان: ملوك الطوائف، ص96– 97.

[2] حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية، 2/701.

[3] نص ابن عِذاري: البيان المُغرب 3/ 277– 278.

لم ينسَ يحيى شرَّ الهزيمة، إذ بدأ بعد قفول أحمد بن سليمان بن هود عن أرضه؛ الاستعداد للثأر والانتقام، واسترجاع وادي الحجارة الذي بات ضمن دولة ابن هود، وقام بمفاوضة ملك قشتالة فرناندو الأول، وطلب منه العون، ووضع يده بيدِهِ للانتقام من صاحب سرقسطة، وقد استغل ملك قشتالة موسم الحصاد صيفاً إذ بعث بعض سراياه فعاثت بالأراضي المتاخمه لقشتاله من مملكة سرقسطة، فقام جنود النصارى بحصد الزروع وأخذها عنوة إلى بلادهم، مع القتل والسبي والتخريب، وعادوا إلى بلادهم، أمّا ابن هود فقد بقي ممتنعاً في حصون سرقسطة، وقام المأمون يحيى كذلك بمهاجمة أراضي سرقسطة المتاخمة له وعاث فيها، ثم فكرَّ المأمون بكسب جانب ابن عبّاد لجانبه وذلك بالاعتراف بالدعوة الهاشمية، فعقد البيعة على نفسه وأجنادِهِ، وأعلن بالدعاء على منابرِهِ، وذلك عندما جيء بالحُصري وقيل بأنّه هشام المؤيد بالله، كان ذلك تدبير المعتضد بن عبّاد، حيث أظهره، وأعلن خلافته. وكان ابن ذي النون طامعاً بعون ابن عبّاد، فوعده ابن عباد بالعون مقابل الاعتراف بالدعوة المروانية كما ذكرنا؛ إلا أنَّ ابن عبّاد شغل في حربه مع ابن الأفطس صاحب بطليوس، ولم يوفي بوعده للمأمون، وبالمقابل سعى ابن هود لطلب عون النصارى لينال من المأمون فأصبحا بالحال سواء في أمر طلب العون من عدو الله على أنفسهم دون أن يشعروا. فقام ابن هود بمحالفة فرناندو الأول وأرسل له أموالاً وتحفاً وطلب منه الإغارة على أراضي طليطلة، فبعث فرناندو السرايا، وغارت على أراضي طليطلة شمالاً حتى وادي الحجارة، وقلعة النهر (قلعة هناوس) حرقاً ونهباً وتخريباً. وبالمقابل طلب ابن ذي النون من غرسيه بن شانجه ملك نافار القيام بنفس الدور بالإغارة على أراضي سرقسطة وحصل ذلك بعد أن أرسل له المال والهدايا، فعاث غرسيه في أراضي سرقسطة، وكان بين فرناندو وأخيه غرسيه ابنَيّ شانجه من العداوة أكبر مما بين ابن هود وابن ذي النون، فلو استغل ابن هود وابن ذي النون هذه الفرصة لافتتحوا حصونهم، ونهبوا زروعهم، فتقوى شوكتهم، ويتفرّق جمع النصارى الذين قويت شوكتهم بضعف ملوك الطوائف حتى دخلوا طليطلة سنة 478هـ.

ولم يلبث فرناندو أن أغارَ مرة أخرى على الأراضي التابعة لابن ذي النون[1] فكانت مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ، وهكذا فقد قام النصارى بدور المنتقم المأجور، وهم على الحالتين قد كسبوا المال والهدايا وما غنموا أثناء غاراتهم على المسلمين في طليطلة وسرقسطة، ثم أنهم كشفوا سرّ المسلمين وعورات بلادهم، بل أضعفوا المملكتين طليطلة وسرقسطة في آن واحد، وكل ذلك من أجل أن ينتقم المسلم من أخيه المسلم على حساب أرضِهِ وعرضِهِ وهيبتِهِ. وهذا هو دأب ملوك الطوائف، وجُلّ ما تمناهُ ملوك النصارى فجاءتهم الأمنية على طبق من ذهب.

قال ابن عذاري بهذا الشأن: **(فلجَّ ابن ذي النون في الفتنة ومطالبة سليمان بن هود فأداه اللج. والجنوح إلى الغلبة والإباية من الاستهضام على مظاهرة النصارى والتناصر بهم فاستمال القومسان الأشبان من ولد الطاغية شا[نجه]....، ورعيا من المسلمين بالثغر الأعلى قاصدين مكروه ابن هود لإرضاء ابن ذي النون، فانبسطوا هنالك آمنين وجرت خيولهم كيف شاءت في بلاد المسلمين مطمئنين، ولاذ منهم ابن هود وولده بحصونهم وتركهم يجولون في الأرض فلا أحد يصدهم عن ذلك، وكان أوان الحصاد، فنزل المشركون بساحتها نزول إقامة وحشروا لها علوجهم للحصاد والنقلان مدة من شهرين كاملين، حتى استوعبوا جميع ما فيها حصاداً ودرساً ونقلاناً إلى بلادهم، والمسلمون ينظرون إليهم لا يملكون دفاعاً، ثمَّ انصرف العدوُّ عنهم إلى أرضه بعد ما قتل وأسر ودمّر فقوي طمعه فيهم، وامتدّت آماله إلى التغلُّب على بلاد المسلمين، إذ لم يقف أحد في وجهه، وتمكّن خلال ذلك يحيى بن ذي النون من العبث فيما يليه من بلاد ابن هود ولم يقصر في إفساد ما وطئ من أرض المسلمين، ثم دعت الضرورة لابن ذي النون إلى محالفة المعتضد بن عبّاد والدخول في دعوته الهشاميّة التي أنكرها أبوه قديماً من الدخول في دعوة المشبّه بهشام، فاستحالت نيّته عن ذلك واستجاب الآن لها ودعا رعيته إلى الدخول فيها كلٌّ ذلك طمعا في نصرته على معاداة**

[1] للمزيد: (ابن عِذاري: البيان المُغرب 3/ 278- 280، النويري: نهاية الأرب 23/ 258- 259. ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 177، عنان: دول الطوائف ص97- 98.

سليمان بن هود فوعده ابن عبّاد بالتناصر والتظافر وأظهر يحيى بن ذي النون الدخول في هذه الدعوة الهشاميّة، وعقد البيعة على نفسه وأجناده وأهل عمله، وأعلن بالدعاء على منابره لهذا الموضوع باشبيلية، فذهب به الطمع الخائب كل مذهب وغرّه الأمل، وأتبع الباطل واشتغل ابن عبّاد عنه بحرب ابن الأفطس، والطلب لبلاده، وزلّت قدم يحيى بن ذي النون في ذلك، ولم يبلغ أمله وقد كان قرر عنده مشيخة طليلطة كابن مغيد...، رأيه في ذلك وردوا الأمر إليه فيه، وكان المتمّم لذلك من قبل ابن عبّاد وزيره ابو عمرو بن الدُّب الإشبيلي، ومن قِبل يحيى بن ذي النون أبو عمر بن الحدى، فعقد ابن الدب وابن الحدى هذا الأمر ورجع الدعاء لهشام بطليطلة بحضرة ابن الدب، وسار ابن الدب إثر ذلك إلى إشبيلية ومعه وفد طليطلة، فجاؤوا ابن عباد فجد الدهر فيما ظنَّه واستطار بذلك فرحاً وقدَّر أنه لم يبق عليه بعد طليطلة أحد. وظاهر سليمان بن هود النصارى أيضاً فرذلند بن غرسية وردمير ابن شانجه بن غرسية وكان بين هؤلاء الإخوة من التنافس والتباعد والعداوة والحرب أشدَّ ما بين آبقين فراسل ابن هود فرذلند الطاغية وبعث إليه بأموال جمة وهدايا جليلة، وسأله الخروج إلى بلد ابن ذي النون بجيشه فخرج بعددٍ عظيم إلى ثغر طليطلة، فأفنى حماته ورجاله وعاث في بلادهم، وصبَّ الله على أهل الثغور من الجبن عن العدو ما لا كفاء له، فلا يكاد أحد منهم يلتقي نصرانياً في قرار من الأرض إلاَّ ويوليه الدبر، غير مستحيي من الله سبحانه من الفرار أمامه، حتى تعوّد أعداء الله ذلك منهم فلا يعدون حبلهم شيئاً فذهبت أكثر أموال أهل طليطلة بتكرر الغارات عليهم، وفشت جوائحهم وجلا كثير من أهل ضياعهم وأطرافهم إلى قاعدتهم)[1].

اضطّر أهل طُليطلة جرّاء هذه الحروب المتتالية التي نكبتهم إلى طلب الصلح والمهادنة، فبعثوا إلى سليمان بن هود يطلبون منه المهادنة، ووصلوا إليه في سرقسطة، فأظهر لهم قبول ما دعوهُ إليه، وابدى كذلك ابن ذي النون الميل إلى

---

[1] نص ابن عِذاري: البيان المُغرب 3/ 278- 280.

الصلح مع ابن هود رغم ما جرى بينهما من الحروب والقطيعة، وصرف ابن ذي النون حلفاءه من النصارى الذين كان قد حالفهم آنفاً كما أسلفنا.

بيد أن ابن هود لم يكن بصاحب القلب الواسع، فبيّت المكر والخداع لأهل طليطلة، فأخرج طائفة من حلفائِه النصارى، وهو معهم بجيشه، فهاجم مدينة سالم، وهي من أعمال طليطلة المتاخمة لمملكة سرقسطة، وقتل جملةً من المدافعين، واستولى على سائر ما كان قد أخذهُ منه يحيى بن ذي النون من الحصون، وأثر في أعمال ابن ذي النون آثاراً قبيحةً، وكان في هذه الغزوة مع ابن هود عبد الرحمن بن إسماعيل بن ذي النون الثائر على أخيه، يدلُّ ابن هود على عورات البلاد وثغراتها، **(وتلك الشعرة التي قصمت ظهر البعير)**. المأمون هرع بقواته لنجدة مدينة سالم، وكان ابن ذي النون خلال ذلك يبالغ في إهدار الأموال والدخائر مستنجداً بالطاغية غرسيه بن شانجه، فخرج غرسيه في جموع الكفرة قاصداً بسراياه سرقسطة، وبالمقابل كان أخوه فرناندو حليف ابن هود يقوم بنفس الدور بمهاجمة أراضي طليطلة، حيث أخلّ بأعمال ابن هود ما بين تطلية (Tudela) ووشقه(Huesca) حتى أدخل الرعب في قلوبهم قتلاً وحرقاً ونهباً وسلباً، ثم أتى قلعة قلهرة (Calat Calahorra) من ثغر تطلية وفتحها سنة 437هـ/1045م، أما ابن هود فقد حاد عن اللقاء، على ما كان عنده من الجيش، واقتصر على ضبط الحصون والقلاع وشحنها بالطعام والرجال وفرناندو يجوس خلال الديار[1].

قال ابن عِذاري بهذا الشأن: (**واضطر أهل طليطلة أن يبعثوا إلى سليمان بن هود يطلبون منه المصالحة والمهادنة، ووصلوه إلى سرقسطة فدخلوا عليه ووعظوه وذكرّوه الله سبحانه، وعرّفوه بما تهيّأ للعدو من النصر والظفر على المسلمين، وما افسد من بلاده، وما ظفرت به أيديهم من أموال المسلمين،**

(1) ابن عذاري: البيان المُغرب 3/ 280 -281، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 177، في خبر قصير، عنان: دول الطوائف ص98- 99.

وعزموا عليه في الصلح الذي يزيل طمع العدوَ فيهم، فأظهر لهم قبول ما دعوه إليه، ورجعوا إلى أميرهم يحيى بن ذي النون وهو متردد في الميل إلى وفاق النصارى فنهوه عن ذلك فلاقوا منه انقياداً ورد العدو الذي كان معه إلى بلاده، ثم إن ابن هود مكر بابن ذي النون واستخرج طائفة من النصارى المظاهرين له الذين يستطيل بهم وركب بجيشه فيهم منتهزاً فرصته، فأتى باب مدينة سالم المستضافة إلى ابن ذي النون باسطاً الغارة، مستطيلاً بجمعه، فخرجت خيلهم لدفاعه فهزم جميعهم وقتل منهم جملةً، ومال سليمان إلى الحصون التي كان انتزعها ابن ذي النون من يديه، فاستردَّها وأثر في أعمال ابن ذي النون آثاراً قبيحة، وكان مع سليمان بن هود: عبد الرحمن بن إسماعيل بن ذي النون أخو يحيى الذي نازعه سلطانه فدلّضه على عوراته، وبالغ في إذايته ويحيى في هذا كله قد ذهب به اللجج كل مذهب؛ فأبرز أمواله وانحنى على ذخائره؛ فوجّه بكثير منها إلى الطاغية غرسية فخرج غرسية المظاهر لابن ذي النون في جموع جمّة من الكفرة إلى الثغر الأعلى من عمل ابن هود؛ وجرت خيله وسراياه بكل سبيل وإلى كل جهة، مناغيا لأخيه فرذلند فيما فعله في عمل ابن ذي النون، فأخلَّ بأعمال ابن هود ما بين تطيلة ووشقة، وجعجع بأهل الثغر الأعلى، فَحشَى قلوبهم رعباً وخوفاً، ثم أتى قلعة قلبرة[1] من ثغر تطيلة بجمعه؛ فلم يزل عنها حتى فتحها وذلك في صدر عام سبعة وثلاثين، وابن هود في هذا كله قد حاد عن لقائه على ما كان عنده في ذلك الوقت من الجموع ووفور الأعداد، واقتصر على ضبط

---

[1] قلهرة (Calahorra): مدينة من أعمال تطيلة Tudela، وهي من مدن الثغر الأعلى، وعند ابن حيّان وابن عِذاري أنها حصن، تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة سرقسطة (Zarqoza) وهي قديمة معروفة قبل الفتح الإسلامي تأخر فتحها حتى سنة 301هـ913م وفتحت في عهد الخليفة الناصر لدين الله، وقد خرج من أيدي المسلمين سنة 437هـ عندما احتلها غرسية شقيق فرناندو ملك قشتالة (للمزيد ياقوت الحموي: معجم البلدان، 393/4، البكري: جغرافية الأندلس، 61-62، ابن عِذاري: البيان المُغرب 164/2، 178، 280/3- 281، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، 74، 97، ابن حيّان: المقتبس، 98/2-99، 165، حتاملة: إيبيريا، 97، 249، موسوعة الديار الأندلسية 885/2.

الحصون والقلاع وشحنها بالأطعمة والرجال وخلّى بين عداة الله والبسائط يسعرونها ناراً)[1].

ثم يأتي الدور المغاير، وهم حلفاء ابن هود فرناندو بن شانجه ملك جليقية، للإغارة على طليطلة في خلقٍ عظيم، وابن عم ابن ذي النون يدخل المعركة معهم ليدل النصارى على عورات البلاد، أعمال طليطلة ضاعت بها الحال، وأنهكتها الحروب واضطربت أحوال الناس، وفرّوا إلى مدينة طليطلة لعلها أمنع حصانةً من غيرها، وغصّت طليطلة بالناس الفارين من وجه فرناندو وأعوانِهِ، أما يحيى المأمون فكان يحرس مدينة سالم حتى لا يعود ابن هود ليدخلها، وعندما علم بما فعله الطاغية فرناندو باعماله وضجت رعيته؛ قفل عائداً إلى طليطلة، لكنه كأن لم يعود فلم يصنع شيئاً، ولم يتمكن من لقاء فرناندو، واضطربت أحوال الناس بطليطلة خلال ذلك وغلت الحياة، فاضطرّ أهل طليطلة إلى أن يرسلوا إلى الطاغية فرناندو ظهير ابن هود لطلب الصلح والمهادنه، فاستغل الظرف، وبالغ بطلب الأموال الكثيرة، واشترط شروطاً لا يقدرونَ عليها فقالوا لهُ، لو كان لدينا ما تطلب من المال لاستدعينا البربر، فقال لهم عباراتٍ بأنكم لن تتمكنوا من استدعاء البربر لما بينكم وبينهم من العداوة ولو استطعتم لفعلتم، ونحن نطلبُ بلادنا التي أخذتموها بادئ الأمر يعني فتوح طارق بن زياد سنة 92هـ/ 710م، فارحلوا عنّا، وفي الوقت نفسه كان حلفاء ابن ذي النون غرسيه بن شانجه وحلفاؤه يغيرون على أراضي ابن هود، واستمرت الغارات بينهم حتى سنة 438هـ/1046م حيث انتهت بموت سليمان بن هود صاحب سرقسطة[2].

قال ابن عِذاري بهذا الشأن: (**... وخرج فرذلند الطاغية أيضاً المظاهر لسليمان بن هود، وهو فرذلند ابن شانجه أمير جليقية إلى ثغر طليطلة في خلق**

---

[1] نص ابن عِذاري: البيان المُغرب 3/ 280- 281.

[2] ابن عذاري: البيان المُغرب 3/ 281- 282، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 177، في خبرٍ قصير مختصر، عنان: دول الطوائف، ص99.

كثير، وجاءه ابن عم [ابن] ذي النون ليدله على عورات البلاد وتهارب الناس أمامه من كل جهة إلى طليطلة حتى غصت بهم واضطربت أحوال أهلها، كل ذلك وأميرهم يحيى بن ذي النون غائب عنهم بجيشه في مدينة سالم مقيم بها لئلا يدخلها ابن هود، فلما تيقن بخروج هذا اللعين إلى عمله وضجت رعيته إليه؛ جاء في جموعه فلم يصنع شيئاً ولا قدر على لقائه واضطربت أحوال الناس بطليطلة خلال ذلك وغلت، فلما رأى ذلك أهل طليطلة، أرسلوا إلى الطاغية فرذلند الظاهر لابن هود ليعقدوا معه صلحاً على بدلهم طليلطة وما حولها على ما يؤدونه إليه، ويرحل عنهم فقال لهم: ما أجيبكم إلى سلم ولا أعفيكم من حرب حتى تفعلوا كذا وكذا، واشترط عليهم شروطاً لا يقدرون عليها، فقالوا: لو كنّا نقدر على هذه الأشياء وهذه الأموال لنفقناها على البرابرة واستدعيناهم لكشف هذه المعضلة، فقال لهم فرذلنذ أمّا قولكم لا تقدرون على هذه الأموال فذلك محال، فلو كسف سقوف بيوتكم لبرق ذهباً لكثرته، وأما استدعاؤكم البرابرة فأمر تكثرون به علينا وتهدّونا به، ولا تقدرون عليه مع عداوتهم لكم، ونحن قد صمدنا إليكم ما نبالي من أتانا منكم، فإنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديماً في أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضي لكم وقد نُصرنا الآن عليكم برداءتكم، فارحلوا على عدوتكم واتركوا لنا بلادنا، فلا خير لكم في سكنكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم، فلم يجد رسل أهل طليطلة عند فرذلند وأصحابه النصارى قبولاً لما عرضوه عليهم من الصلح، وكان أخو هذا العِلج صاحب يحيى بن ذي النون مظاهراً له فخرج في هذه السنة إلى بلاد ابن هود فوطئها وأغلظ في إهلاكها وأخلّ بالثغر الأعلى وفعل فعل أخيه فرذلند في نظر ابن ذي النون، ودامت الفتنة ما بين هذين الأميرين ابن هود وابن ذي النون على هذه الحال من سنة خمس وثلاثين إلى آخر سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة وانقطعت بموت سليمان بن هود في السنة المذكورة)[1].

---

[1] نص ابن عِذاري: البيان المغرب 3/ 281- 282.

وبموت ابن هود ينقضي عهدٌ من الحروب الدامية استمرت من سنة 435هـ وحتى آخر سنة 438هـ، ويتنفس المأمون ابن ذي النون الصعداء بهذا الفرج، بموت عدّوه ابن هود، لكن ابن ذي النون على ما يبدو قد تعوّد على أجواء الحروب والقتال، ولم يتلقّنُ درساً من هزائمه مع ابن هود. وهذه المرة المظفر بن الأفطس صاحب بَطَلْيُوس (Badajoz)، وأقربُها لمملكة طليطلة، فبدأ يطلب جاره، حيث جرت بينه وبين ابن الأفطس حروب، لكنها لم تكن تلك الحروب الضارية، فعلى ما يبدو كانت مناوشات ليست ذات شأن على الساحة السياسية[1] وعند عنان أن هذه الحروب قد نشبت بين الفريقين بعد سنة 443هـ/ 1051م[2].

فرناندو وبعد أن كشف عورة طليطلة من خلال غاراته عليها لصالح ابن هود؛ يعود من جديد بعد موت ابن هود للإغارة على أراضي طليطلة، لكن هذه المرّة ليس مأجوراً، بل لحسابه الخاص، وكان يريد أن يُرّوض تلك البلاد شيئاً فشيئاً ليضعفها وخاصة ما كان متاخماً لأراضيه وحدوده، ومطالبة ابن ذي النون بالجزية، ويتوصل إلى مطلبه وهو ضعفها وذلك من خلال مصّ دمائها وإرهاقها بدفع الأموال. وبعد أن تأكد من نتائج خططه المثمرة، جهزّ جيشاً سنة 454هـ/ 1062م وخرج بهذا الجيش الذي يضم أقوى الفرسان، وأمهر الرماة، وأغار على أراضي طليطلة، فعاث فيها، أما المأمون ابن ذي النون فقد خنع وأذعن للصلح والمهادنة مقابل دفع الجزية[3] ونسيَ المأمون أن كل هذه من فعل يده في حروبه مع ابن هود.

وفي سنة 457هـ/ (1065م) استولى المأمون ابن ذي النون على بلنسية بالخديعة والمكر، والتي كان يتولى أُمورها عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر، صهر المأمون بن ذي النون، كان عبد الملك قد تزوج بابنة

---

(1) ابن عِذاري: البيان المُغرب 3/ 283، عنان: دول الطوائف، ص 99.

(2) عنان: دول الطوائف ص99.

(3) عنان: دول الطوائف، ص99-100.

المأمون بن ذي النون[1]. وزادت أطماع المأمون يحيى بن ذي النون بعد استيلائه على بلنسية بالتوسع، فمعدّ أنظاره إلى قرطبة، وقد تمكن من دخولها سنة 467هـ في أواخر جمادى الآخرة/ (1075م) بمساعدة ابن عكاشة. لم يلبث المأمون بن ذي النون طويلاً بعد دخوله قرطبة فوافته المنية في أواخر ذي القعدة من سنة 467هـ العام نفسه[2]، وقيل أنّهُ مات مسموماً بقرطبة وحمل من قرطبة ودفن في طليطلة.

وبذلك تنطوي الصفات المليئة بالجدل والحروب الدامية من حياة المأمون، ويضع الموت حداً لأطماعه التوسعية في الأندلس والاعتداء على جيرانه وإخوانه من ملوك الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف، الملطخ بالطمع والتنازع، المُعَنْونُ بالضعف والخنوع، القائم على النفاق والشقاق.

طُليطلة في عهد يحيى بن ذي النون القادر

467هـ/ 1075م- 478هـ/ 1085م

تولى أمر طليطلة بعد وفاة المأمون يحيى بن ذي النون حفيده يحيى بن إسماعيل بن يحيى (المأمون) بن ذي النون، وتلقب بالقادر، وكان حدثاً قليل الخبرة والتجربة، نشأ بين عبيد القصر وخصيانه، فلم يكن أهلاً لأن يتولى أمر دولة عظيمة يهددها خطر النصارى، وقد وضعها ألفونسو السادس (فرذلند بن شانجه) على أولويات خططه.

---

[1] للمزيد: ابن عذاري: البيان المغرب 3/ 252، 253، 267، 303، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 7/ 293، النويري: نهاية الأرب 273/23، القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 253، المقري: نفح الطيب 1/ 440، عنان: دول الطوائف ص 100- 101، أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية، ص 110- 114.

[2] ابن عذاري: البيان المُغرب 3/ 283.

ابن الأثير: الكامل 7/ 292، النويري: نهاية الأرب 23/ 258، القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 250، ابن خلدون: العبر 4/ 204، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 177، المقري: نفح الطيب 1/ 440، عنان: دول الطوائف، ص 101- 103.

قال فيه ابن بسام: (**وكان- زعموا- آيةً في قرب غَوْرِهِ، وسكونِ فَوْرِهِ، والحَوْرِ بعد كَوْره، إمّعةَ إمرهِ[1]، أجبنُ من قُبرةٍ: إن حَزَمَ لم يَعْزِمْ، وإنْ سدَّى لم يُلحم، إلى ما كان يغرضُهُ من غرض، ويلزمه أكثر مدته من مَرَض، من ذَرَبٍ لازم- زعموا- كان لِمعدته، واستحرار حاسم لمرَّته**)[2].

وكان جده المأمون قد قسَّم أعمال دولته بين الوزيرين الأثيرين عنده، وأدار سياستَها عليهما وهما: **ابن الفرج** وقد جعل له تدبير الأجناد، والنظر في طبقات القوّاد إلى سائر الشؤون السلطانية، والأعمال الديوانيّة، أما الفقيه **أبو بكر بن الحديدي** فقد جعل له الأصدار والإيراد، والنظر لجماهير الناس وكواف البلاد، والرأي والمشورة، والصغيرة والكبيرة، وأوصى المأمون حفيده القادر متى تسلم زمام دولته؛ أن يعتمد على ابن الحديدي ويأخذ بنصحه، وأخذ كذلك من ابن الحديدي العهود الوثيقة بأن يخلص النصح للقادر، ويشد من أزره، لكن حفيده القادر لم يلقي بالاً لوصية جدّه، فاستدرج ابن الحديدي إلى القصر، وأدار عليه الحيلة، بما وغلّ عليه صدره أهلُ الحسد من رجال دولته. وذلك أن المأمون قبل وفاته وأثناء غيابه في بلنسية كان قد سجن مجموعةً من الأعيان الذين حاولوا الانقلاب على المأمون أثناء غيابه لكن ابن الحديدي أدار عليهم الحيلة حتى قدم المأمون وسجنهم، فقام حفيده القادر بإخراجهم من السجن وأدخل عليهم ابن الحديدي في القصر وخرج عنهم، فتمكّنوا منه وقتلوه. وقيل أن من ملأ قلب القادر شراً لابن الحديدي هو القاضي ابن المشاط متولى قضاء طليطلة يومئذ، وبعد الفتك بابن الحديدي، تم نهب

---

(1) للمزيد عن القادر يحيى بن ذي النون انظر: ابن بسّام : الذخيرة 4/ 93- 94، 97- 101، ابن خلدون: العبر 4/ 207، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 178- 180، النويري: نهاية الأرب 23/ 259، القلقشندي: صبح الأعشى، 2/ 252، ابن سعيد: المُغرب 2/ 13، المقري: نفح الطيب 4/ 441.

(2) الإمَّعَةُ: هو الذي لا رأي له، يتبع الناس ويأخذ برأيهم دون أن يمّحص الامور، ويتبيّن حقيقتها، يقول لكل الناس أنا معك فيما ترى، فلا يستقرّ على أمر.

دوره وكان ذلك في أوائل المحرم من سنة 468هـ/ (1076م)[1]. فبدأ القادر هذا عهده بسفك دَمِ مدبّر دولته دون نظرٍ في عواقب الأمور فكانت فاتحة الشر، وبداية النهاية الوخيمة لفتىً أرعن إمّعة، قليل الخبرة، عديم التجربة، مسلوب الإرادة والهيبة، حفر قبره بنفسه بادئ أمره، وإذا أراد الله أمراً هيّأ له الأسباب.

نهايةٌ مخزية:

قال ابن بسّام بهذا الشأن: (**...وقد كان جده المأمون قسم الحضرة قسمين، وأدار سياستها على رجلين. فجعل تدبير الأجناد، والنظر في طبقات القوّاد، إلى سائر الشؤون، السلطانية، والأعمال الديوانية إلى ابن الفرج، وبقيّة الإصدار والإيراد، والنظر لجماهير الناس وكواف البلاد، والرأي والمشورة، والصغيرة والكبيرة، على الفقيه أبي بكر بن الحديدي، رجل كان له قدم وإقدام، وعنده نقضٌ وإبرام. وكان قد عهد لحفيده هذا المرشح لأمره متى ورث سلطانه، وتبوّأ مكانه، أن يشدَّ على ابن الحديدي كلتا يديه، ولا يفتات بأمر من الأمور عليه، وأخذ الموثق الغليظ على ابن الحديدي ليبلغن كل مبلغ في شد أزره، وتثبيت أمره علماً باستقلاله، واستنامةً إلى يمن مناقبه وخلاله، وحفظاً لما كان عنده من يده في إقامة أوده، وممالأته على أهل بلده. وقد كان أكثرهم فيما سلف نفروا عنه، وهمّوا بالاستبدال منه. فنكث أبو بكر هذا قوى مكرهم. وخاطب المأمون يومئذ إلى بلنسية بجلية أمرهم، خوفاً من الفتنة، وتفادياً من المحنة. فانكدر المأمون من حينه إلى طليطلة وقد ضاق ذراعاً، وكادت نفسه تذهب شعاعاً. وأدار الحيلة على مشيخة طليطلة في خبر طويل حتى سجن عامتهم بمطبق حصن [وبذّة]، أخرى**

---

[1] ابن بسّام: الذخيرة 4/ 93- 97، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 178، ابن سعيد: المُغرب 2/13، وللمزيد عن ابن الحديدي. انظر: ابن بشكوال: الصلة 2/ 515، (وهو يحيى بن سعيد بن أحمد بن يحيى بن الحديدي، من أهل طليطلة، يكنى أبا بكر، كان فقيهاً، نبيلاً متفنناً فصيحاً مقدماً في الشورى، كانت له مكانة عند بني ذي النون ابتداءً بإسماعيل الظافر وولده يحيى، حتى كان مقتله بتدبير من القادر بن ذي النون، صحوة يوم الجمعة في المحرم سنة ثمان وستين وأربعمائة (468هـ/ 1076م).

قلاعه المنيعة. ولم يزالوا بها حتى شاب الشباب، وبليت الأحقابُ، وتلك اليد كان المأمون يراعي لابن الحديدي، فوضع في حياته زمامه بيده، واستخلفه بعد وفاته على بلده وولده)[1].

وبشان مقتل ابن الحديد يقول كذلك ابن بسّام: (وزين هذا الحزب المُعْلِنُ بشرّه، من شيعةِ ابن ذي النون المغلوب على أمره، لصاحبهم اللجاج في غَدْرِه، والتمادي على غلواء مَكْرِه. وأرته أن ذلك من سعيها لا يستوي على سوقه، ولا يخلو بسواء طريقه، إلا [بإطلاق] تلك الطائفة المغربية بمطبق وبذّة، المحترقة افلاذُ أكبادهم، بنيران دمهم وأحقادهم: داء دفينٌ، وشر مضمون وسولوا له أنه إذا فك أغلالهم، ووصل بحبل الحياة حبالهم، غسل جوانحهم، وتألّفَ نصائحهم، وشاركهم في ذوات صدورهم، واعتد عليهم منه نشورهم، والبعثة من قبورهم. فأثار منهم مدى وشفارا، [أعدّ] بهم لخراب ملكه أعواناً وأنصاراً. فأدخلهم البلد سراً من بعض مداخله الخفية، وقد سترهم باللثم، وأوهم أنهم بعض الحُرم، حتى وصلوا إليه، ومثلوا بين يديه، وذلك اليوم يوم الجمعة لعشر خلت لمحرم سنة ثمانٍ وستين[2].

وكان الذي مالأ ابن ذي النون على ذلك، وسهل له- زعموا- تلك المناهج الخبيثة والمسالك، الفقيه ابن المشّاط متولي القضاء كان يومئذ بقونكه. وكان أبو بكر بن الحديدي [يألفه] ويسكن إليه قديماً، فاستدرجه بالأمان، واستفزه إلى مصرعه يومئذ بمزورات الإيمان، حتى جرَّعهُ رَدَاهُ، وأسلمه إلى عداه. ودخل ابن الحديدي يومئذ القصر، والمقدار يزعجه، والخائن الغدَّارُ ابن المشاط يستدرجه. فلما أفضى إلى مجلس ابن ذي النون رأى وجوهاً قد أمِنَهَا مما تخوّفها، وأنكرها من طول ما عرفها، فأيقن بالشر لا خلاص، ولات حين مناص. ثم وطنَّ لمحنته،

---

[1] نصّ ابن بسّام: الذخيرة 4/ 94.

[2] يعني سنة 468هـ.

واتكأ فضل مُنّتَه، فجاذبهم أطراف الخصام، وطلع عليهم من ثنايا النقض والإبرام. فقام ابن ذي النون من موضعه وابن الحديدي متعلق بأذياله، مستجيرٌ بـه مـن أقتاله، فشغبوا عليه وشغلوه، وأحاطوا به حتى قتلوه. فقضي الأمـر، وانقضـى العجز والصدر. ولما أحسّت العامة بقتله، وهمّت بسلاحها من أجله، ثـار أولئـك المخرجون في وجوههم، أطلالٌ في أسمال. فأخذ كل واحـد مـنهم بطـرف مـن الطريق، وذهب ممن كان هنالك من العامة بفريق، بين صديق لهم يسر، وعـدو يفر، وتشاغلوا بنهب دور بني الحديدي حين عجزوا عن نصرته، وعلمـوا أن لا سبيل إلى كرته. ولم يكن إلا كـ"لا" حتى أصبحت حبلاً رثّا، وهباءً منبثاً)[1].

لقد أقدمَ القادر يحيى على أمرٍ خالف به وصيّة الأجداد والآبـاء، بـل لعنـةٌ ستبقى تلاحقه حتى مقتله في بلنسية، ونسي المُغفَّلُ التائه أن العاهة إذا سلكت فـي الأصول لا بد أن تصل إلى الفروع، هؤلاء الذين أخرجهم من سجونهم هـم مـن كانوا قد أشعلوا نار الفتنة أيام جدّه فأطفأها أبو بكر بن الحديدي واليوم هم أنفسـهم يوقدون فتيلها، ويلقّحون الفتنة تنجبُ دماراً وخراباً لا يبقي إلا رسـمها وعفاهـا. وللشيء بالشيء يذكر، نتذكر هنا أحداث سنة 299هـ وعندما أقدم عبد الرحمن بن أبي عامر على طلب الخلافة من هشام المؤيد، أمراً لم يطالب به أبوه وأخوه مـن قبله فكانت الفتنة في قرطبة والأندلس والتي بنيت علـى أطلالهـا أمجـاد ملـوك الطوائف.

بدأ أولئك الذين أخرجهم القادر من السجون، وعلى أيديهم تمَّ التخلص من ابن الحديدي؛ بإشعال نار الفتنة على طريقتهم الخاصة، يحيكون الدسـائس، ويثيـرون العامة ضدّه، حتى ضعف سلطانه، وبدأت نار الفتنة تضطرم يوماً بعد يـوم وهـم يذكونها بأحقادهم وتشجيعهم على الثورة. بالمقابل العدّو السابق لابـن ذي النـون (أحمد بن سليمان بن هود) استغل هذه الظروف، يغير عليه، ويرهقه بالمطالب، بل عاد كعادته يستعين بالنصارى ضده. وفُتحت عليه جبهة ثانية، فقد ثار في بلنسـية

---

[1] نصّ ابن بسّام: الذخيرة، 4/ 95- 96.

أبو بكر بن عبد العزيز، فخلع طاعة القادر بن ذي النون، ونادى بنفسه أميراً على بلنسية، وداخله ابن هود صاحب سرقسطة وخطب له ابنته آملاً منه بهذه المصاهرة أن يتغلب على بلنسية. وكان سانشو راميرو قد أغار على قونقة وكادت تقع بيده، فأرسل القادر جيشاً بقيادة الفتى بشير لمقاتلة سانشو وابن هود، لكن لم يحصل قتال بينهما، فاضطر القادر أن يضع يده بيد الفونسو السادس ملك قشتاله الذي كان أسيراً عند جده المأمون عندما فرّ من سجن أخيه، ولجأ إلى طليطلة فآواه المأمون يحيى زماناً حتى قُتل أخاه سانشو فعاد إلى بلاده ونودي به ملكاً لليون وقشتاله بمساعدة أخته آراكه.

لكن ألفونسو لم يرعَ ودَّ بني ذي النون، فقد وافق على إغاثة القادر بشروطٍ قاسيةٍ، وشط في طلب المال تباعاً، وتسليم الحصون المتاخمة لقشتالة، منها حصنِ قتورية، وقتالش، وسرية، والقادر كان في كل هذه المطالب مرغماً مغلوباً على أمره، وليس له بديل حسب نظرته الضيقة، والفتنة دائرة عليه في الداخل، حتى أضطر إلى الهرب مع أهله وولده إلى حصن (وبذّة) سنة 472هـ، أما طليطلة فأضحت خاويةً أياماً بلا أمير[1].

قال ابن بسّام بهذا الشأن: (**وظنَّ ابن ذي النون [أنه] قد راع أحشاء الأيام بفتكة براضيِّةٍ، وهتك أستار الخطوب عن حيلة عَمْرية. ولعمري لقد راعَ ولكن آمِنَ سِربه، ولقد هتكَ ولكن حجاب قَلبه. أخلى وجههُ لشرار أغمار، لم تكن لهم أحلام تحجرهم، ولا حلوم توقرهم، أذبّة شهوات، وفراش ضلالات، أغضى الزمان لهم هَنَيَة فظنوا أنهم قد أعجزوه وانتهزوه، فوجدهم مغترين ليس لهم سلاح إلا مقاتِلُهم، ولا بهم حويلٌ إلاّ تدابرهم وتخاذلهم. ونفث على نفسه من أولئك المخرجين شرار زناد، وأسرار عداوات وأحقاد، أحلاس السجون والأهوال، وبقايا**

---

[1] للمزيد: ابن بسّام: الذخيرة 4/ 96- 98، ابن سعيد: المُغرب 2/ 13- 14 في خبر مختصر، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 20/ 178- 179، النويري: نهاية الارب 23/ 259 في خبر قصير، عنان: دول الطوائف، ص106.

القيود والأغلال. فلم يزد بموت ابن الحديدي وحياتهم على أن كان الشرُّ سبباً فأصبح أسباباً. والناس حزباً فتفرقوا أحزاباً. وانتبذ ابن عبد العزيز لتلك الوهلة ببلنسية من جماعته، وخلع يده من طاعته. إلا هدنة على دخن، يتطارد له بصيدها، وينشده عن كيدها: [الوافر]

أحبّك في البتولِ وفي أبيها ولكنِّيَ أحبّك من بعيدِ

وفَغَر الطاغية أذفونش بن فرذلند فمه على ثغوره المثغورة، فجعل وقته يطويها طيّ السّجل للكتاب. وينهضُ فيها نهضة الشيب في الشبّاب. وابن ذي النون يُلقمه أفلاذ كبده، ويرجمهُ بسبده ولبَده، أذفونش لعنه الله لا يقنعُ منه بصيدِ العنقاء، ولا ببيض الأنوق، بل كلّفه إحضار الأبلق العقوق، ويسومه درك الشمس، ويطلبه برد أمس، ما أكل الإنفاقُ ثبج ماله، وأخذ الخناقُ بكظم احتياله، وأحسَّ بدوُّ المشتاق بذلك من حاله، سما إلى معاقله المنيعة. وذُرى أملاكه رفيعة، عُـدَدِ الأنام، ودروب الإسلام، فما راهنَه منها عليه غلق، ما رام أخذه من يديه لم يُدركه حتى مُزِق)[1].

وبشأن تفاقم الثورة على القادر وفراره قال ابن بسّام: (وانجرَّت الحال بينه وبين أولئك الشيوخ المخرجين من المُطبق بمقدار ما رقعوا خروقهم، وجمعوا فريقهم؛ فلما استوثق أمرهم، وثاب إليهم شرُّهم، دلفوا لحزبه الذُّنوني البسيس، تحت إحدى ليالي جديس؛ أرغت عليهم سُقَبُ السماء، وتمخضَّت لهم بالداهية الدَّهياء، ورؤوسهم بأيدي الولدان لُعَباً، وأتى ابن ذي النون صريخهم تلك الليل فصادفَ منه رأياً مغلوباً، وقلباً منخوباً، طار به الذُّعر ففرَّ ودونَه من عبيده أسدُ الشرى، والأسوارُ شامخة الذُّرى، كأنما ناجته القتال أضغاث حلمه، أو رأى وجوه الأقتال في وجوه حرمه، تجفَّل الظليم، لا يحفلُ بالعارِ المقيم، ولا يصيخ على الصديق الحميم. حدثت أن زوجةُ بنت المظفر بن أبي عامرن طريد جده- كان-

---

(1) ابن بسّام: الذخيرة 4/ 96- 97.

من بلنسية، وابنته منها تبعتاه يومئذ راجلتين نيفاً على فرسخين، حتى أُدركتا بمركوب، وقد أخذ الجهد منهما بأوفر نصيب. واجتمع مشيخةُ طليطلة بفناء القصر، مرتبكين بين اللجاج والذُّعر، عامتهم تتطاول بزعمها إليه، وخاصتهم تتخيل المثول بين يديه، وهم يظنونه بحيث يرى ويسمع، ويتوهمون أنه سيفعل ويصنع. فوجدوه قد أذعن للدنّيةِ، وخرجَ من بعض تلك المخارج الخفيّة، ومشى القهقرى، قبل عِيرٍ وما جرى، فاستأسدت كلابهم لأكل لحمٍ ليس له ناصر، وهزج ذبابهم أثناء روض ليس [له] واردٌ صادر. ولقوا يومئذٍ في سؤرِ الطاغية أذفونش من تلك الجواهر المكنونة، والذخائر المصونة.

وتلاحق بابن ذي النون بقيّة سربه المنفَّر، وفلُّ عسكره المدبر، بحصن من حصونه، وأقام أهل طليطلة بعده ايّاماً ولا كالسائمة المهملة نام راعيها، وأكبثَتْ مراعيها، يتهادون لحماً بين قديد ومُعجل، ويرتمون بشحم كهدَّاب الدمقس[1] المفتل[2]، في هياط ومياط[3]، ولجب واختلاط، ليس عليهم أمير، ولا فيهم إلى الصواب مُشير. وتشاوروا في أي ملوك الطوائف يحكِّمونه فيهم، ويلقون إليه بأيديهم، فطار طائرهم، واختلفت بواطنُهم وظواهرُهم، واشرأبَّ من كان يليهم منهم لمملكةٍ لم يُحكموا إليها أسباباً، وغنيمةٍ لم يُوجفوا عليها خَيْلاً ولا رِكَابا)[4].

هكذا، تُصبح طليطلة التي جُبل أهلها على الشقاق والنفاق والقيام على ولاة الأمر؛ بلا أمير ولا حاكم، وقد تعوّد أهل طليطلة ومنذ فجر تاريخها خلع ولاة الأمر، وتلقيح الفتنة أينما كانت. وقد أشار عليهم رجل من أهل طليطلة وهو: (أبو

---

(1) الدمقس: الحرير أو الأبيض منه.

(2) من قول امرئ القيس:

يظل العذارى يرتمينَ بلحمها وشحم كهدّابِ الدمقس المفتل

ابن قتيبة: (الشعر والشعراء ص54)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2000م.

(3) يقال: هم في هياط ومياط، أي في شر وجلبة، أو في دنو وتباعد واضطراب.

(4) ابن بسام: الذخيرة 4/ 97- 98.

محمد يوسف بن القلاس البطليوسي) بابن الأفطس (المتوكل عمر بن الأفطس صاحب بطليوس)[1] ليتولى أمرهم، وكان ابن القلاس هذا كما وصفه ابن بسّام من عفاريت الضلال وأكلة الأموال، وقد وصفه بالأقدم على المحرمات، والخبث والنّجس.

وقَبِلَ المتوكلُ الأمر وهو كارهٌ له، ودخل طليطلة عقب سنة 472هـ، ومكث عندهم نحو من عشرة أشهر، وكان مدته متخبطاً ضالاً للأُمور، تائهاً في سبيلها[2]. قال ابن بسام بهذا الشأن(... **وكان عندهم يومئذ أبو محمد يوسف بن القلاس البطليوسي أحد عفاريت الضلال، وأكلة الأموال، من رجل أجرأ خلق الله على دم وهو أجبن من صافر[3] وأجسرهم على ركوب ثبج محرم وهو أضعفُ من لحظٍ فاتر، تَبهَت تلك الفتنة على قَدْرِهِ، ورفع عُدَم الرجالِ صوته بذكره، فهبّت ريحه شمالاً وصبا، واتّخذ سبيله في البرّ والبحر عجباً فعرَّض عليهم بصاحبه المتوكّل عمر بن المظفر بن الأفطس، وأعرب لهم عن لين مكسره، وضيق مسافة نظره، واشتغاله باللذات عن أكثره، فقالوا: بُردٌ كبُرد، ما أشبه سعداً بسعد! فأتاه سفيرهم، وخفَّ إليه عيرهم ونفيرهم، فجاءهم ينظرُ من خفاء، ويمشي على**

---

(1) هو: عمر (المتوكل) بن محمد (المظفر) بن عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الأفطس، ولي أمر بطليوس بعد وفاة أبيه سنة 460هـ، وكان المتوكل يعرف بساحة، كان ملكاً عالي القدر، مشهور الفضل، مثلاً في الجلالة ومن أهل الحزم والمشورة، ومن أهل البلاغة، كانت بطليوس أيامه دار أدب وشعر، وكان ببطليوس كابن عبّاد باشبيلية، وقد شارك مع ملوك الأندلس في حربهم مع ألفونسو في معركة الزلاقة سنة 479هـ، وكان شاعراً وناثراً، قتله المرابطون سنة 489هـ مع أولاده عندما دخلوا الأندلس للمرة الثالثة وخلعوا ملوك الطوائف، (للمزيد: ابن خلدون: العبر 4/ 205، ابن خاقان: قلائد العقيان، 1/120-145، ابن سعيد: المُغرب 1/ 285، 286، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 182- 183، ابن بسام: الذخيرة 4/ 97- 100، المقري: نفح الطيب 1/ 442.

(2) ابن بسام: الذخيرة 4/ 98، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 178- 179.

(3) هذا مثل والصافر هو طير يتعلّق من الشجر برجلية وينكس رأسه خوفاً من أن ينام فيؤخذ. انظر: الميداني: مجمع الأمثال 1/ 328، العسكري: جمهرة الأمثال 325.

استحياء، كَودتنا ساموهُ خطة سباق، وحُبَينةً[1] أقاموها على ساق، فدخل طليطلة عقب سنة اثنتين وسبعين. وأقام عندهم نحواً من عشرة أشهر، أضلَّ من يدٍ في رحم[2] وأذلَّ من لَحمٍ على وَضَم).

أما ابن ذي النون فقد بدأ يفكر بالعودة إلى طليطلة، مهما كان الثمن، وأن يسترجع عرشه ولو كان على حساب رعيته، فسار إلى قونقه من ملجئه في حصن وبذة، وكاتب ألفونسو السادس يستنجده ويستغيثه، ويذكره بعهود الودّ أيام جدّه، عندما كان ألفونسو يحضى بالاحترام والتوقير والمنزل الحَسن في قصور بني ذي النون، عندما فرّ من سجن أخيه سانشو كما أسلفنا، فوافق ألفونسو على نصرة القادر ابن ذي النون، وأظهر له التعاطف معهُ، وهو يخفي المكر والخداع، وكأن الفرصة قد سنحت، وسار معه إلى طليطلة، والمتوكل بدوره ينهب ذخائر طليطلة وأموالها وفرشها وكتبها من قصور ابن ذي النون ويرسل بها إلى بطليوس، وأهل طليطلة ساهون، لا يعلمون شيئاً[3] قال ابن بسّام بهذا الشأن: **(..[و] قد كان ابن ذي النون حين انفلتَ من يد المقتص، انفلات الحمامة من القَفَصِ، تهيأ له دخول كونكة في خبرٍ طويل، فثاب إليه حِسه، ورجعت قليلاً نفسه، وراسل الطاغية أذفونش.، وهو بحيث ينتهز الفرسة، ويسمع القصة. فذكّره ابن ذي النون سالف عهده، وشهد عنده أنعم جَدَّه، فبالزنّاد الذنونية- زعموا- وَرِيَتْ ناره، ومن التلاع المأمونية تدفق تياره، أيام كان اسم هذه الطاغية مخمولا، وصَعْبُه ذَلولا. يتغلب. أخويه شانجه وغرسية عليه، وأخذُهما طرفي سلكه من يديه، فآواه المأمون ابن ذي النون ونصره، واستقل بسلطان طاغوته حتى أظهره، وعند الله جزاء موفور،**

---

[1] الحبَن: ارتشاح تحت الجلد من تجمّع المصل في الأنسجة الخليلية وقد يشمل الجسم كله.

[2] هذا مثل عربي يضرب لبيان شدة الحيرة والتخبط في الأمور كمن يمشي على غير هدى، أو من يمشي في الظلمات إذا أخرج يده لم يكد يراها، زعم ابن خبيس أنها يد الجنين، وقال غيره: هي يد الناتج (الميداني: مجمع الأمثال 2/ 271، العسكري: جمهرة الأمثال 2/ 11.

[3] ابن بسام: الذخيرة 4/ 98- 99، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 179.

وإليه منقلبٌ ومصير. فلبَّى دعواه، وسمع شكواه، وأظهر الارتماض لما عــزَّه وعراه. وأقبل معه إلى طليطلة يرد ماء بماء، ويَسِرُّ حَسْواً في ارتغــاء[1] يــورد ورداً إلى صدره، ويحلب حلباً له اكثره، والمتوكل بها طليح جِفان، طريح أكــواب ودنان، مكباً على قَمْشٍ ما نَحتَّه المِحنة، وتجافت عن انتهابه الفتنة، مــن فَــرش فخم، وسُرادق ضخم، وآنية وكتب، وصعد من آلةِ المُلك وصَبَب، حتــى اجتمــع عنده من خبث زُبرتِها، وغُثاء غَمرتِها، مع ما أذابوا له صدر مقدمه مــن شــحم سنامها، وأفاضوا من بردها وسلامها، جُملةٌ علمّتهُ الجلُوس في ا لصدر، وأرتــه الفرقَ بين الخلِّ والخمرِ، وأهل طُليطلة الممتحنون، في غمرتهم ساهون، وعلــى أعقابهم ينكصون، يخوضــون ويلعبــون، ويخربــون بيــوتهم بأيــديهم وأيــدي المؤمنين)[2].

ولمّا علم المتوكل بمسيرة القادر بحماية الفونسو السادس؛ خرج من طليطلــة قاصداً حاضرته بطليوس بعد عشرة أشهر قضاها في طليطلة] ينتهب كل ما طالتــه يده من فُرش وذخائر، ومال وكتب ونفائس. ودخل القادر طليطلة بحماية الملعــون الفونسو وجلس على كرسيه الواهي المهدد بالدمّار، المرتكز على الغدر، وقد دخلت القوات النصرانية طليطلة مع القادر وقاوموها أهالي طليطلة وحــاولوا رد القــادر عنها، إلا أن الجيوش النصرانية نكلّت بهم، ونكبتهم، وهزمتهم شرّ هزيمــة، قتلــوا منهم الكثير، وكل ذلك من أجل إجلاس عميلهم المتآمر على بلده ورعيته القادر بن ذي النون، الذي جلس على كرسي الإمارة، والفوضى عامة فــي طليطلــة وكــان دخوله طليطلة سنة 474هـ/ 1081م) وكان القادر قد تعهد للألفونسو أن يخرج له عن طليطلة بعد أن يبلغ أمله منها وكان هذا الاتفاق سراً، أما ظاهراً فهو مبلغ مــن المال بدفعه القادر لالفونسو دون أن يتأخر موعده، ولأجل ذلك عمل القــادر علــى

[1] مثل يضرب لمن يريك أنه يعنيك، وإنما هو يجر النفع لنفسه يسرُ حسواً في ارتغاء ويرمي بأمثال القطا فؤاده (الميداني: مجمع الأمثال 3/ 525.

[2] نص ابن بسَّام في الذخيرة 4/ 98- 99.

إرهاق الرعية بالضرائب والمغارم، ونكلّ بهم أشد تنكيل، ولم يرحمهم وكان همّه تأمين المبلغ المطلوب حتى لا يغضب الفونسو ويحل عليه سخطه، حتى ساءت أحوال الناس، وبدأ يغير الفقير على الغني، والقوي على الضعيف، وعمّتْ الفوضى أرجاء طليطلة، وابن ذي النون ليس له هم إلاّ نفسه وكرسيه، وتأمين المال والذهب لأجل عليه محتوم[1] قال ابن بسام بهذا الشأن: (**فلما تمكن المتوكل من الري والشبع، تذكَّرَ عواقب الطمع، ورأى أنه إن زاد على ملء بطنه، كان كالسراج المنغمس في دُهنه؛ فكايدهم بفراره، وأجلى مبادراً إلى بطليوس دار قراره، ينشد:**

إنِ اللهُ يرجعني من الغـزوِ لا أرى وإنْ قلَّ مـالي طالبـاً مـا ورائيـا

ومن غريب تأويل الأحلام، أن رجلاً رأى المتوكل قبل دخوله طليطلة بأعوام، كأنه يأكل فيها طعاماً فيه سلقٌ مع رجل يسمى يوسف، ففسرها الأديب أبو عمر فَتح المعروف بابن برلوصة، وقال: إن المتوكل سيدخلها على يد رجل يسمى يوسف، وينالان من مالها وذخائرها، لكنهما يسلقان بالألسنة فيها. ويقبح الحديث عنهما، فخرجت الرؤيا كما فَسَّر. ولما دخلها وحصل إليها منها ما حصل فر وتركهم كالسفينة خانتها الريح، والجسد بان عنه الروح، بين ناب الطاغية أذفونش وظفره، يقدح لهم نار الفتنة عن حجره، ويريهم الموت في أهول صوره، مقسماً لا يبرح العرصة حتى يفي لابن ذي النون بضمانه، ويكافئه على سالف إحسانه. وكان عاقده ابن ذي النون أنه إذا صرخ قذاها، فإنه وعده أداء جملةٍ من المال، لا تفي به مدة الإقبال، ولا إرخاء الحال، راهنه بها أبناء الأمجاد، وبقايا معاقله الأفراد، وألقى أهل طليطلة بأيدي الصغار، على حين أيقنوا بالبوار، وضاقت عليهم أنشوطة الحصار. فجاء ابن ذي النون يقدمه أذفونش، وهو يظهر من التزام بره، واعزاز نصره، ما بهر العقول، وكثر القال والقيل، حتى زعموا أنه رفع صوته يدعو إليه، وترجَّلَ يمشي بين يديه، وصار أعجب من تورط في

---

[1] ابن بسّام: الذخيرة 4/99- 101.

حبائل كيده، وجعل الضرغام بازاً لصيده[1] وكم رام أهل طليطلة قتل ابن ذي النون في أثناء تلك الوشلات مراراً، ولكنه بلغ مداه، وكره الله لقاءه فأبقاءه، وكانت لله فيه مشيئة أمضاها، وقضية أنظَر به إناها، لذلك ما خبأته صروف الأيام، وسلم من الحِمام إلى الحِمام[2]. فلما كان يوم النحر سنة أربع وسبعين، نهدوا له في عددهم وعديدهم، وزحفوا إليه بحدهم وحديدهم، فتجاولوا عامة يومهم في شوارعها، يترامون بدوامغ الحتوف وقوارعها؛ فأجلت الحرب عنهم قد شرقوا بغصتها، وخلوا بينه وبين عرصتها. وتساقطوا على أذفونش يشكون ابن ذي النون إليه ويستصرخونه عليه. فرماهم بحجر، ولبس لهم جلدة نمر، فتفرقوا بكل سبيل، وطاروا على كل صعب وذلول، حتى مات ابن مغيث كبيرهم الذي علّمهم السحر، وطاغوتهم الذي شرع لهم الكفر، بشيمتور من أرض قشتيلة بين الدنان والصلبان، فسار وإلى الله إيابه، وعليه حِسابه، ورجع بنوه أخيراً فانتزوا بمدينة مجريط، وانحشر إليه ذؤبان الوقائع، وأذية المطامع، فكانت بين ابن ذي النون وبينهم أيام عدتهم له عدا، وساقتهم إليه وردا، حتى باد جمهورهم، وتلاحقت أعجازهم وصدورهم، وبلغ ابن ذي النون من هدم ربوعهم، وصلبهم على جذوعهم، ما يبرد صدر الموتور، ويضحك سنَّ الموتِ المُبير)[3].

وبشأن الفوضى التي دبّت في طليطلة، وانهماك القادر بجمع المال لإرضاء الفونسو يقول ابن بسام: (**وأخذ ابن ذي النون أهل طليطلة لحين استقراره فيها بفك تلك المعاقل، وأداء ما كان ضمن لاذفونش من الأموال الجلائل؛ فضرب مدبرهم بمقبلهم، وولّى آخرهم كبر أولهم، حتى طمع فقيرهم في غنيهم، واجترأ ضعيفهم**

---

[1] من قول المتنبي (ديوانه 2/ 125): [الطويل]

ومن يجعلِ الضرغامَ للصيدِ بازَهُ   تصيّدهُ الضرغامُ فيما تصيدا

[2] من قول المتنبي (ديوانه 2/ 249: [الوافر]

وإن أسلمْ فما أبقى ولكن   سلمتُ من الحِمام إلى الحِمام

[3] نص ابن بسّام في الذخيرة 4/ 99- 101.

على قويهم، وأصبح الرجل منهم يرتاع من ظله، ويلتفت وإنما هو بـين أهلـه. وانكدر أذفونش على طليطلة ينتسف مرافقهـا، ويقعـد لجاليـةِ أهلهـا ثناياهـا ومضايقها، يأسر ويقتل، ويحرق ويمثّل. وسما السعر، وتفاقم الأمـر، وانكِـرَتْ الموارد والمصادر، وبلغت القلوب الحناجر)[1].

لم تكن مساعدة ألفونسو للقادر بلا ثمن، فعلى الرغم من الحصون التي أخذها من القادر؛ إلا أنّه بدأ يتطلع لأخذ مدينة طليطلة بعد أن أضـعف قوتهـا، ونهـب خيراتها، وأهلك أهلها بالضرائب التي كان قد تعهد بها له القادر مقابل إعادة ملكـه إليه.

وبدأت الحملات والغارات الجديدة على طليطلة بعد أن عاد الأمير المخلـوع إلى إمارته الواهية، واستمرّت هذه الحملات حتى عام 478هـ أي بعد أربع سنوات (474هـ- 478هـ) (1081م- 1085م) أي ما يقرب من أربعة أعوام، وكانـت هذه الحملات تنظّم بتواطئ المدجنين من أهل طليطلة والذي تصفه الرواية القشتالية (بالحزب المدجني) وهو الموالي لملك النصارى، وفي كل عام تتجدد هذه الحملات في تخريب الزروع، وقطع الأشجار، وسبي الذراري، يصـول ويجـول ولا أحـد يردّه، وكان الهدف من كل هذه الحملات هو انهاك طليطلة والقضاء على مواردها الزراعية والاقتصادية، والقضاء على دفاعاتها؛ كي يَهُنْ دخولها حسب ما كان قـد خطط لها ألفونسو منذ دخوله مع القادر يوم أضحى سنة 474هـ: أما موقف ملوك الطوائف فقد كان الصمت والخنوع، فقد سارع معظمهم ووضع يده بيـد الفونسـو خشية بطشه مع دفع الضرائب وعلى رأسهم المعتمد بن عبّاد الذي أرسل ابن عمار إلى ليون وعقد الصلح المشروط بالإتاوات مع الفونسو، وقـد سـار علـى نهجـه معظمهم عدا المتوكل عمر بن الأفطس الذي رفض دفع الجزية[2].

---

(1) ابن بسّام: الذخيرة 4/ 101.

(2) عنان: دول الطوائف ص108- 109.

حُكّام طليطلة خلال مدة ملوك الطوائف

(400- 478هـ/ 1009- 1074م)

1. يعيش بن محمد بن يعيش (400- 427هـ/ 1009- 1035م).
2. إسماعيل بن ذي النون (الظافر) (427- 435هـ/ 1035- 1043م).
3. يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (المأمون) 435هـ- 467هـ/ 1043م- 1074م).
4. يحيى بن إسماعيل بن يحيى بن ذي النون (القادر) 467هـ/ -478هـ/ 1074- 1085م).

حيث سقطت طليطلة بيد ألفونسو السادس ملك قشتاله، بعد أن حكمها المسلمون ما يقرب من أربعمائة عام (93- 478هـ/ 711- 1085م).

الباب الثاني

سقوط طُلَيْطُلة 478هـ/ 1085م

❖ رثـــاء طُلَيْطُلــة

سقوط طليطلة

جميع ما ذكرنا من الظروف السابقة، كانت قد مهدّت الطريق لسقوط مملكة طليطلة، وأزالت حجارة العثرة من دروب ألفونسو السادس، ليسلكها على هونٍ لدخول طليطلة بأقل وقت وخسائر. لقد قضى الفونسو السادس بغاراته منذ سنة 474هـ على معظم موارد ومقومات المملكة الطليطلية، من نهبٍ للموارد، وإبادةٍ للزروع، وقطع للأشجار، وقتلٍ ونهبٍ وسلبٍ وترويع، ثم أنَّ معظم الحصون والمعاقل كانت بيدهِ، ناهيك عن الضرائب التي فرضها القادر على الرعية بعد عودته لها سنة 474هـ، فأنهكتهم حتى ضاقت الحال بأهل طليطلة، وغارات الفونسو لا تنقطع عن طليطلة، وقد عرف منافذها، وبانت له عوراتها ومخابؤها عند دخوله مع المقتدر حامياً له سنة 474هـ، عندما ساعده على استرداد عرشه. قال ابن بسَّام بهذا الشأن: (**وأخذ ابن ذي النون أهل طليطلة لحين استقراره فيها بفك تلك المعاقل، وأداء ما كان ضمن لاذفونش من الأموال الجلائل؛ فضرب مديرهم بمقبلهم، وولّى آخرهم كبر أوّلهم، حتى طمع فقيرهم في غنيهم، واجترأ ضعيفهم على قويّهم، وأصبح الرجل منهم يرتاع من ظله، ويلتفت وإنما هو بين أهله. وانكدر أذفونش على طليطلة ينتسف مرافقها، ويقعد لجاليةِ أهلها ثناياها ومضايقها، يأسر ويقتل، ويحرق ويُمثّل. وسما السعر، وتفاقم الأمر، وانْكِرَتْ الموارد والمصادر، وبلغت القلوب الحناجر، وكان من غريب ما اتفق وعجيب ما انتظم من ذلك واتسق، أن البُرَّ كان على زعمهم يمكث عندهم أكثر من خمسين سنة لا يؤثر فيه طول القِدم، ولا يخافُ عليه آفةُ العَدم، ولم يرفع مدة الفتنة من البيادر- على تعذّرِ بذره، وضيق الحيلة عن محاولة شيء من أمره- إلاّ وقد بدا البلى عليه، وأسرعتِ الآفةُ إليه، أمرٌ من الله لم يكن له مردّ، ولا منه بد**)[1].

---

(1) ابن بسام: الذخيرة 4/ 101.

ما حول طليطلة من الممالك كانت مشغولةً بشؤونها الداخليّة والخارجية: مملكة إشبيلية وقد عقدت صلحاً مع ألفونسو مقابل ترك الفونسو وشأنه في مشاريعه نحو طليطلة، وقد شغله حربه مع عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة. مملكة سرقسطة مشغولةٌ بصدّ هجمات ملك أرجوان وأمراء برشلونه، أما الممالك الشرقية والجنوبية فهي بعيدة عن طليطلة، ومعظمهم حالف الفونسو، وهكذا فقد عدمت طليطلة النصير والمُجير وهو ما أراده ألفونسو مع تكراره الهجمات على طليطلة وما يتبعها لتصبحَ اللقمةَ السائغةَ له، والثمرة اليانعة التي يقطفها بسهولة، حتى بات سقوط طليلطلة وشيكاً، ورغم محاولات أبو الوليد الباجي الذي كان له دوراً هاماً في إنذار ملوك الأندلس بإشارة من عمر بن الأفطس، إلاّ أن النُذر لم تجدي نفعاً، وطاف بالولايات وحذرّهم من مغبة الأمر، وأوضح لهم أن ألفونسو سوف يسحقهم الواحد تلو الآخر، لكن الجهود فشلت[1].

كان هؤلاء الرجال يرون بنور الله، وأنَّ الخطب نازلٌ لا محالة، نظرةٌ مستقبلية، فقد وقع عليهم فيما بعد القول: (أُكلتُ يومَ أكلَ الثورُ الأبيضُ) المعتمد بن عبّاد وقف مكتوف الأيدي إزاء هذه التطورات وكان همّه الاحتفاظ بما انتزعه من أراضي طليطلة الجنوبية، وكان آنذاك أقوى ملوك الطوائف. المتوكل عمر بن الأفطس شمرّ عن ساعده وأرسل جيشاً لمقاتلة الفونسو وحدّه عن طليطلة، لكنه لم يتمكن لكثرة عدد وعدة الجيوش النصرانية، حيث أرسل ولده الفضل والي ماردة على رأس جيش فارتدَّ آسفاً بعد أن خاض معهم معارك دامية، وكان آنفاً قد اشتبك معهم في معارك أخرى سنة 471هـ لكن ألفونسو تغلّب عليه وانتزع منه مدينة قورية من أعماله الشمالية المجاورة لطليطلة[2] وبذلك تركت طليطلة لقضائها المحتوم، ومصيرها المشئوم.

---

[1] عنان: دول الطوائف، ص109.

[2] المصدر نفسه، ص110.

أمَّا بقية ملوك الطوائف فقد أمنّهم ألفونسو بعقوده المبرمة معهم على المهادنة والصلح، ودفع مالٍ في كلِّ عام، وكان القادر بيدِهِ أسهلُ من حجر شطرنج يحركه حيث شاء ومتى شاء، وهكذا فقد خلت له الأمور على أحسن ما تكون، وبات دخول طليطلة وشيكاً.

والجدير بالذكر أن القادر عندما اتصل بألفونسو وساعده على العودة إلى طليطلة واسترداد ملكه، كان قد تعهدَّ لألفونسو أن يخرج له عن طليطلة وهذا ما أضمره حسب ما ذكر لنا ابن بسَّام، إضافةٍ إلى ما ذكرنا من المال الذي فرضه عليهم كل عام، وأخذ منه الرهائن من رجالٍ وحصون ومعاقل. قال ابن بسّام بهذا الشأن (... **وكأن عاقده ابن ذي النون أنّهُ إذا ضرح قذاها، وأماط أذاها، واقتضى دَينها، خلّى بينهُ وبينها، ها [ما] أضمر، فأما الذي أظهر، فإنه وعده أداء جملةٍ من المال، لا تفي به مدة الإقبال، ولا إرخاء الحال، راهنه بها أبناء الأمجاد، وبقايا معاقله الأفراد**)[1].

وهذا ما أوردته الرواية القشتالية التي أوردها عنان والذي بدوره يدافع عن القادر أن يقطع مثل هذه العهود؛ فقد دافع عن طليطلة أثناء الهجوم عليها. وهنا أعارِضُ المرحوم عنان فلم يسبقُ أن بَدَرَ من القادر موقعاً فيه شهامة ابتداءً من أول يوم تسلم فيه الحكم، عندما مدّ يده إلى أموال الرعية، وسلم حصونه للنصارى، فلا يستبعدُ عنه أي عمل شائن وربّما أنه قطع لهم مثل هذه العهود لشهوة السلطة والكرسي وظن أنّه ربما يخلص نفسه من عهود ألفونسو بعد دخوله طليطلة، وربما كانت هذه شروط ألفونسو على القادر، فلم يستطع ردها لأنه في موقفٍ ضعيف، مسلوب السلطان والملك مشرد، أما دفاعه عن طليطلة فهو كذلك حُبّاً بالبقاء على كرسيه، بعد أن ذاق طعم التشرد عندما أخرجوه أهل طليطلة منها، لا مرؤة منه ولا رجولة. قال النويري متحدثاً عن القادر: **(ولما ملك امتدت يدهِ إلى أموال الرعية،**

---

(1) ابن بسّام: الذخيرة 4/ 100، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 179.

واستعمل السفلة وأهل الثغور، ولم تزل النصارى تطوي حصونه حصناً بعد حصنٍ حتى استولى على طليطلة)[1].

يقول عنان بشأن تعهد القادر بالخروج لألفونسو عن طليطلة بعد أن يبلغ أمله من دخولها: **(وتقول لنا الروايات القشتالية إنّ القادر كان حينما طلب من الفونسو معاونته على استرداد المدينة، قد تعهدّ له بأن يحكمها باسمه، وأن يسلمها إليـــه متى شاء، على أن يعاونه على استرداد مقر إمارته. بَيْدَ أن الحـــوادث التاليـــة، وموقف القادر في الدفاع عن مدينته، يجعلنا نشك في أنّه قطع مثل هذا العهد)** [2] والظاهر أنّ عنان رحمه الله لم يقتنعْ بما ذكره ابن بسّام وابن الخطيب بهذا الشـــأن، ولو كان قد اقتنع لربما رجح ذلك[3].

على كافة الأحوال بات سقوط طليطلة وشيكاً، مسألة وقت فقط، فقد تهيّـــأت جميع الأسباب، بعد أن وضع ملوك الطوائف رؤوسهم في رمال الغفلـــة حتـــى لا يراهم أحد، ورسلهم في ذهاب وإياب لخطب ودّ العِلج ألفونسو السادس لعنه الله .

قال ابن خلدون: **(... وكان الطاغية بن أذفونش قد استفحل أمره لمّا خـــلا الجو من مكان الدولة الخلافية، وخفّ ما كان على كاهله من أمر العرب فـــآلتهم البسائط وضايق ابن ذي النون)** [4] وقال القلقشندي: **(وكان الطاغية أذفونش ملك الفرنج قد استفحل أمرُهُ عند وقوع الفتنة بين ملوك الأندلس)** [5].

في خريف سنة 477هـــ/ (1084م) زحف ألفونسو السادس يجر خلفه القوات القشتالية بعددها وعدّتها قاصداً طليطلة آخر مراحل خطّته آنفة الذكر، ونزل بالمنية المسوّرة التي كان ينزل بها المأمون ابن ذي النون، وقت راحتـــه وأنســـه، والتـــي

---

[1] النويري: نهاية الأرب 23/ 259.

[2] عنان: دول الطوائف، ص 107.

[3] ابن بسّام: الذخيرة، 4/ 100، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 179.

[4] ابن خلدون: العبر 4/ 207، طبعة دار الفكر، المقري: نفح الطيب 1/ 441 نقلاً عن ابن خلدون.

[5] القلقشندي: صبح الأعشى، 5/ 252.

تُعرف بالرواية القشتالية ببستان الملك (Huerta del Rey)، وحاصر طليطلة، فدخل الشتاء، فشحّت الأقوات، فلا مدد يدخل إلى أهالي طليطلة، مواردها كان قد دمرّها ألفونسو خلال غاراته السابقة، واشتدّ الأمر على الأهالي واستمرّ الحصار ما يزيد على شهرين، والأمور تسوء شيئاً فشيئاً، وكان القادر بن ذي النون متفقاً مع أهل طليطلة بعد أن رأى ما رأى في تشديد المقاومة ضد ألفونسو، وإطالة أمد المقاومة لعل ألفونسو يكلُ من حصارهم، ويذهب بعزمِهِ، لكن ذلك لم يأتي بنفع، فالقشتاليون قد أخذوا احتياطاتهم اللازمة وأعدّوا لهذا الحصار العدّة وإنْ طال أمده، مما اضطر وجوه أهل طليطلة بالاتفاق مع القادر، بأن يرسلوا وفداً إلى ملك قشتالة، للتحدث بأمر الصلح، فأبى أن يستقبلهم، واستقبلهم وزيره ومدبر دولته وسفيره سنندو (ششنند)، وقد كان من النصارى المستعربين، أُسر حدثاً في بلاط إشبيلية وفي أيام المعتضد بن عباد سفربينه وبين فرناندو وملك قشتالة، ثم نزح إلى جليقية، وخدم فرناندو، ثم ولده ألفونسو من بعده، وكان داهيةً ذكياً، وهو الذي وطد صولة الفونسو لدى معظم ملوك الطوائف، والتزموا له بأداء الجزية، وفاوضهم على أن لا أمل بالصلح، وأن ملك قشتاله لن يثنيه أيُّ أمرٍ عن تسليم مدينة طليطلة، وأقنعهم بأن ملوك الأندلس لن ينجدونهم، حيث استدعى ألفونسو من خيامه رسل ملوك الطوائف وَهُمْ يقدّمون الهدايا والأموال، يخطبون ود ألفونسو، ويطلبون السلامة لأنفسهم بأغلى ثمن، وأرذلِ طريقة[1].

قال ابن بسّام بهذا الشأن: (**ولما شمل البلاء، وفدحت البأساء، وأتى على أكثر أهل طليطلة القتل والجلاء، وقضى الطاغية أذفونش- قصمه الله- قضاءه من استباحة الحريم، واستئصال الراحل والمقيم، وإتلاف الموجود والمعدوم، أسرى تحت الليل، في قطعة غير وافرة من الخيل، فنزل المنية المصورة التي كان المأمون يحشد إليها كل حسن، ويباهي بها جنة عدن، ويقلب الحوير في جيّد بنيانها، والإشادة بشأنها، ظهراً لبطن، فاتخذ عروشها مرابط لأفراسه، وإيواناتها**

---

[1] ابن بسّام: الذخيرة 4/ 101- 102، عنان: دول الطوائف، ص110- 111.

ملاعب لأراذلته وأرجاسه. وهجم الشتاء فمنعه من ميرةٍ تأتيه، أو مدد يوافيه، فأقام نيفاً على شهرين لا يسيغ الشراب، ولا يملكُ المجيء ولا الذهاب، ليس له شوكة إلا ظلٌّ لوائه، ولا مدد إلا ضعف من كان بإزائه. ولولا اهتبال ملوك الطوائف بإقامة مرافقه، وإصغاؤهم إلى هدر شقاشقة[1]، لطار شعاعاً، وذهب ضياعاً. وطفق أهل طليطلة يستصرخون من حولهم، ويعملون في ذلك فعلهم وقولهم، فيعكفون على طلل بائد، ويضربون في حديد بارد. فلما نأى الشتاء بجانبه، وخلى بين كل ذاهب ومذاهبه، مال بأهل طليطلة سيل لا يقوم له سهل ولا وعر، وطلع عليهم ليل لا يلوح لهم فيه صبح ولا فجر. واضطرَّ من أخطأته الحوادث، وتخطته تلك الخطوب الكوارث، - من أشدها ضيق الحصار، وكلب البوار، وغبطاء المرافق والأنصار- إلى مداخلة الطاغية أذفونش، فشرعوا في ذلك غير مظهرين للاستسلام، ولا مبترئين من الصبر على ضنك ذلك المقام، طمعاً في أن يغروه ولو باغلاء سوم، ويخدعوه على أذماء نفوسهم ولو ببياض يوم، إشارة الغريق إلى الساحل، واستراحة المحتضر إلى الطبيب الجاهل؛ فأبى أذفونش إلاّ عَرَصةَ الدار، وأمّ الأوطار، ولجاجاً بين التمادي والاستمرار، لعلمه أين ينتهي طلقهم، وتقديره لما عسى أن يفي به رمقهم. فخرج من أعيانهم جملة إلى مضرب أذفونش في بعض تلك الأيام، وقد ضاق المجال، وتلمظت الآجال، وأقبلت الحتوف تختال، فقام الحجاب دونه، وقالوا: هو نائمٌ فكيف توقظونه؟ فعدلوا إلى مضرب ششنند، شرّه العتيد، وشيطانه المريد، وهامانه الذي أوقد له على الطين، وعلمّه الدفع بالشك في صدر اليقين، أحد أعلاج ابن عبّاد كان- من رجل متوقد جمرة الذكاء، بعيد المذهب بين الجرأة والنكراء، سفر بين المعتضد على نفسه، فنزع به عرق اللوم، إلى المقر المذموم. واستقرت قدمه بجليقية، فاضطلع بالدروب والثغور، وغلب على سائر السياسة والتدبير، وصار بعد قصارى ملوك الطوائف بالجزيرة نظرة من اهتباله، وأدنى خطرة من باله. فأدخل على أذفونش يومئذ

---

(1) الشقاشق: جمع شقْشِقَة: شيء كالرئة يخرجه الجمل من فيه إذا هاج وهدر.

منهم جمعة فوجدوه يمسح الكرى من عينيه، ثائر الرأس، خبيث النَّفَس، وجعلوا ينظرون إليه وهو يضغث ثغامة رأسه، فما نسوا دفر أطماره، ودرن أظفاره. ثم أقبل عليهم بوجه كريه، ولحظ لا يشكون أن الشر فيه، وقال لهم: إلى متى تتخادعون، وبأي شيء تطمعون؟ قالوا: بنا بغية، ولنا في فلان وفلان أمنية، وسموا له بعض ملوك الطوائف، فصفّق بيَديه، وتهافت حتى فحص برجليه، ثم قال: أين رسل ابن عباد؟ فجيء بهم يرفلون في ثياب الخناعة، وينسبون بألسنة السمع والطاعة. فقال لهم: مذ كم تحومون عليّ، وترومون الوصول إليّ؟ ومتى عهدكم بفلان، وأين ما جئتم به لا كنتم ولا كان؟ فجاءوا بجملة ميرة، وأحضروا بين يديه كل ذخيرة خطيرة. ثم ما زاد على أن ركل ذلك برجله، وأمر بانتهابه كله؛ ولم يبق ملك من ملوك الطوائف إلاّ أحضر يومئذ رسله، وكان حاله حال من كان قبله. وجعل أعلاجه يدفعون في ظهورهم، وأهل طليطلة يعجبون من ذل مقامهم ومصيرهم، فخرج مشيختها من عنده وقد سُقط في أيديهم. وطمع كل شيء فيهم، وخلوا بينه وبين البلد، لثلاثة أيام من ذلك المشهد. ودخل طليطلة على حكمه، وأثبت في عرصتها قدم ظلمه، حُكْمٌ من الله سبق به القدر، فلم يكن منه وزر)[1].

وخرج شيوخ طليطلة ترهق وجوههم ذلّة، وجند ألفونسو يدفعون في ظهورهم وهم صاغرين. كان قد مضى على حصار طليطلة تسعة أشهر، وتبين أن لا فائدة من صلحٍ أو مقاومة، بعد أن أنهك الجوع الأهالي، ولم تمض ثلاثة أيام على عودة شيوخ طليطلة من معسكر ألفونسو، حتى عَرَضَتْ المدينة التسليم لملك قشتالة وذلك ضمن الشروط التالية:

1- أن يسلّم القصر وأبواب المدينة والقناطر وحديقة الملك (وقد كانت حديقة نضرة غناء على ضفة التاجه) إلى ملك قشتالة ألفونسو السادس.

---

(1) ابن بسام: الذخيرة 4/ 102- 103.

2- أن يذهب الملك المسلم حراً إلى مدينة بلنسية وفقاً لرغبته وأن يسمح بالحرية لمن شاء أن يتبعه من المسلمين، وأن يأخذوا معهم أموالهم. وأما الذين يقيمون في المدينة، فلا تؤخذ منهم أمتعتهم ولا أملاكهم.

3- أن يبقى المسجد الجامع بأيدي المسلمين يقيمون فيه شعائرهم.

4- ألاّ تفرض عليهم ضرائب أكثر مما كانوا يدفعونه لملوكهم.

5- أن تجري عليهم أحكام شريعتهم، وعلى يد قضاتهم المسلمين دون غيرهم.

6- أن يقسم الطرفان كل وفق تقاليده على احترام هذه العهود.

7- أخيراً أن يقدم أهل المدينة لفيفاً من أعيانهم كرهائن[1].

وأضاف عنان أيضاً بعض الشروط وقال: على أن هذا النص الذي يقدمه الأب ماريانا ينقصه شيء من الدقّة في بعض تفاصيله، والمتفق عليه، أن شروط تسليم طليطلة قد صيغت على النحو الآتي:

1- أن يؤمن أهل المدينة في النفس والمال، وأن يغادرها من شاء منهم حاملين أموالهم، وأن يسمح لمن عاد منهم باسترداد أملاكهم.

2- أن يؤدي المقيمون بها إلى ملك قشتالة ما كانوا يؤدونه لملوكهم من الضرائب والمكوس،

3- أن يحتفظ المسلمون إلى الأبد بمسجدهم الجامع، وأن يتمتعوا أحراراً بإقامة شعائرهم، وأن يحتفظوا بقضائهم وشريعتهم.

4- أن يسلموا إلى ملك قشتالة سائر القلاع والحصون والقصر الملكي، والمنية المسورة التي كان ينزل بها.

---

(1) عنان: دول الطوائف، ص112، نقلاً عن الأب ماريانا وهو من أقدم المؤرخين الذين كتبوا عن سقوط طليطلة.

Mariana: Historia general de Espana (cap. 16).

أما بالنسبة للقادر فقد تكفل ملك قشتالة بأن يمكّنه من الاستيلاء على بلنسيه، وقيل بل عرض عليه أيضاً أن يحصل له على دانية وشنتمرية الشرق، إذ كان يعرف جيداً أنها إذا خلصت للقادر، فستكون في الواقع ملكاً له ورهن تصرفه، وأن القواعد الشرقية كلها سوف تخضع له عن طريق ملكها الأسميّ الضعيف، يعني القادر[1].

هذا ما أورده عنان من شروط تسليم المدينة، وتظاهر ملك قشتاله بقبولها وتعهد باحترامها وعدم النكث بها، وكان ذلك في اليوم السادس من شهر مايو سنة 1085م، ومضى على ذلك زهاء أسبوعين أُخريين، كانت فترة استعداد القادر لمغادرة البلاد والرحيل، وإخلاء المدينة وفي يوم الأحد الخامس والعشرين من مايو (فاتحة شهر صفر سنة 478هـ) دخل الفونسو السادس مدينة طليطلة ظافراً، ونزل بالحال بقصرها المشهور، والذي كان قد نزل به عندما لاذ بالفرار من سجن أخيه سانشو بضيافة المأمون بن ذي النون[2].

وعندما ملك ألفونسو السادس مدينة طليطلة واعتلى كرسي عرشها، عتا واستكبر، وتجنّى وظلم وتجبّر، وأخلَّ بعهوده مع ملوك الطوائف المبرمة قبل سقوط طليطلة، وبدأ يتطلع لأخذ بلادهم، بعد أن ذاق طعم النصر بدخوله أمنع المعاقل الإسلامية، وتوسطها من البلاد الأندلسية الأخرى، معتزاً بأنه اليوم صاحبُ الأمر، وأنَّ جميع ملوك الطوائف أصبحوا تحت رحمة صوطهِ. قال ابن بسَّام: (وعتا

---

[1] عنان: ملوك الطوائف، ص112.

[2] للمزيد عن سقوط طليطلة انظر: (ابن بسام: الذخيرة في خبر طويل 4/ 102- 103، الكامل لابن الأثير 9/ 138 أحداث سنة 478هـ، ابن خلدون: العبر 4/ 207، النويري: نهاية الأرب 23/ 2598، القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 252، المقري: نفح الطيب 1/ 441، 4/ 352، 353، وفيه أن العدّو أخذ طليطلة في منتصف محرم سنة 478هـ، ابن خلكان: وفيات الأعيان 4/ 118 وفيه أن العدو أخذها مستهل صفر سنة 478هـ بعد حصار شديد، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 180، ابن سعيد: المُغرب 2/ 14 وفيه أن القادر أسلمها الأذفونش سنة 475هـ وهذا مخالف لما أجمعت عليه المصادر، عنان: ملوك الطوائف، ص112.

الطاغية أذفونش- قصمه الله- لحين استقراره بطليطلة واستكبر، وأخلّ بملوك الطوائف في الجزيرة وقصّر، وأخذ يتجنّى ويتعتّب، وطفق يتشوّق إلى انتزاع سلطانهم، والفراغ من شأنهم ويتسبّب، ورأى أنّهم قد وقفوا دون مداه، ودخلوا بأجمعهم تحت عصاه)[1]. أما طليطلة التي باتت تحت جُنح ظلم علوج ألفونسو، فقد لقيت مصيرها، البين كفّنها، والحسرة والأنين شغل أهلها، وقد ولي الوزير شِشنند تدبير أمرها، وكان صاحبُ ذكاء ودهاء، فاستخدم الليّن مع أهلها، والتخفيف عنهم، والتوّدد لهم، حتى استمال قلوب الكثيرين منهم، بل وأقبل بعض العامّة على التنّصر الذي حبَّبه ششنند للأهالي على طريقة الذكية، وخاصةً المدجّنين. وبالمقابل أزجى النُصح للملك المتكبرّ المتعجرف ألفونسو؛ بأن يكن ليّناً مع الرعيّة وأن يعتدل في معاملتهم لكسب ودّهم وإخلاصهم، وأوصاه أن لا يُلح بالطلب على ملوك الطوائف، حتى لا ينقبلوا ضدّه، ويجتمعُ شملهم عليه، لكن ملك قشتاله لعنه الله رأى نفسه فرعون ذي الأوتاد، فطغى في البلاد، وبيّت النيّة ليكثر الفساد في البلاد، ونسى أنَّ الله بالمرصاد، فرمى بنصح وزيره عرض الحائط، وقَدِم لعنه الله على تغيير المسجد الجامع وحوله إلى كنيسة، وخان العهود التي قطعها ونقض ما كان عقد وأقسم عليه، وذلك في ربيع أول من سنة 478هـ[2].

قال ابن بسّام بهذا الشأن: (**وعَتَا الطاغية أذفونش- قصمه الله- لحين استقراره بطليطلة واستكبر، وأخلّ بملوك الطوائف في الجزيرة وقصر، وأخذ يتجنّى ويتعتّب، وطفق يتشوّف إلى انتزاع سلطانهم والفراغ من شأنهم ويتسبّب، ورأى أنهم قد وقفوا دون مداه، ودخلوا بأجمعهم تحت عصاه.**

وولّى ششنند المذكور تدبير طليطلة، فهوّن عليهم الرَّزية، وحبَّبَ إليهم إعطاء الدَّنية، بما أراهم من سهولة مرامه، وبسط فيهم من عدل أحكامه، حتى

---

(1) ابن بسّام: الذخيرة، 4/ 103.

(2) ابن بسّام: الذخيرة 4/ 103، النويري: نهاية الأرب 259/23، عنان: ملوك الطوائف، ص112.

استمال قلوب أعلامها، وحبب التنصّر إلى عامة طغامها، وفجأ المسلمين من اختلاف أهوائهم، وتنصّر سفهائهم، ما ضاقت عنه صدور الأيام، واضطربت له قواعد الإسلام. وقد كان من رأي ششنند الإبقاء على أهل طليطلة، وقال لأذفونش: لست تجد بمن تعمرها، ولا تظفر بعامل أطوع من ابن ذي النون يدبرّها، فأبى أذفونش إلاَّ لجاجاً في سفهه، وانحطاطاً في حبل شرهه. فلما تهيّأ له ملكها، وانتثر في يديه سلكها، قال له ششنند: اخفض جناحك لأهلها، واستجلب جاليتها بما تسدُّ من ظلها، ولا تُلح على ملوك الجزيرة فلست تستغني عنهم، ولا تجد عمالاً أطوع منهم فإنك إن أبيت إلا الإلحاح عليهم، والتَّسرع بالمكروه إليهم، نفرتهم عن ذراك، وأحوجتهم إلى مداخلة سواك. فكان من صنع الله أن اتهم أذفونش يومئذ منحاه، وخالفه إلى ركوب هواه، وشرع لوقته في تغيير المسجد الجامع بها، خاتمة النوائب، ونكبة الشاهد والغائب. فقال له ششنند: إنك إن فعلت أوغرت الصدور، وأبطلت التدبير، وسكنّت من نشط، وقَبضتَ من انْسبط، فشمخ أذفونش– لعنه الله– بأنفه، وثنى من عطفه، وأصغى إلى طَنانةِ جنونِه وسخفهِ، وأمر بتغيير المسجد الجامع يوم [........][1] لربيع الأول سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة وحدثني من شَهِدَ طواغيتَه تبتدرُه، في يوم أعمى البصائر والأبصار منظره، وليس فيه إلاَّ الشيخ الأستاذ المغامي آخر من صدر عنه، واعتمده في ذلك اليوم ليتزود منه، وقد أطاف به مردةُ عفاريته، وسرعان طواغيته، وبين يديه أحد التلامذة يقرأ، فكلما قالوا له عجّل، أشار هو إلى تلميذه بأن أكمل، ثم قام ما طاش ولا تهيّب، فسجد به واقترب، وبكى عليه مليّاً وانتحب، والنّصارى يعظمون شأنه، ويهابون مكانه، لم تمتدَّ إليه يد، ولا عرض له بمكروه أحد). انتهى كلام ابن بسّام[2].

---

(1) هكذا من المصدر المحقق.

(2) نصّ ابن بسّام في الذخيرة 4/ 103– 104.

واستخّف الفونسو شيعته، حتى أهابوهُ، وبدأوا يسوّلون له تكبّره وتجبّره، فأشاروا عليه بعد هذا النصر الظافر، أن يلبس التاج على ما كان عليه أجداده في الأندلس، فأجابهم: سيكون ذلك بعد أخذ قرطبة حاضرة الخلافة الإسلاميّة، وقد أعدَّ ناقوساً عظيماً ليضعه حسب ما تمنّى على مأذنة المسجد الجامع بقرطبة، فخيّب الله آماله، وقيّض له يوسف بن تاشفين الذي هزمه وجمعه في معركة الزلاقة بعد ما يقرب من عام من أخذ طليطلة[1]. قال ابن بسّام بهذا الشأن: (**وقد حدّثتُ أن شيعة أذفونش- لعنه الله وبدَّدها- أشاروا عليه يومئذ بلبس التاج، وزيّنوا له زيّ من سلف بالجزيرة قبل فتح المسلمين إيّاها من أعلاج، فقال: لا، حتى أطأ ذروة الملك، وآخذ قرطبتهم واسطة السّلك. وكان أعد لمسجدها الجامع- حمى الله ساحته من الخطوب الروائع- ناقوساً تأنّق في إبداعه، وتجاوز الحدّ في استنباطه واختراعه، فالحمد لله موهن أيده، ومبطل كيده، وجزى الله أمير المسلمين، وناصر الدين، أبا يعقوب يوسف بن تاشفين، أفضل جزاء المحسنين، بما بلَّ من رماق، ونفّس من خناق، ووصل هذه الجزيرة من حبل، وتجشّم إلى تلبية دعائها واستنقاذ ما بها من حزن وسهل، حتى [ثلَّ] عروش المشركين. وظهر أمر الله وهم كارهون، والحمد لله رب العالمين**)[2].

هكذا وفي تلك الظروف البائسة سقطت أمنع المعاقل الإسلاميّة، وموسطتها (مملكة طليطلة) وعادت إلى قبضة ملّة الكفر، وعُبّاد الصليب، بعد أن طهّرها المسلمون من براثن القوط، وعمروها بالدِّين والعلم، وأناروا مساجدها بذكر الله، وحكموها ما يقربُ من ثلاثمائة وثمانين عاماً، ملأوها عدلاً، وَغنَتْ بهم دهوراً وعصوراً، فوأسفاه عليك يا طليطلة.

كان سقوط طليطلة نذير شؤمٍ على كافة العالم الإسلامي، ولولا خيانةُ القادر وخنوع ملوك الطوائف لما كان ما كان، أصبح ألفونسو السادس بنظر الملة

---

(1) ابن بسّام: الذخيرة 4/ 104، المقري: نفح الطيب 4/ 448.

(2) نص ابن بسّام في الذخيرة 4/ 104.

النصرانية البطل المخلص الذي استردّ عاصمتهم، وورث أجدادهم، وأصبح الفونسو بمكانٍ مطلّ على معظم شبه الجزيرة الإيبيرية، وأمنع معاقلها لأنها موسطة، وانقلب ميزان القوى القديم، فبدأت قوى الإسلام تفقد تفوقها في شـبه الجزيـرة، بعـد أن استطاعت أن تحافظ عليه زهاء أربعة قرون، وأضحى تفوق القوى النصرانية أمراً لا شك فيه. ومن ذلك الحين تدخل سياسة الاسترداد الإسـبانية (لاريكونكسـتا La Reconquista) في طور جديد قوي، وتتقاطر الجيوش القشتالية لأول مرة، منـذ الفتح الإسلامي، عبر نهر التاجه، إلى أراضي الأندلس، تحمل إليها أعلام الـدمار والموت، وتقتطع أشلاءها تباعاً، في سلسلة لا تنقطع من الغزوات والحروب)[1].

ونأتي الآن للحديث عن المحطّة الأخيرة من محطات الملك المنكوب القـادر بالله وليس بقادر على شيء، يحيى بن إسماعيل حفيد المأمون يحيى بن إسـماعيل، بعد أن سلبه الفونسو السادس بلاده وملكه وعرشه، حتّى إرادته وشخصيته. وكنا قد أسلفنا أنَّ الفونسو السادس قد شرط عليه أن يخرج له عن طليطلة حالما بلغ أملـه من دخولها، وكان القادر قد طلب من ألفونسو كذلك مظاهرته على دخول بلنسـية التي كان قد استولى عليها جدّه سنة 457هـ، وبعد وفاة المأمون ثار بها أبو بكـر بن عبد العزيز سنة 467هـ، وأعلن أبو بكر نفسه أميراً عليها.

قال ابن خلدون: (... **وشرط عليه أن يظاهره على أخذ بلنسـية**)[2]. وكـان القادر بعد سقوط طليطلة سنة 478هـ/ 1085م قد استقرَّ أياماً في طليطـة تحـت حماية ألفونسو حالما جمع ماله وأهله[3]، ويصف لنا ابن بسَّام خروج المتوكل مـن طليطلة قائلاً: (... **وخرج ابن ذي النون خائباً مما تمنّاه، شَرِقاً بعقبي ما جنـاهُ،**

---

(1) عنان: دول الطوائف، ص114.

(2) ابن خلدون: العبر 4/ 207، وللمزيد المقري: نفح الطيب، 1/441، ابن بسام: الـذخيرة 3/ 57- 58، القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 252.

(3) ابن بسَّام: الذخيرة 4/ 103، ابن الخطيب: أعمال الأعـلام 2/ 180، 192، عنـان: دول الطوائـف، ص113.

والأرض تضج من مُقامه، وتستأذن في انتقامه، والسماء تود لو لم تطلع نجماً إلا كدرته عليه حتفاً مبيداً، ولم تنشئ عارضاً إلى مطرته عذاباً فيه شديداً. واستقرّ بمحلة أذفونش مخفور الذمة، مذال الحرمة، ليس دونه باب، ولا دون حرمه ستر ولا حجاب. حدّثني من رآه يومئذٍ بتلك الحال وبيده اصطرلاب برصد فيه أي وقت يرحل، وعلى أي شيء يعوّل، وأي سبيل يتمثّل، وقد أطاف به النصارى والمسلمون، أولئك يضحكون من فعله، وهؤلاء يتعجبون من جهله)[1].

ثم خرج القادر من طليطلة وكان بصحبتِهِ جماعةٌ من الكُبَراء والأشراف، الذين آثروا الخروج معه إلى بلنسية. كافة القلاع التي كانت تحت حكمه صدته، وأعلقت الأبواب في وجهه عدا قلعة قونقة (كونكة)، فقد بقيت على طاعته، ورحّب به صاحبها ابن الفرج وزيره ووزير جدّه المأمون آنفاً، فبعثه إلى صاحب بلنسيه أبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن عبد العزيز ليفاوضه على دخول المدينة، وكان فريق من أهل بلنسية آثروا ابن هود ليكن أمراً لبلنسية، وفريق آخر رأى أن يكون القادر، ودبّت الفوضى بين الفريقين. وبعد عودة ابن الفرج سار المقتدر إلى بلنسية وكان الفونسو قد أمدّه كما ودعه بسريةٍ قويةٍ من جنود النصارى وعلى رأسها قائده هانيس، الذي تسمّيه الرواية الإسلامية (ألبرهانس)، ولما وصل القادر إلى بلنسية أرسل من يفاوضهم ويتودد إليهم ويعدهم، وبعد مفاوضاتٍ تم رفض مطالب ابن هود الطامع في ضم بلنسية إلى مملكة سرقسطة، ودخل القادر بلنسية كونه برأيهم صاحب المطلب الشرعي، كونها كانت تحت سيطرته قبل إعلان الثورة عليه من قِبل أبي بكر بن عبد العزيز، ثم خشيةً من هجوم القشتاليين، وتم خلع أبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن عبد العزيز، وسلّمت المدينة للقادر، ودخل معه جنود النصارى، فسكن القادر قصرها، وأقام الجنود القشتاليون في ضاحية الرصافة وكان ذلك سنة 478هـ (فبراير 1086م)[2] وهكذا يستولي القادر على بلنسية ورث جدّه

---

[1] نص ابن بسّام: الذخيرة 4/ 103.

[2] ابن عذاري: البيان المغرب 3/ 304، 4/ 149، ابن خلدون: العبر، 4/ 194، 4/ 207، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 180، ابن سعيد: المُغرب 2/ 245، وفيه: (وقُبل عليها ابن ذي النون الذي ==

المأمون ليعيدَ أمجاد أجداده بعد أن أقفرت في موسطة الأندلس طليطلة، ومع كل هذا فلا يستبعد بأنّ الفونسو السادس قد مكن القادر من بلنسية لتكن فيما بعد من نصيبه، لأن القادر كان في يد الفونسو كحجر شطرنج يحركه كيفما شاء ومتى شاء، قال ابن عِذاري بهذا الشأن: (... **ولم يزل ملكها يخطب له على منبرها إلى أنّ سلم القادر ابن ذي النون طليطلة للفنش وجاء إلى بلنسية فخاف أهل بلنسية أن يعينه عليها فيعطيها له، فخلعوا هذا الأمير وفتحوها له، وقيل بل كان القادر قد اشترط على الفنش أن يملِّكه بلنسية الفنش بشرطه، وأدخله بلنسية قهراً في هذا التاريخ سنة ثمان وسبعين وأربعمائة**)[1]. وقال في موضعٍ آخر: (.. **وانتقل حفيد بن ذنون إلى بلنسية بمشايعة ملك قشتاله ووجَّه معه جيشاً حتى دخلها**)[2] وقال ابن خلدون: (... **فلمّا سلّم القادر بن ذي النون طليطلة، زحف إلى بلنسية ومعه الفنش، وخلع أهل بلنسية عثمان بن أبي بكر وأمكنوا منها القادر خوفاً من استيلاء النصراني وذلك سنة ثمان وسبعين وأربعمائة**)[3].

وقال ابن بسَّام بهذا الشأن: (.... **وأن يحيى بن، ذي النون، المتلقب من الألقاب السلطانية بالقادر بالله، كان الذي هيج أولاً نارها، وأجج**[4] **أوارها**[5]،

=أخرجه النصارى من طليطلة، القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 254، النويري: نهاية الأرب 259/23، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص86، ابن الأثير: الكامل 23/ 292، عنان: دول الطوائف، ص217- 218، الحجي: التاريخ الأندلسي، ص367- 368، ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص186، الطاهر مكي، ملحكمة السيد، ص110، حسين، كريم عجيل حسين: الحياة العلمية في بلنسية، ص129 – 130. أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية الإسلامية، ص126-130 مؤنس السيد القميطور وعلاقاته بالمسلمين، المجلة التاريخية المصرية، العدد1، مايو 1950، المجلد/3، ص55.

Menendez Pidal (Ramon): La Espana del Cid Cuarta edicion, Vol,I, p.313-314

(1) ابن عِذاري: البيان المُغرب 3/ 304.

(2) ابن عِذاري: البيان المُغرب 4/ 149.

(3) ابن خلدون: العبر 194/4، القلقشندي: صبح الأعشى، 254/5، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 180/2.

(4) أججَّ: ألهب.

(5) أوارها: الحر- الدخان.

وكان عندما خلّى [بين] أذفونش وطليطلة- جدد الله رسمها، وأعاد إلى ديوان المسلمين اسمها- قد عاهده على أن يعيد له صعب بلنسية ذلولا، وأن يمتعه بنضرتها وتملك حضرتها ولو قليلاً، علماً منه أنه أسيرٌ لديه، وعيال عليه، فصار تهرّهُ[1] المعاقل، وتبرأ منه المراحل [بعد المراحل]، حتى استقر بقصبة قونكة، عند أشياعه بني الفرج-...... - وهم كانوا ولاء أمره، وواعية عرفه ونكره، بهم أولاً صدع، وإليهم آخراً نزع وطفق يداخل ابن عبد العزيز بمعاذير يلفقها، وأساطير ينفقها، وأعجاز من الباطل وصدور يجمعها ويفرقها، وابن عبد العزيز يومئذ يضحك قليلاً ويبكي كثيراً، ويظهر أمراً ويخفي أموراً والفلك يدور، وأمر الله ينجد[2] ويغور[3]. وورد الخبر بموت ابن عبد العزيز أثناء ذلك، واختلاف ابنيه بعده هنالك، فانسل ابن ذي النون إلى بلنسية انسلال القطا[4] على الماء، وطلع عليها طلوع الرقيب على خلوات الأحبّاء)[5].

وبعد أن تسلم القادر زمام الأمور ساءت أحوال العامّة، وبقي القادر على عادته في تلبية رغبات ألبرهانس وإرهاق الأهالي بالضرائب والمغارم، حتى قامت الثورة ضدّه، ولما دخلت القوات المرابطية الأندلس وحققت الانتصارات؛ بعث القائد المرابطي ابن عائشة سريةً إلى بلنسية لتعين القاضي ابن جحّاف على الثورة ضد السيد القميطور والقادر بن ذي النون، وتمكنت من فرض السيطرة على بلنسية وتم القبض على القادر، وكان قد اختفى ببعض حمّامات القصر، ومعه صندوق من الجواهر والحلي، وحزّ رأسه وحمل على رمح وطيف برأسه في الشوارع، وكان

---

[1] تهرُّه: تكرهُ منظره ومعاملته.

[2] ينجد: خرج إلى النجد إلى الطريق المرتفعة.

[3] يغور: يأتي على الغور والغور ما انحدر من الأرض واطمأن.

[4] القطا: مفردها قطاة: طائر يحجم الحمام يضرب بها المثل في الاهتداء فيقال "أهدى من قطاة" (ابن هلال العسكري: جمهرة الأمثال 1/ 167، الميداني: مجمع الأمثال 2/ 409).

[5] ابن بسام: الذخيرة 3/ 57- 58.

ذلك يوم 23 من رمضان سنة 485هـ/ (28 اكتوبر 1092م) [1] وبذلك ينتهي عهد عهد بنو ذي النون في بلنسية.

وللحديث عن نهاية القادر بن ذي النون يحدثنا ابن بسام: (...، **وذلك أن الفقيه أبا أحمد بن جحّاف متولي القضاء بها يومئذ لما رأى عساكر المرابطين- [أيدها الله]- تترى[2]، وأحس بهذا الطاغية- لعنه الله- من جهة أخرى، امتطى صهوة العقوق[3]، وتمثّل: "من فرص اللص ضجة السوق"، وجمع في الرياسة بخدع الفريقين، وذُهل عن قصة الثعلب بين الوعلين فاستجاش[4] لأول تلك الوهلة لمّة[5] يسيرة من دعاة أمير المسلمين فهجم فهجم بهم على ساحة ابن ذي النون الجاءَ على حين غفلته، وانفضاض من جملته، واستشراء من علته، حيث لم يكن له ناصر إلاّ الشكوى، ولا هاد إلا صدر العصا، فقتله- زعموا - بيد رجل من بني الحديد طلباً بذحل[6] عما كان هو قد قتل من سلفه، وهدم من بيوت شرفه**)، وفي

---

(1) ابن بسام: الذخيرة 3/ 57-0 59، ابن عِذاري: البيان المغرب 3/ 305- 306، 4/ 149، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص84، 103، ابن خلدون: العبر 4/ 194، 4/ 207، 208، ابن الأثير: الكامل 7/ 292، ابن الخطيب: أعمال الأعلام 2/ 180، 193، القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 254، عنان: دول الطوائف، ص213، الحجّي: التاريخ الأندلسي 372، أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية الإسلامية، ص 129، 144-146، حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية 1/ 307، حسين، كريم عجيل حسين: الحياة العلمية في مدينة بلنسية، ص 129- 130.

(2) تترى: تتتابع.

(3) العقوق: الفرس الحامل.

(4) استجاش: جمع.

(5) لمة: الشيء المجتمع.

(6) ذحل: الثأر، العداوة والحقد، إشارة إلى أبي بكر الحديدي الذي قُتل في طليطلة بتدبير من القادر.

قتلـــه ابن ذي النون القـــادر، يقول أبو عبـــد الرحمـــن بـــن طاهر[1]. [مجـــزوء الرمل] [2].

أيهـــــا الأخيــــف[3] مهـــــلاً	فلقـــــد جئـــــت عويصـــــا
إذا قتلـــــت الملـــــك يحيـــــى	وتقمصـــــت القميصـــــا
رب يـــــوم فيـــــه تجـــــزى	لـــــم تجـــــد عنـــــه محيصـــــا

ما بعد سقوط طليطلة:

لم تغبْ طليطلة عن أنظار المسلمين حتّى بعد سقوطها، وكانَ الأملُ يراودهم في استرجاعها، وإعادتها إلى البلاد الإسلامية، وتطهيرهـــا مـــن رجـــسِ وبـــراثن النصارى، لكنَّ منعةَ طليطلة وحصانة أسوارها وعلوّها، ومتانة قنطرتهـــا، كانـــت دائماً تحول دون تحقيق الأمل المنشود، فقد حاصرها الأمير المرابطي يوسف بـــن تاشفين عندما جاز إلى الأندلس سنة 483هـ/ 1090م وهو الجواز الثالث، وهتكها وقطع ثمارها، وانتسف زروعها، وخرَّب أحوازها وقتل وسبا، ولم يأته وقتها أحـــدٌ من ملوك الطوائف الذين وضعوا أيديهم بيد ملك قشتالة ألفونسو الســـادس، وبيّتـــوا النيّة لرد المرابطين عن بلادهم، فغاض ذلك يوسف بن تاشفين[4].

---

[1] هو: أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر، الوزير الأجـلّ ذو الـــوزارتين، صـــاحب المظالم، آل إليه أمر مرسية مدة ملوك الطوائف، ثم تآمر عليه أهل بلده وثاروا عليه، وداخلوا المعتمـــد بن عبّاد، فأرسل إليه وزيره الشاعر ابن عمار فحازها وملكها، وانحاز ابن طاهر إلـــى بلنســـية أيـــام صاحبها المنصور بن عبد العزيز بن أبي عامر، وبقي في بلنسية حتى وفاته سنة 507هـــ، وقد نيـــف على التسعين عاماً، وكان رحمه الله، فصيح القلم، ظريف التوقيع، عذب النادرة والفكاهة، وقد حـــدّث عنه وعن نوادرهِ وشعرهِ ونثرهِ صاحب القلائد، وصاحب الذخيرة. (للمزيد: ابن خاقان: قلائد العقيـــان 1/ 170-206، ابن بسّام: الذخيرة 3/13-23، ابن بشكوال: الصلة 2/ 446 الترجمة رقم 1259، ابن سعيد: المُغرب 2/ 203، العماد الأصفهاني: الخريدة، 2/98، ابن الخطيب: أعمال الأعـــلام 2/191-192، المقري: نفح الطيب 1/ 641، 657، 670، 3/409، 7/30).

[2] ابن بسّام: الذخيرة 3/ 59، والأبيات موجودة عند ابن الأثير في الكامل 7/ 292.

[3] الأخيف: من كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء.

[4] ابن أبي زرع: الأنيس المطرّب، ص153، الناصري الاستقصا 2/1/ 52-53، عنان: دول الطوائـــف، الطوائف، ص328-329، محمود، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص263، أشباخ، يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس 100/1، طبعة القاهرة- مصر، 1940م.

وبعد موت يوسف بن تاشفين بثلاثِ سنوات عبر ولده علي إلى الأندلس برسم الجهاد، وغزا طليطلة وفتح من أحوازها سبعاً وعشرين حصناً، وفتح مجريط ووادي الحجارة ووصل إلى طُليطلة فحاصرها شهراً وقطع ثمارها وبلغ فيها من النكايةِ كثيراً، ثم قفل عنها إلى قرطبة ظافراً بعد أنْ دوّخها[1]، وفي سنة 507هـ/ 1113م في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين غزى طليطلة أمير قرطبة مزدلي، فدوخها، وفتح حصن آرهينة عنوة، وقتل كل من كانَ بهِ من الرجال وسبى النساء والذريّة، ولمّا علم البرهانس وهو من قادة ألفونسو السادس، أقبل بجيشه لنصرة النصارى، فقصده مزدلي لمّا علم بأمرهِ، ففرّ أمام مزدلي ليلاً، فعاد مزدلي إلى قرطبة ظافراً غانماً[2]. ثم جاز أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس سنة 515هـ/ 1121م وغزا طليطلة، فدخل أحد حصونها بالسيفِ، وهتك أحوازها[3]. ولم تنقطع غارات المسلمين في عهد الموحدين عن طليطلة كذلك؛ إذ كانت نصب أعينهم لا تفارقهم، ففي سنة 565هـ/ 1169م وفي عهد السلطان الموحدي يوسف بن عبد المؤمن، جاز عمر أخو السلطان يوسف إلى الأندلس بنيّة الجهاد، وغزا طليطلة[4]، ثم جاز الأمير يوسف بنفسه إلى الأندلس ليتفقدّ أحوالها، وغزا مدينة طُليطلة، وفتح حصوناً كثيرةً من أحوازها وقتل خلقاً كثيراً من الروم وغنم وسبى، ثم عاد إلى إشبيلية ظافراً[5]، وفي سنة 782هـ/ 1186م غزاها السلطان المريني عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، وقَصَد أحوازها[6].

بلغ عدد سكان طُليطلة أيام السملمين نحو مائتي ألف نسمة، وبعد سقوطها بيد النصارى هجرها معظم السكان المسلمين، وتضاءل سكانها ونشاطها الصناعي في

---

[1] ابن خلدون: العبر 223/6، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص161، الناصري: الاستقصا، 65/2/1.

[2] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص162، الناصري: الاستقصا 66/2/1.

[3] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص164، الناصري: الاستقصا 68/2/1.

[4] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص211.

[5] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص211.

[6] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص406.

ظل الحكم الإسباني، بالرّغم من أنّها كانت في وقتٍ من الأوقات عاصمة إسبانيا النصرانيّة، وكانت مقراً لبلاط فرديناندو وإسابيلا، وأحياناً لبلاط الامبراطور شارلكان. واستمر تدهور طليطلة حتى عفت معظم صناعاتها التي كانت قد اشتهرت بها فمن الصناعات الصلبية والحديدية والأسلحة الفاخرة، واليوم أصبح سكانها تقريباً لا يعدون ثلاثين ألف نسمة. واليوم هي مدينة متواضعة، حيث تحتفظ بخططها القديمة، بدروبها الضيّقة المنحدرة، ومنازلها الصخرية القديمة وما زال بها بعض الآثار القديمة مثل: الأسوار، الأبراج، القناطر، والمساجد التي حوّلت إلى كنائس[1].

رثاء طليطلة:

كان سقوط طُليطلة بيد النَّصارى بالنسبة للمسلمين أول الفجائع في عهد ملوك الطوائف، وصفعةً من العدو الحاقد، ومصيبة عظيمة وقعت عليهم، غيرَّت مجرى حياتهم، وبغتتهم، فما عادوا يصدّقون ما أصابهم فالشاعر والفقيه أبو القاسم وكما أسلفنا من خلال الحديث عن علماء طليطلة؛ عندما أخذ العدو طُليطلة، حلق نصف رأسه وشدّ الزّنار، فقال له أحد أصحابه في ذلك وقال له أين عقلك؟! فقال ما فعلت هذا إلاّ بعد ما كمل عقلي[2] أما الفقيه الزاهد ابن العسّال، فقد رثا طليطلة بشعر اتهم اتهم به أنهُ انهزامي يدعو به إلى الرحيل عن طُليطلة، وتركها للعدو، لكن الواقع غير ذلك فهو أسلوب استخدمه الشاعر ساخراً ومستهزءاً، بل فيه التحدّي للصمود في وجه العدّو.

---

[1] عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص82.

[2] ابن سعيد: المُغرب 2/ 21.

يقول ابن العسّال[1] رحمه الله [البسيط][2].

يــا أهــل أنــدلسٍ حُثّــوا مطــيّكمُ فما المقــامُ بهــا إلاّ مــن الغَلَــطِ
الثوبُ ينسلُ مــن أ طرافِــه وأرى ثوبَ الجزيرة منسولاً من الوســطِ
ونحـــنُ بـــين عـــدّوٍ لا يفارقنـــا كيف الحياةُ مع الحيّاتِ في سفطِ[3]

لقد كان ابن العسَّال مشهوراً بالكرامات وإجابة الــدعوات، زاهــد طُليطلــة المشهور، فلا أظن أنه يدعو للاستسلام والخروج من طُليطلة، بقدر ما يدعو أهلهــا للصمود في وجه العدو قائلاً: إمَّا أن تصمدوا في وجه عدّوكم فهو لن يفارقم، وإما فخروجكم منها أفضل، لأن الحياة معهم مستحيلة في بلدٍ واحــدة، فكيــف يعــيش الإنسان مع عدّوه الأفعى في مكان وآنٍ واحد. وهي دعوة للجهاد لا للاستسلام. وما أعجب أن ينسل الثوب من وسطه، والمعتاد نسوله من أطرافه، فهذا فاتحة الشــر، ونذير الشؤم. ونعود للشاعر الذي حلق وسط رأسه ابن الخياط فاستغرب أصــحابه ما فعل بنفسه، وقال لهم الآن بعد هذا التصرّف كمل عقلي، لأن ســقوط طليطلــة وهي موسطة الأندلس وأمنع ممالكها هو أمرٌ يدعو للحيرة والاســتغرب، ويبشــر

---

(1) أوردت له ترجمةً مفصلّةً من خلال الحديث عن شعراء وعلماء وفقهاء طُليطلة.

(2) الأبيات عند المقري في النفح 4/ 352 وقد أوردها المقري كذلك برواية أخرى.

حُثّــوا رواحلكــم يــا أهــل أنــدلس فمــا المقــام بهــا إلا مــن الغلــطِ
الســلك ينتثــر مــن أطرافــه وأرى سلك الجزيرة منثــوراً مــن الوســط
من جــاور الشــرّ لا يــأمن عواقبــه كيف الحياةُ مع الحيــاتِ فــي ســفطِ

وأورد منها ابن سعيد في المغرب (2/ 19) البيت الأول والثاني وعلى روايــة المقــري الأول، وأورد كذلك ابن بسام في الذخيرة (2/ 154).

حُثّــوا مطايــاكم يــا أهــل أنــدلس فمــا المقــامُ بهــا إلاّ مــن الغلــط
فــالثوبُ ينســلُ مــن أطرافِــهِ وأرى ثوب الجزيرة منســولاً مــن الوســط

(3) السَّفَط: جمع أسفاط، قال ابن سيدة في لسان العرب: كالجواليق: جمع جوالق وهو وعاء من الأوعيــة الأوعية معروف معرب. (لسان العرب: سفط، جَلَقَ).

بالشر القادم، وهو تصرف لجلب الأنظار بطريقة السخرية والاستهتار، فطالما استهتر ملوك الطوائف حتى جاءهم الخطر المحدق. وكأنه يقول لهم: انظروا إلى بشاعة منظر راسي بعد أن حُلق منتصفه، وإن الأندلس أكثر بشاعة بعد أن أُخذ موسطتها، طليطلة.

وقال شاعرٌ آخر أيضاً في رثاء طليطلة [البسيط][1].

يا أهل أندلس رُدُّوا المُعارَ فما — في العُرْف عاريّةٌ إلا مردّاتُ
ألم تروا بيدق[2] الكفار فرزنه — وشاهنا آخر الأبيات شهماتُ

ونرى هنا بيتين فقط قيلت في رثاء طليطلة، وقبلها ثلاثة أبيات، أو حلق منتصف الرأس، فهل هذه الأبيات القليلة كانت بحجم المأساة، أم أنها بضعة أبيات من قصائد طويلة، ولم يَبْقَ منها إلاّ ما هو بين أيدينا، أم أنَّ الشعراء اكتفوا بهذا، لأن الدمع لا يرد البلاد هنالك تساؤلات كثيرة. ولماذا هذه الأبيات، والقصيدة التي ستأتي لاحقاً في رثاء طليطلة نسبت لمجهول؟ أحقاً أن شاعرها مجهول؟ أم الخوف من عقاب ملوك الطوائف جعلته يختبئ وينكر نفسه فقد كان الشعراء يفصحون بقصائد الرثاء عن العلة وهي: **(ركون ملوك الطوائف إلى الدنيا، ووضع يدهم بيد النصارى ضد بعضهم، وإرهاق رعيتهم بالضرائب والإتاوات والمغارم، وتعطيل سنة الجهاد).**

كذلك احتفظ لنا كتاب نفح الطيب بهذه القصيدة التي بلغت اثنين وسبعين بيتاً، وقد نُسبتْ لمجهول، قال المقري:**ومن ذلك قول بعضهم يندبُ طليطلة أعادها الله تعالى للإسلام[الوافر]** [3]:

---

(1) المقري: نفح الطيب 4/ 352.

(2) البَيْدَق: الدليل في السفر، والجندي الراجل.

(3) المقري: نفح الطيب، 4/ 483- 486.

لثَكْلُـــكِ كيـــفَ تبتســـمُ الثغـــورُ سـروراً بعـد مـا سُـبيتْ ثُغـورُ
أمـــا وأبــي مصـــابٌ هُــدَّ منــهُ ثبيـــرُ الـــدين فاتّصـــلَ الثُّبـــورُ
لقد قُصــمتْ ظهــورٌ حـين قــالوا أميـــرُ الكـــافرينَ لـــه ظهـــورُ
ألـيس بهــا أبــيُّ الـنفس شــهمٌ يـــديرُ علـــى الـــدوائرِ إذ تـــدورُ
لقــد خضــعت رقــابٌ كــنَّ غُلبــاً وزالَ عتوُّهـــا ومضـــى النفـــورُ
وهـــانَ علـــى عزيـــزِ القـــومِ ذلٌّ وسامحَ في الحـريمِ فتـىً غيـورُ
طليطلـــةٌ أبـــاحَ الكفـــرُ منهـــا حِماهـــا. إن ذا نبـــأٌ كبيـــرُ
فلـــيسَ مثالهـــا إيـــوانُ كِسْـــرى ولا منهـــا الخَوَرْنَـــقُ والســـديرُ
محصَّـــــنةٌ مُحسَّـــــنةٌ بعيـــــدٌ تَناولهـــا ومطلبهـــا عســـيرُ
ألـــمْ تـــكُ معقـــلاً للـــدِّينِ صـــعباً فـــذلّله كمـــا شـــاءَ القـــديرُ
وأخـــرج أهلهـــا منهـــا جميعـــاً فصاروا حيثُ شــاءَ بهــم مصـيرُ
وكانـــــت دارَ إيمـــــانٍ وعلـــــمٍ معالِمُهـــا التـــي طُمِسَـــتْ تنيـــرُ
فَعـــادت دارَ كفـــرٍ مصـــطفاةٍ قـــد اضـــطربت بأهلِيهـــا الأمـــورُ
مســـاجدها كنـــائسُ، أيُّ قلـــبٍ علـــى هـــذا يقـــرُّ ولا يطيـــرُ؟[1]
فيـــا أســـفاهُ يـــا أســـفاهُ حزنـــاً يُكَـــرَّرُ مـــا تكـــررتِ الـــدهورُ
وينشر كل حسـنٍ لـيس يُطـوى إلـــى يـــومٍ يكـــون بـــه النُشُـــورُ
أُديلـت قاصـراتُ الطـرفِ كانـتْ مصـــوناتٍ مســـاكنها القصـــورُ
وأدركهـــا فتـــورٌ فـــي انتظـــارٍ لســـربٍ فـــي لواحظـــه فتـــورُ
وكـــان بنـــا وبالقينـــات أولـــى لو انْضـمَّت علـى الكـلِّ القبـورُ
لقـــد سَـــخِنَتْ بحـــالتهن عَـــيْنٌ وكيـــفَ يصـــحُّ مغلـــوبٌ قريـــرُ

---

[1] إشارة إلى المساجد التي حولت إلى كنائس، بعد أن وعد الفونسو السادس أهل طليطلة بالإبقاء على المساجد وعدم التدخل بالشعائر الدينية، وكان هذا فيما بعد دأب عبّاد الصليب في كل مكان يدخلونه من بلاد المسلمين في الأندلس حتى سقوط غرناطة، وعود كالسراب للظامئ، وعهودٌ أوهن من بيوت العنكبوت، وكلام الليل يمحوه النهار، حيث تنجلي حقيقة الذئاب والكلاب الضآلّة.

لئن غبنا عن الإخوان إنّا | بأحزانٍ وأشجانٍ حُضورُ
نُذورٌ كان للأيام فيهم | بمهلكهمْ فقد وفت النُّذُورُ
فإن قلنا العقوبةَ أدركتهم | وجاءهُمُ من الله النكيرُ
فإنا مثلهم وأشدُّ منهم | نجورُ وكيف يَسْلَمُ من يَجورُ
أنأمنُ أن يحلَّ بنا انتقامٌ | وفينا الفسقُ أجمعُ والفجورُ
وأكلٌ للحرامِ ولا اضطرارٌ | إليه فيسهلُ الأمرُ العسيرُ
ولكن جرأة في عقرِ دارٍ | كذلك يفعلُ الكلبُ العقورُ
يزولُ السيرُ عن قومٍ إذا ما | على العصيان أُرخيَتش الستورُ
يطولُ عليَّ ليلي، رُبَّ خطبٍ | يطولُ لهوله الليلُ القصيرُ
خذوا ثأر الديانةِ وانْصروها | فقد حامتْ على القتلى النسورُ
ولا تَهِنُوا وسُلوا كل عضبٍ | تهابُ مضارباً منه النُّحورُ
وموتوا كلكم فالموت أولى | بكمْ من أن تُجاروا أو تَجُوروا
أصبراً بعد سبيٍ وامتحانٍ | يلام عليهما القلبُ الصبورُ
فأمُّ الثكلِ مِذكارٌ ولودٌ | وأمُّ الصقرِ مِقْلاتٌ نَزورُ
نخور إذا دُهينا بالرزايا | وليس بمعجبٍ بَقَرٌ يخورُ
ونجبن ليس نزأر، لو شجعنا | ولم نجبن لكان لنا زئيرُ
لقد ساءت بنا الأخبارُ حتى | أمات المخبرين بها الخبيرُ
أتتنا الكُتْبُ فيها كلُّ شرٍّ | وبشّرنا بأنْحسنا البَشيرُ
وقيلَ، تجمّعُوا لفراق شَمْلٍ | طُليطلةٌ تملّكها الكفُورُ
فقُل في خطّة فيها صغارٌ | يشيبُ لكربها الطفلُ الصغيرُ
لقد صمَّ السميعُ فلم يعوّل | على نبإٍ كما عميَ البصيرُ
تجاذبنا الأعادي باصطناعٍ | فينجذبُ المخوّلُ والفقيرُ
فباقٍ في الديانةِ تحت خزيٍ | تثبّطهُ الشُّويهَةُ والبعيرُ

وآخــرُ مــارقٌ هانــت عليــه مصــائبُ دينــه فلــةَ السـعيرُ
كفــى حزنــاً بــأنَّ النــاس قــالوا إلــى أيــن التحــوّلُ والمســيرُ
أنتــركُ دورنــا ونفــرّ عنهــا ولــيس لنــا وراء البحــر دورُ
ولا ثَــمَّ الضــيّاعُ تــروقُ حســناً نباكرهــا فيعجبنــا البكــورُ
وظــلٌّ وارفٌ وخريــرُ مــاءٍ فــلا قــرٌّ هنــاك ولا حَــرورُ
ويؤكــلُ مــن فواكههــا طَــرِيٌّ ويُشــربُ مــن جــداولها نميــرُ
يــؤدَّى مَغــرمٌ فــي كــلِّ شــهرٍ ويؤخــذُ كــلَّ صــائفةٍ عُشُــورُ
فَهُــمْ أحمــى لحوزتنــا وأولــى بنــا وهُــمُ المــوالي والعشــيرُ
لقــد ذهــب اليقــينُ فــلا يقــينٌ وغَــرَّ القــومَ بــالله الغَــرورُ
فَــلا ديــنٌ ولا دُنيــا ولكــن غــرورٌ بالمعيشــةِ مــا غــرورُ[1]
رَضُــوا بــالرقِّ يــا لله مــاذا رآهُ ومــا أشــار بــه مُثيــرُ
مضى الإسلام فأبْـكِ دمـاً عليـه فما ينفي الجَـوى الـدمعُ الغزيـرُ
ونُــحْ وانــدبْ رفاقــاً فــي فــلاةٍ حيــارى لا تحــطُّ ولا تســيرُ
ولا تَجْـنَحْ إلــى سـلمٍ وحــاربْ علــى أن يُجْبَـرَ العظـمُ الكَسـيرُ
أنعــم عــن مراشــدنا جميعــاً ومــا إن مــنهمُ إلا بصــيرُ
ونلقــى واحــداً ويفــرُّ جَمْــعٌ كمــا عــن قــانصٍ فــرَّت حميــرُ
ولــو أنّــا ثبتنــا كــانَ خيــراً ولكــنْ مــا لَنــا كــرمٌ وخيــرُ
إذا مــا لــم يكــن صــبرٌ جميــلٌ فلــيس بنــافعٍ عــددٌ كثيــرُ
ألا رجــلٌ لــهُ رأيٌ أصــيلٌ بــه ممّــا نحــاذرُ نســتجيرُ
يكــرُّ إذا الســيوف تناولَتْــهُ وأيــنَ بنــا إذا ولَّــت كــرورُ
ويطعــنُ بالقنــا الخَطّــار حتــى يقول الـرمح مـا هـذا الخطيـرُ
عظــيمٌ أن يكــونَ النــاسُ طُــرّاً بأنــدلسٍ قتيــلٌ أو أســيرُ

---

[1] إشارةٌ إلى أسباب كسر المسلمين في مواجهتهم للنصارى، بعدم ثقتهم بالله وغرورهم بالدنيا وركـونهم إليها، بما فيها من الملذات والشهوات، ودعوة من الشاعر للجهاد وعدم القعود عنه.

أذكّــر بــالقراع الليــث حرصــاً ... على أن يقــرع البَــيْضَ الــذكورُ
يبــادرُ خَرْقَهــا قبــلَ اتّســاعٍ ... لخطــبٍ منــهُ تنخســفُ البــدورُ
يوسّــع للــذي يلقــاهُ صــدراً ... فقَدْ ضــاقَتْ بمــا تلقــى صــدورُ
تنغّصــتِ الحيــاةُ فــلا حيــاةٌ ... وودَّعَ جيــــرةً إذْ لا مجيــــرُ
فليــلٌ فيــه هــمٌّ مســتكنٌّ ... ويــومٌ فيــه شــرٌّ مســتطيرُ
ونرجــو أن يُتِيــحَ الله نصــراً ... علــيهم، إنّــهُ نعــمَ النصــيرُ

الملاحق

- ملحق ملوك القوط الغربيين حسب رواية ابن الأثير الإسلامية.
- ملحق ملوك القوط الغربيين حسب الرواية اللاتينية/ الأجنبية المترجمة والمنقول عنها.
- ملحق ملوك القوط الغربيين حسب الروايات الإسلاميّة والروايات اللاتينية والأجنبية/ المترجمة والمنقول عنها.
- ملحق عهد الولاة في بلاد الأندلس (95- 138هـ) (714- 755م).
- ملحق عهد الأمراء من بني أمية في بلاد الأندلس. (138- 300هـ) (755- 912م).
- ملحق عهد الخلفاء من بني أمية في بلاد الأندلس (300- 428هـ) (912- 1036م).
- ملحق ملوك الطوائف في طُلَيْطُلَة (Toledo) (400- 478هـ (1009- 1085م).

الخرائط

- خريطة رقم (1) هجرات الشعوب الجرمانية وطريقهم، مأخوذة عن نورمان كانتور: العصور الوسطى الباكرة، ترجمة قاسم عبده قاسم، ص 169.
- المناطق التي استقرّ بها القوط الشرقيون (Ostrogoths) سهول روسيا الجنوبية، والقوط الغربيين (Visigoths) بلاد الغال وإسبانيا، مأخوذة عن محمد سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص338.
- دول الطوائف والممالك الإسبانية النصرانيّة بعد انهيار الخلافة الأموية سنة 400هـ/ 1009م، مأخوذة عن عنان: دول الطوائف، ص27.
- دول الطوائف والممالك الإسبانية النصرانية عقب سقوط طُلَيْطُلَة سنة 478هـ/ 1085م، مأخوذة عن عنان: دول الطوائف، ص115.

الصــــــوَر

1. ملوك القوط الغربيين Visigoths في إسبانيا (414م– 711م) مأخوذة عن شكيب أرسلان: الحلل السندسية 1/ 177.
2. المكان الذي شاهد به لُذريق الأميرة فلوريندة ابنة يليان عامل سـبتة وهـي تسبح في النهر والتي اغتصبها فيما بعد.
3. الملك القوطي لُذريق Rodrigo مع الأميرة فلوريندة ابنة يليـان صـاحب سبته، مأخوذة عن شكيب أرسلان: الحلل السندسية 1/ 433.
4. ملاقاة موسى بن نُصير مع طارق بن زياد بالقرب من طليطلـة، مـأخوذة عن شكيب أرسلان: الحلل السندسية 1/ 455.
5. تسليم طليطلة للأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة 838م، مأخوذة عن شكيب أرسلان: الحلل السندسية 1/ 461.
6. طليطلة يحيط بها نهر التاجة Tajo من ثلاث جهات.
7. طُلَيْطُلَة منظر عام.
8. قنطرة طُلَيْطُلَة، ومشارف القصر العربي الذي بني في عهد الأمير الحكـم الربضي (180– 260هـ).

ثبت بأسماء ملوك القوط الغربيين (Visigoth) في إسبانيا (الأندلس) حسب الروايات الإسلامية. رواية ابن الأثير وهي الرواية الأكثر توافقاً مع الرواية اللاتينية الأجنبية المترجمة والمنقول عنها[1].

	اسم الملك القوطيّ	مدة حكمه بالسنوات
1.	لذريق	ثلاثة عشرة سنة
2.	أقريط	
3.	أماريق	
4.	وغيش	
5.	ألريق[2]	
6.	أطلوف[3]	ست سنين
7.	واليا[4]	ثلاث سنين
8.	بوردزاريش[5]	ثلاث وثلاثين سنة
9.	طرشمند	

(1) هذه رواية ابن الأثير في كتاب الكامل في التاريخ 4/ 120- 121، وهي تتوافق مع الروايات اللاتينية اللاتينية والأجنبية، المترجمة والمنقول عنها في بعض الأسماء، وفتراتهم الزمنية لحكم القوط في الأندلس.

(2) ألريق: وهو: (ألاريك، ألارك، ألرك Alaric)، وهنا توافق مع الرواية اللاتينية، الأجنبية وهو الذي قاد الذي قاد القوط وحاصر روما ودخلها سنة 410هـ، ثم توفي آخر العام. (عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص69، فرج: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص29، الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص93؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس 28/1/1 Vasiliev: the Byzantine Empire, tomI, p.11

(3) أطلوف: وهو أتولف، وهنا توافق كذلك حيث حكم ست سنين، وعلى الرواية الأجنبية كذلك (410- (410- 415م).

(4) واليا: وهنا توافق تام بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم ثلاث سنين (415- 418م).

(5) بورذاريش: وهو ثيودريك الأول: وهنا توافق بالفترة الزمنية حيث حكم ثلاث وثلاثين سنة، (419- 451م).

اسم الملك القوطيّ		مدة حكمه بالسنوات
10.	لذريق[1]	ثلاث عشرة سنة
11.	أوريق[2]	سبع عشرة سنة
12.	الريق بطلوشة[3]	ثلاث وعشرين سنة
13.	عشليق	
14.	أمليق	سنتين
15.	توذيوش	سبع عشر سنة وستة أشهر
16.	طودتقليس	سنة وثلاثة أشهر
17.	أثلة	خمس سنين
18.	أطلنجة	خمس عشرة سنة
19.	ليوبا[4]	ثلاث سنين
20.	لويلد	
21.	ركرد	
22.	ليوبا	
23.	بتريق	
24.	غندمار	سنتين
25.	سيسيموط[5]	تسع سنين

---

(1) لذريق: وهو ثيودريك الثاني، وهنا توافق بالفترة الزمنية حيث حكم ثلاث عشرة سنة (451- 465م).

(2) أوريق: وهو أيورك وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم سبع عشرة سنة (466- 283م).

(3) الريق: وهو الرك الثاني، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم ثلاث وعشرين سنة (483-506م).

(4) ليوبا: وهو ليوفا الثاني، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم ثلاث سنين (601-603م).

(5) سيسموط: وهو سيسبوت وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم تسع سنين (612- 620م).
620م).

اسم الملك القوطيّ		مدة حكمه بالسنوات
.26	ركريد[1]	
.27	شنتله[2]	
.28	شنند[3]	خمس سنين
.29	خنتله[4]	ست سنين
.30	خندس	أربع سنين
.31	بنبان[5]	ثمان سنين
.32	أروى[6]	سبع سنين
.33	أبقه[7]	خمس عشرة سنة
.34	غيطشة[8]	كانت ولايته سنة 277هـ
.35	رذريق[9]	

اسماء ملوك القوط الغربيّين Visigoths في إسبانيا[1] حسب الروايات اللاتينية والأجنبية المترجمة والمنقول عنها.

---

(1) ركريد: وهو ركاد الثاني، لم يذكر ابن الأثير فترة حكمه، وقد حكم (620-621).

(2) شنتله: وهو سونثيلا، لم يذكر ابن الأثير فترة حكمه وقد حكم (620-631م).

(3) شنند: وهو سيساند، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية حيث حكم خمس سنين (631- 636م).

(7) خنتله: وهو خنزيلا وهنا توافق بالأسم والفترة الزمنية تقريباً، إلاّ أن ابن الأثير ذكر أنـه حكـم سـت سنين، وفي الروايات اللاتينية الأجنبية (636- 640م).

(5) بنبان: وهو وامبا، وهنا توافق بالاسم والفترة تقريباً حيث حكم ثمان سنين (672- 680م).

(6) أروى: وهو أريوج، وهنا توافق بالاسم والفترة الزمنية، حيث حكم سبع سنين (680- 687م).

(7) ابقه: وهو إجيكا وقد اختلف الاسم وتوافق الزمن، حكم خمس عشرة سنة (687-701م).

(8) غيطشة: وهو وترا (Wetza)، وقد حكم تسع سنين (701-710م).

(9) رذريق: وهو رودريك (Rodrigo) وهو آخر ملوك القوط الذي دخل المسلمون عليه.

اسم الملك القوطي	الفترة الزمنية	
	من	إلى
أتولف Ataülfo	410م	415م
واليا، وسِجريكو (416م) Walia	415م	419م
ثيودريك الأول (تيودوريدو Teodoredo)	419م	451م
توريسموندو(Turismundo)	451م	454م
ثيودريك الثاني (تيودوريك Teodoreco)	454م	465م
أيورك (يوريك Eurico)	465م	483م
ألرك الثاني (ألريكو AlaricoII)	483م	506م
خيساليكو (Gesaleico)	506م	509م
أمالاريكو وثيودريك (Amalarico , Teodreco)	509م	522م
أمالاريكو بمفرده (Amalarico)	522م	531م
تيوديس (تيوديسيلو Teudis)	531م	548م
ثيوديجزل (تيوديسيليو Teudiselo)	548م	549
أجيلا (أخيلا Agila)	549م	554م

(1) هذا ثبت بأسماء ملوك القوط في إسبانيا، من تاريخ خروجهم من روما سنة 410م بعد أن دخلوها واستباحوها، وحتى نهاية دولتهم على أيدي الفاتحين من أبطال المسلمين بقيادة طارق بن زياد سنة 93هـ/ 711م، وكانت طليطلة حتى عهد رودريك هي عاصمتهم ودار ملكهم. للمزيد: (حتاملة: أيبيريا ص 202 –255، طرخان: دولة القوط الغربيين ص 136–139،عاشور: تاريخ العصور الوسطى ص70، 71، 668، الشيخ: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص93– 97، فرج: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، ص28– 29، العدوي: المسلمون والجرمان، ص19– 23، موس: ميلاد العصور الوسطى، ص85– 89، عمران، محمد سعيد عمران: معالم تاريخ العصور الوسطى، ص326، أرسلان، شكيب أرسلان: الحلل السندسية 1/ 177، لانجر: موسوعة تاريخ العالم 2/ 392– 396.

Caramona, D, Fransesco diaz, compendio de, historia de Epaňa, p.83-114
Bleye, Pedro Aguado: Manual de Historia de Espaňa p. 338-355

اسم الملك القوطي	الفترة الزمنية	
	من	إلى
أثانا جلدا (أتانا خيلدو Atanagildo)	554م	567م
ليوفا الأول (لوفا Liuva)	567م	572م
ليونيجلدو(ليوفيخيلدو Leovigildo)	572	586م
ركارد الأول (ريكاريدو Recarad)	586م	601م
ليوفا الثاني (Liuva II)	601م	603م
وتريخ (فيتيريكو Viterico)	603م	610م
جوندمار (غونديمارو Gundemaro)	610م	612م
سيسيبوتو (Sisebuto)	612م	620م
ركادوالثاني (ريكاريدو الثانيRecaradoII)	620م	621م
سونتيلا (Suintiala)	621م	631م
سيسناندو(Sisenado)	631م	636م
خنزيلا (كنتيلا Khintila)	636م	640م
تولجا (Tulga)	640م	641م
خندا شفنتو(Khindasvinto)	641م	652م
ريثيسفنتو(Rececvinto)	652م	672م
وامبا (Vamba)	672م	680م
ارفيخيو(Ervigio)	680م	687م
إجيكا (أخيكا Egica)	687م	701م
وتزا (غيطشة Witiza)	701م	709م
رودريك (لذريق Lodrigo)	709م	711م

ثبت بأسماء ملوك الغربيين Visigoth حسب ما ورد في الروايات الإسلامية مقارنةً بالروايات اللاتينية/ الأجنبية المترجمة والمنقول عنها[1].

رواية ابن الأثير	الفترة الزمنية بالسنة	رواية ابن خلدون	الفترة الزمنية بالسنة	رواية القلقشندي	الفترة الزمنية بالسنة	الروايات اللاتينية والأجنبية المترجمة والمنقول عنها	الفترة الزمنية	
لذريق	13	أطفانش		أطفالش		أتولف	410م	415م
أقريط		طشريك		طشريك		واليا، وسجرريكو (416م)	415م	418م
أماريق		ماسته	3	تالبه	3	ثيودريك الأول	419م	451م
وغيش		لذريق	13	لُذريق	13	ثيودريك الثاني	451م	465م
ألريق		طورديق		ورقيش	17	أيورك	466م	483م
أطلوف	6	أدلوف	17	الريك	23	ألرك الثاني	483م	506م
واليا	3	الديك	23	اشتريك بن طودريك	5	أمالرك وثيودريك	506م	522م
بورزادريش	33	طورديك		بشليقش	4	أمالرك بمفرده	522م	531م
طرشمند		أشتريك	5	طودريق	16	ثيوديس	531م	548م
لذريق	13	بشليقش	4	أملريق	5	ثيوديجزل	548م	549م
أوريق	17	طودريق	13	طودش	13	أجيلا	549م	554م
الريق ببطلوشه	23	طودشكل	2	طود شكل	2	أثانا جلدا	554م	567م
عشليق		أيله	5	أيله	5	ليوفا الأول	567م	572م
أمليق	2	طنجاد	15	طنجاد	15	ليونيجلدا	570م	586م
توديوش	17 وستة أشهر	لُيولَه	1	ليوبة	1	ركارد الأول	586م	601م
طودتقلس	سنة	لوبليذة	18	لوبيلذة	18	ليوفا الثاني	601م	603م

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ 4/ 120- 121، وروايته أقرب الروايات الإسلامية إلى الروايات اللاتينية/ الأجنبية المترجمة والمنقول عنها في المراجع العربيّة، ابن خلدون: العبر 2/ 280- 283، طبعة دار الفكر، 1981م، وفيها كثير من الخلط، 180/4 نقلاً عن ابن حيان حيث ذكر أنّ أولهم شنتيلة وقد ذكر منهم ثمانية ملوك فقط، القلقشندي: صبح الأعشى 5/ 238- 241، وربّما كان ينقل عن ابن خلدون للتوافق الكبير، ابن حيّان: المقتبس 5/ 274- 276.

رواية ابن الأثير	الفترة الزمنية بالسنة	رواية ابن خلدون	الفترة الزمنية بالسنة	رواية القلقشندي	الفترة الزمنية بالسنة	الروايات اللاتينية والأجنبية المترجمة والمنقول عنها	الفترة الزمنية	
	وثلاثة أشهر							
أثله	5	زدريق	16	رُذريق	16	وتريخ	603م	610م
أطلنجه	15	لَيبوبة	2	ليوبه	2	جوندمار	610م	612م
ليوبا	3	تبديقا عندمار	2	بتريق	7	سيسيبوت	612م	620م
لويلد		شيشوط	8	عندمار	2	ركاد الثاني	620م	621م
ركرد		زدريق	3 أشهر	شيشوط	8	سونثيلا	621م	631م
ليوبا		شتله	3	رذريق	ثلاثة أشهر	سيسيناند	631م	636م
بتريق		سنشادش	5	شنتله	3	خنزيلا	636م	640م
عندمار	2	خنشوند	7	ششنادش	5	تولجا	640م	641م
سيسموط	9	جنشوند	23	خَنشوند	7	خندا رونت	641م	652م
ركريد		مانيه	8	جنشوند	23	ركونث	652م	672م
شنتله		لوري	8	بانيه	8	واميا	672م	680م
شنند	5	أيقه	16	لورى	8	إرويج	680م	687م
خنتله	6	عطسة	14	أيقه	16	إجيكا	687م	701م
حندس	4	زدريق	2	غطسه	14	وترا	701م	710م
بنبان	8			لذريق	2	رودريك	710م	711م
أروى	7							
أبقه	15							
غيطشه	15							
رذريق								

عهد الولاة في بلاد الأندلس

(95- 138هـ) (714- 755م)

	اسم الوالي	من		إلى	
		الشهر	السنة	الشهر	السنة
1.	عبد العزيز بن موسى بن نُصير	ذي الحجة آب	95هـ 714م	رجب شباط	97هـ 716م
2.	أيوب بن حبيب اللّخمي	رجب آذار	97 هـ 716م	ذي الحجة آب	97هـ 716م
3.	الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي	ذي الحجة آب	97هـ 716م	رمضان آذار	100هـ 719م
4.	السمّح بن مالك الخولاني	رمضان آذار	100هـ 719م	ذي الحجة حزيران	102هـ 721م
5.	عبد الرحمن بن عبد الله (المدّة الأولى)	ذي الحجة حزيران	102هـ 721م	صفر آب	103هـ 721م
6.	عَنبسة بن سحيم الكلبي	صفر آب	103هـ 721م	شعبان كانون/2	107هـ 726م
7.	عُذره بن عبد الله الفهري	شعبان كانون/2	107هـ 726م	شوال شباط	107هـ 726م
8.	يحيى بن سلامة الكلبي	شوال شباط	107هـ 726م	ربيع/1 حزيران	110هـ 728م
9.	حُذيفة بن الأحوص القيسي	ربيع/1 حزيران	110هـ 728م	شعبان كانون/1	110هـ 728م

	اسم الوالي	من		إلى	
		الشهر	السنة	الشهر	السنة
.10	عثمان بن أبي نعسه الخثعمي	شعبان كانون/1	110هـ 728م	محرم نيسان	111هـ 729م
.11	الهيثم بن عُبيد الكلابي	محرم نيسان	111هـ 729م	ذي القعدة كانون/2	111هـ 730م
.12	محمد بن عبد الله الأشجعي	ذي القعدة كانون/2	111هـ 730م	صفر آذار	112هـ 730م
.13	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (المدّة الثانية)	صفر آذار	112هـ 730م	رمضان تشرين/1	114هـ 732م
.14	عبدالملك بن قطن الفهري (المدة الأولى)	رمضان تشرين/1	114هـ 732م	شوال تشرين/2	116هـ 734م
.15	عقبة بن الحجاج السلولي	شوال تشرين/2	111هـ 734م	صفر كانون/2	123هـ 741م
.16	عبدالملك بن قطن الفهري (المدّة الثانية)	صفر كانون/2	123هـ 741م	ذي القعدة أيلول	123هـ 741م
.17	بلج بن بشر القشيري	ذي القعدة أيلول	123هـ 741م	شوال آب	124هـ 742م
.18	ثعلبة بن سلامة العاملي	شوال آب	124هـ 743م	محرم أيلول	125هـ 743م
.19	أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي	محرم أيلول	125هـ 743م	رجب نيسان	127هـ 745م
.20	ثوابه بن سلامة الجذامي	رجب نيسان	127هـ 745م	محرم أيلول	129هـ 746م
.21	عبد الرحمن بن كُثير اللّخمي (دون	محرم	129هـ	ربيع/2	129هـ

	اسم الوالي	من		إلى	
		الشهر	السنة	الشهر	السنة
	ولاية) وقد نصّبه أهل الأندلس للأحكام الخاصة	أيلول	746م	كانون/2	747م
.22	يوسف بن عبد الرحمن الفهري شاركه في هذه الولاية الصُميل بن حاتم	ربيع/2 كانون/2	129هـ 747م	ذي الحجة 14 أيار	138هـ 756م

عهد الأُمراء من بني أميّة في بلاد الأندلس

(138هـ- 300هـ) (755- 912م)

تاريخ وفاته	تاريخ تولية الإمارة	إسمُ الأميرِ ولقبُهُ
172هـ/ 788م	138هـ/ 755م	الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (الدّاخل) (صقر قريش)
180هـ/ 796م	172هـ/ 788م	الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (الرَّضي)
206هـ/ 822م	180هـ/ 796م	الأمير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (الحكم الرَّبضي)
238هـ / 852م	206هـ/ 822م	الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن (الثاني أو الأوسط)
273هـ/ 886م	238هـ/ 852م	الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (الأول)
275هـ/ 888م	273هـ/ 886م	الأمير المُنذِر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
300هـ/ 912م	275هـ/ 888م	الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام

عهد الخلفاء من بني أمية في بلاد الأندلس

(300- 428 هـ) (912- 1036م)

اسم الخليفة ولقبه	تاريخ تولية الخلافة	تاريخ وفاته
الخليفة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (الناصر لدين الله)	300هـ/ 912م	350هـ/961م
الخليفة الحكم بن عبد الرحمن بن محمد (المستنصر بالله)	350هـ/ 961م	366هـ/976م
الخليفة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن (المؤيد بالله)	366هـ/ 976	403هـ/ 1013م
حُجّاب الخليفة هشام الذين حجروا عليه ولم يبقَ له من الخلافة إلاّ اسمها:	366هـ/ 976م	399هـ/ 1009م
الحاجب محمد بن أبي عامر (المنصور)	366هـ/ 976م	392هـ/ 1002م
الحاجب عبدالملك بن محمد بن أبي عامر (المظفر)	392هـ/ 1002م	399هـ/ 1008م
الحاجب عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر (الناصر شنجول)	399هـ/ 1008م	399هـ/1009م
الخليفة محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبد الرحمن (المهدي)	399هـ / 1009م	400هـ/ 1010م
الخليفة سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن (المستعين)	403هـ/ 1013م	407هـ/ 1016م
الخليفة عبد الرحمن بن محمد بن عبدالملك بن عبد الرحمن (المرتضى)	407هـ/ 1018م	408هـ/ 1018م
الخليفة عبد الرحمن بن هشام بن عبدالجبار بن عبد الرحمن (المستظهر)	414هـ/ 1023م	414هـ/ 1024م
الخليفة محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن (المستكفي)	414هـ/ 1024م	416هـ/ 1025م
الخليفة هشام بن محمد بن عبدالملك بن عبد الرحمن (المعتد)	420هـ / 1029م	428هـ/ 1036م

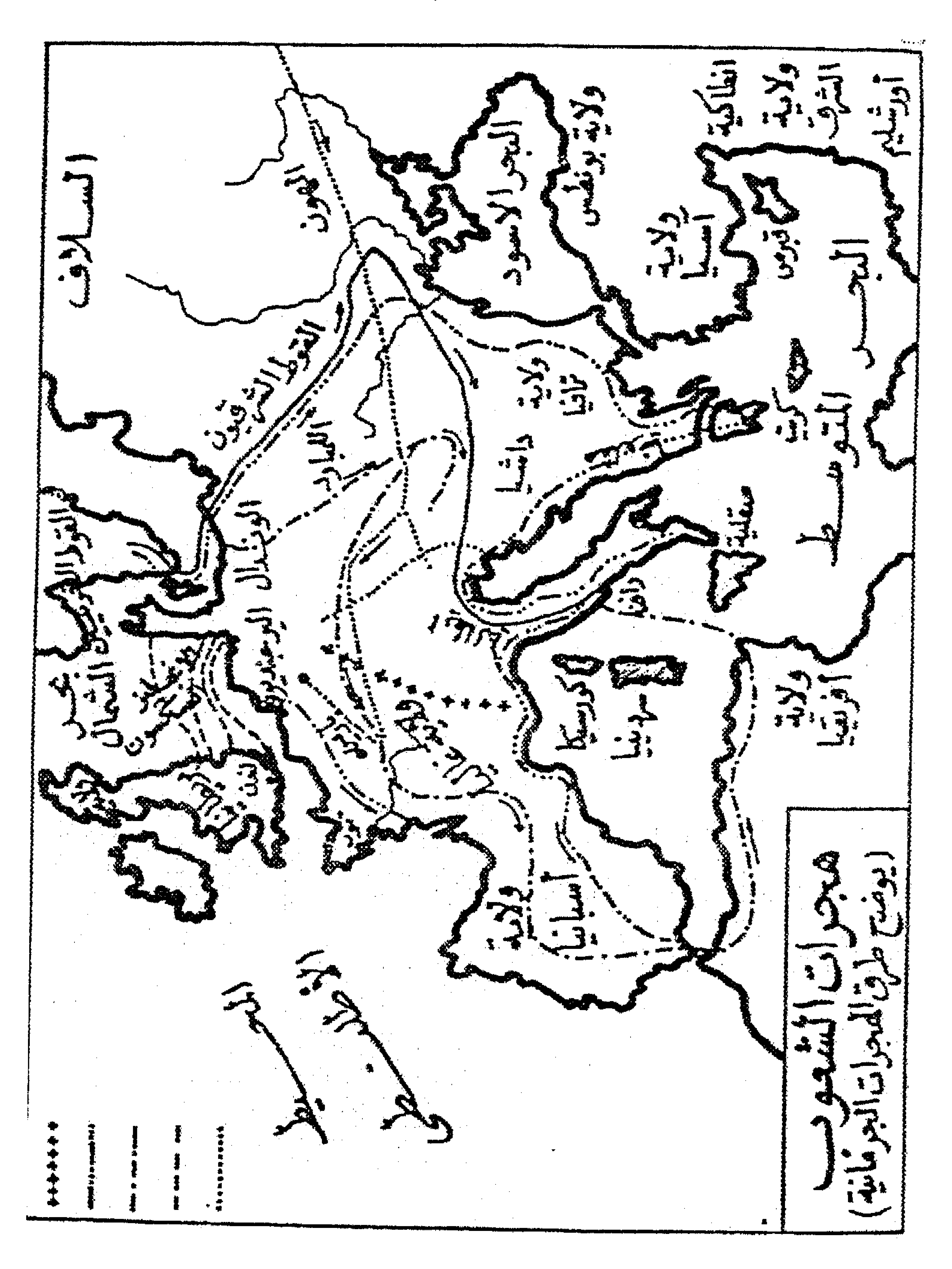
حكّام طُلَيْطُلة (Toledo) مدة ملوك الطوائف

(400- 478هـ) (1009- 1085م)

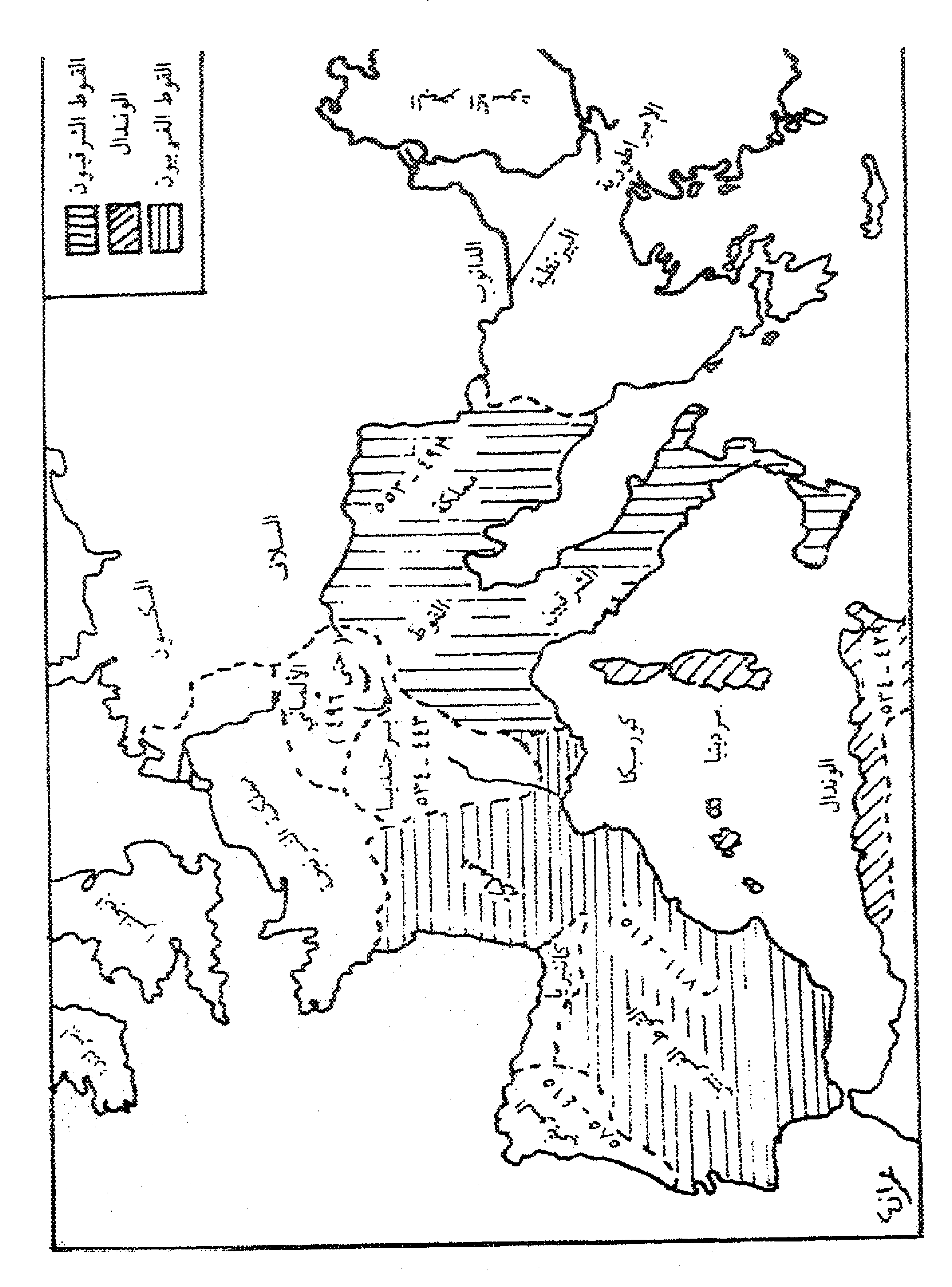
- **يعيش بن محمد بن يعيش (400هـ/1009- 427هـ/1035م)**
- **إسماعيل بن ذي النون (الظافر) 427هـ/ 1035م- 435هـ/ 1043م.**
- **يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (المأمون) 435هـ/ 1043م- 467هـ/ 1074م.**
- **يحيى بن إسماعيل بن يحيى بن ذي النون (القادر) 467هـ/ 1074م- 478هـ/ 1085م. حيث سقطت طليطلة بيد ألفونسو السادس، ملك قشتالة.**

الخرائــــط

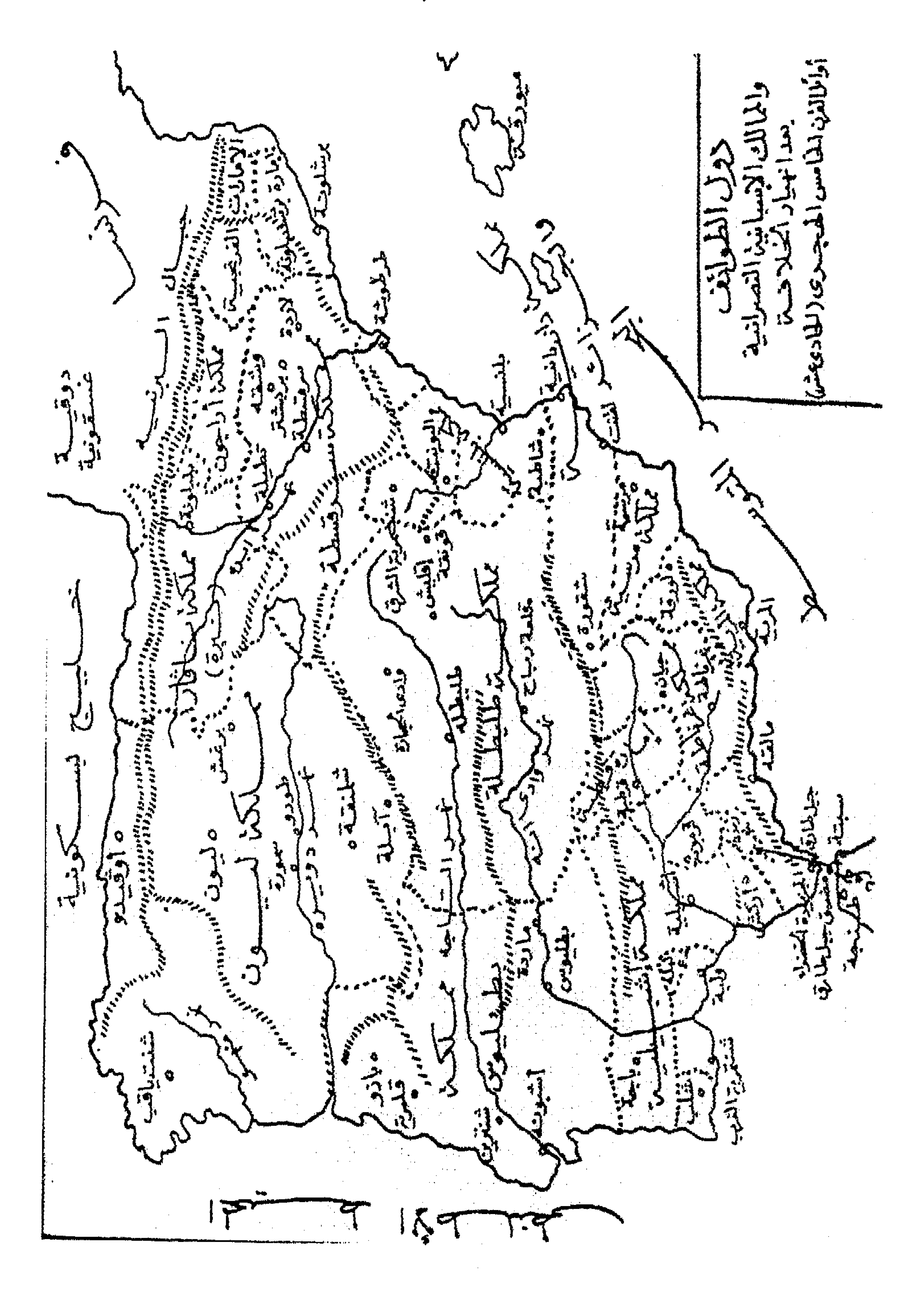
خريطة رقم (1)



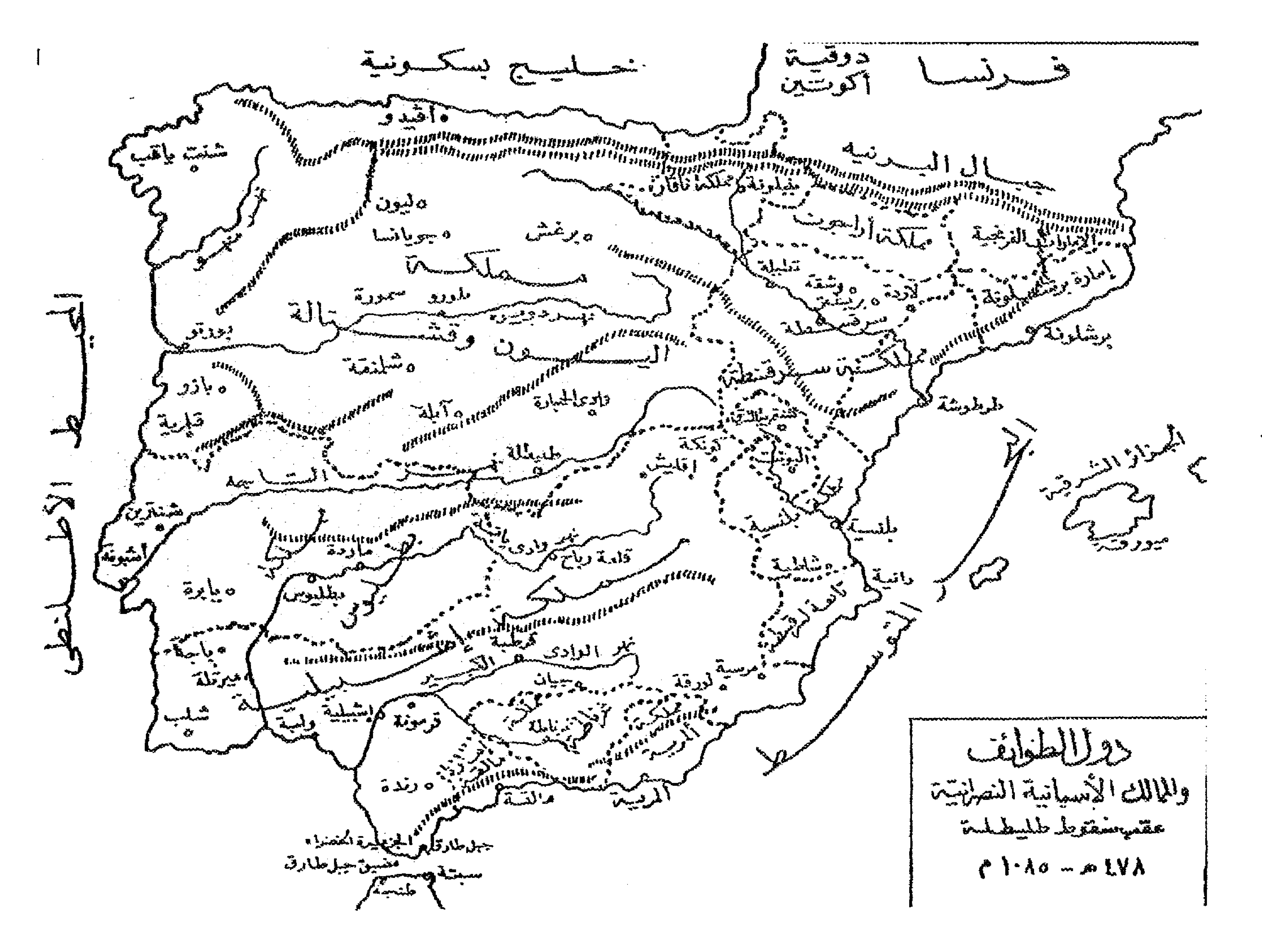
خريطة رقم (2)



خريطة رقم (3)


دول الطوائف
والممالك الإسبانية النصرانية
بعد انهيار الخلافة
أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر)

خريطة رقم (4)

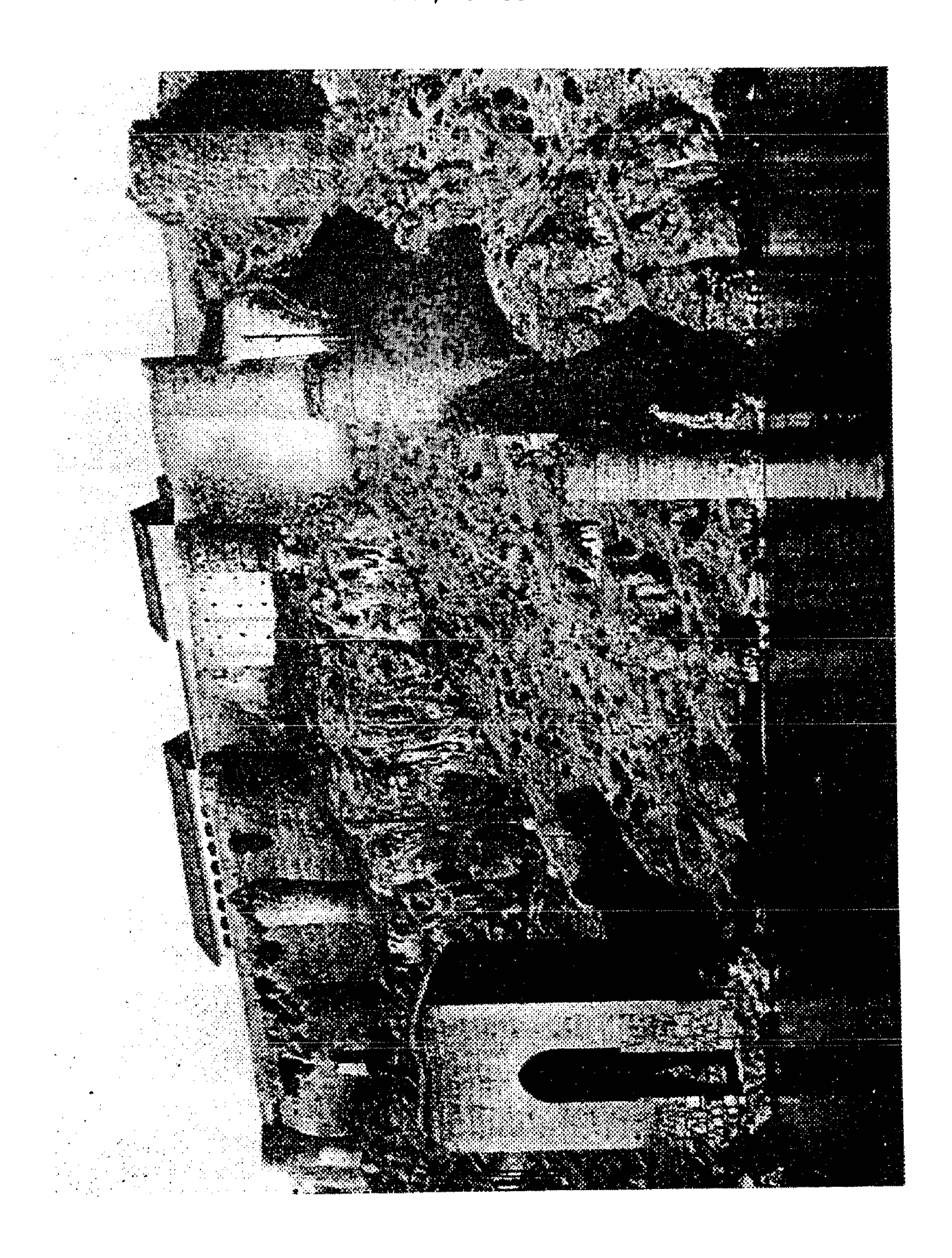

دول الطوائف
والممالك الإسبانية النصرانية
عقب سقوط طليطلة
٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م
خليج بسكونية
فرنسا
دوقية أكوتين
جبال البرنية
المحيط الأطلنطى
شنت ياقب
أفيدو
ليون
برغش
سمورة
بطليوس
يابرة
شلب
قرمونة
إشبيلية
رندة
مالقة
المرية
مرسية
لورقة
قرطبة
طليطلة
آبلة
بلنسية
دانية
شاطبة
طرطوشة
برشلونة
لاردة
وشقة
تطيلة
سرقسطة
إقليش
ميورقة
الجزائر الشرقية
باجة
ميرتلة
شنترين
أشبونة
باجة
قلمرية
بازو
بيانة
ماردة
مملكة قشتالة وليون
مملكة أراجون
نهر الوادى الكبير
جبل طارق
الجزيرة الخضراء
سبتة
طنجة

الصــــور

صورة رقم (1)



صورة رقم (2)



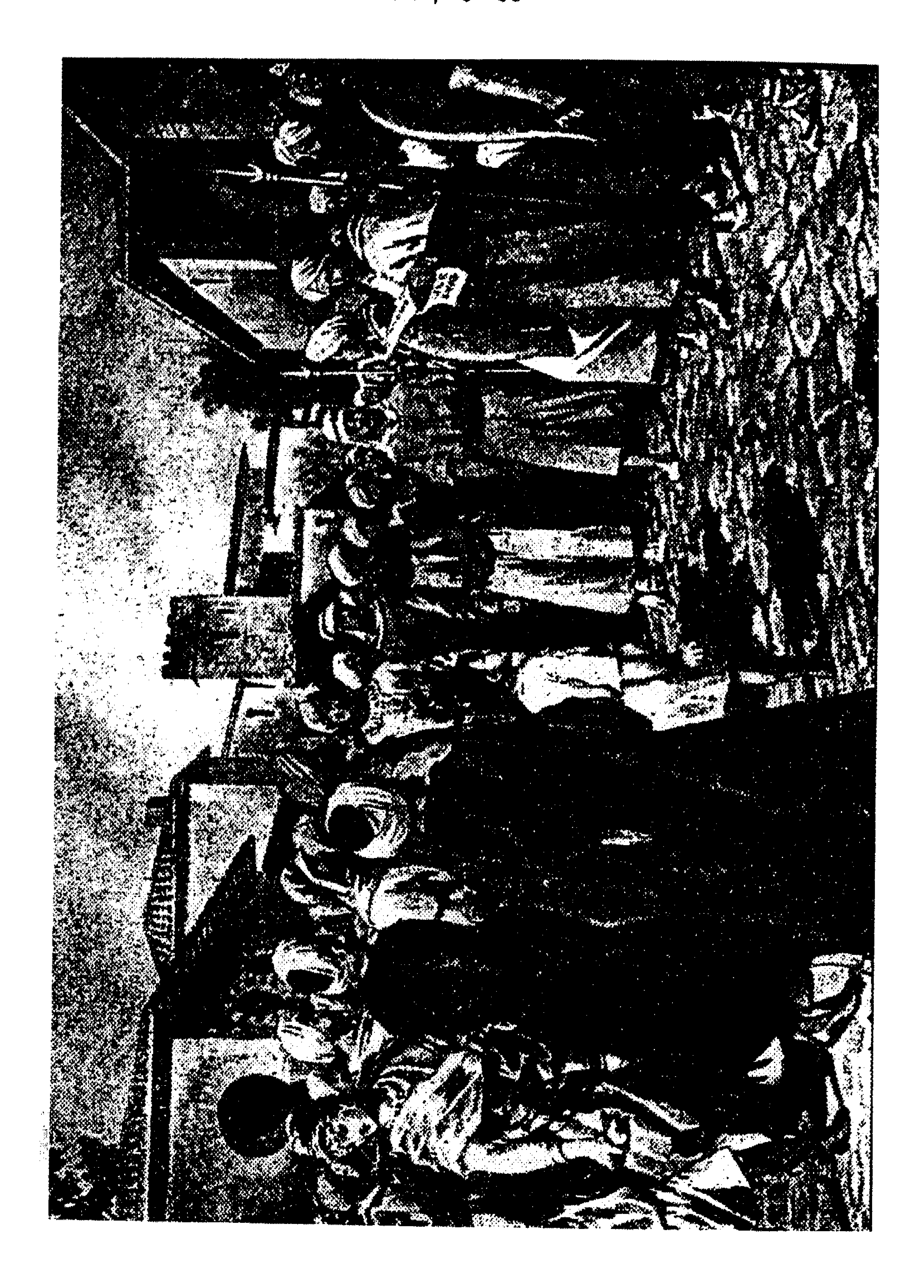
صورة رقم (3)



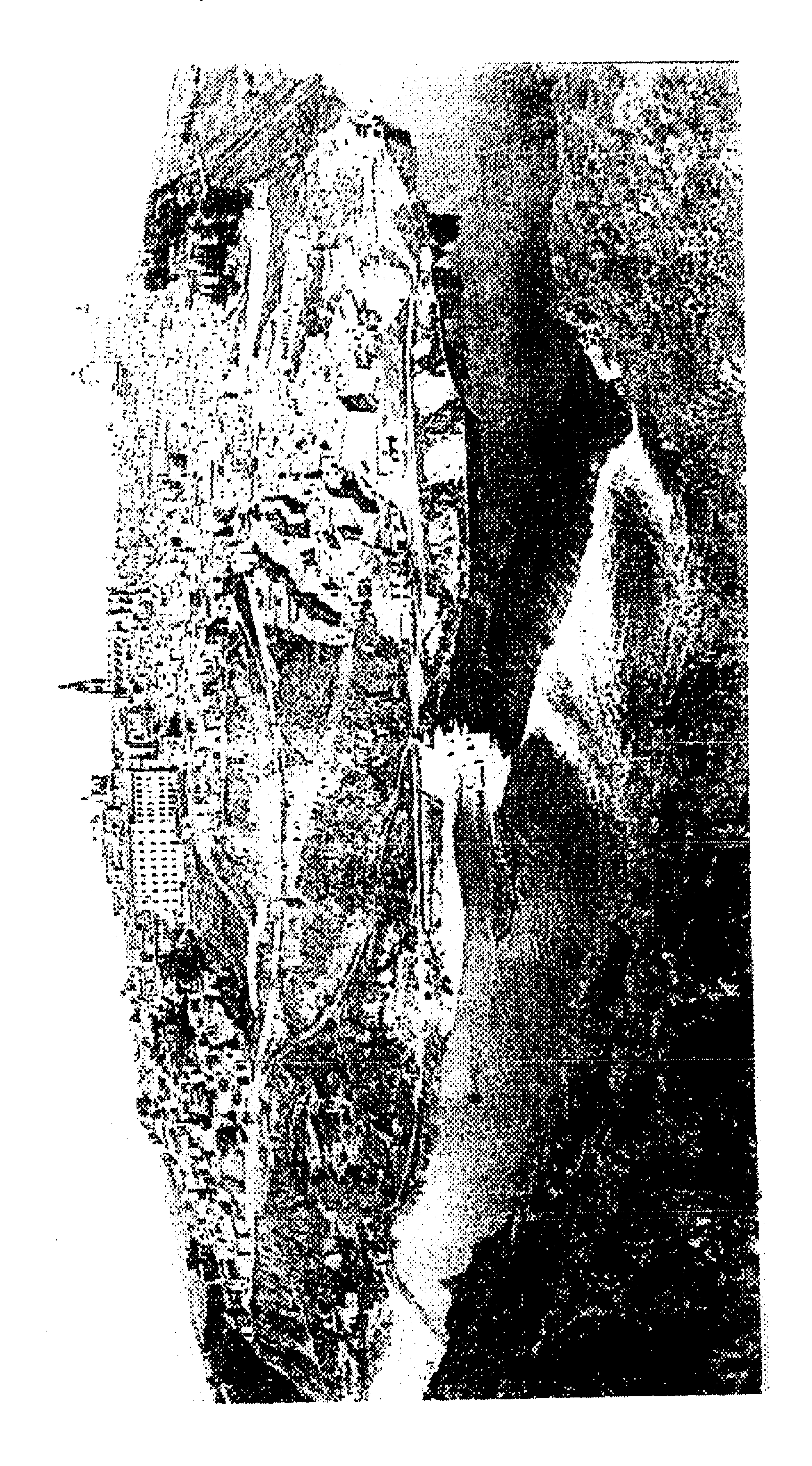
صورة رقم (4)



صورة رقم (5)



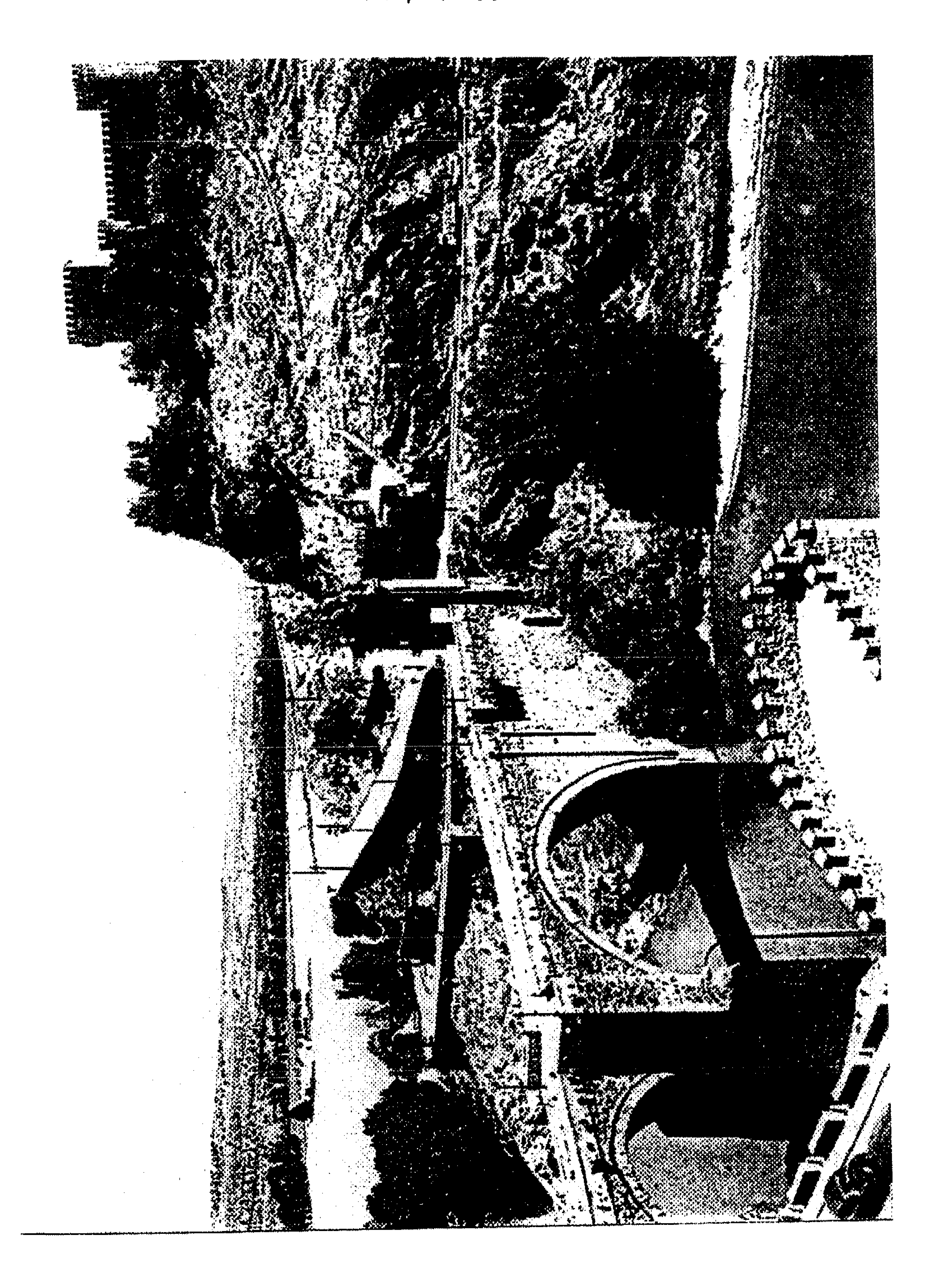
صورة رقم (6)



صورة رقم (7)



صورة رقم (8)



المصادر والمراجع

أ. المصادر العربية

- القرآن الكريم

1. **(ابن الآبار) محمد بن عبد الله القضاعي المتوفي سنة 658هـ:**

- إعتاب الكتاب، حققه حسين الأشتر، دمشق- سورية، 1961م.
- التكملة لكتاب الصلة، القاهرة- مصر، 1952.
- الحلة السيراء، حققه حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة، القاهرة- مصر، طبعة/ 1، 1963م.

2. **(ابن الأثير) عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المتوفيّ سنة 630هـ.**

- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت- لبنان، 1965م.
- الكامل في التاريخ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه: نخبةٌ من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط/4، 1973م.

3. **(ابن إدريس) صفوان بن إدريس التجيبيّ المرسي المتوفي سنة 598هـ.**

- زاد المسافر وعزّة محيّا الأدب السافر، أعدّه وعلّق عليه عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، 1970م.

4. **(ابن بسّام): أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة 542هـ.**

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، حققه إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط/1، 2000م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، حققه سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/1، 1998م.

5. **(ابن بَشْكُوال) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال المتوفى سنة 578هـ.**

- الصلة في تاريخ علماء الأندلس، ذيل كتاب ابن الفرضي، قدّم له وضبطه ووضع فهارسه وحواشيه د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت- لبنان، ط/1، 2003م.

6. **(ابن تغري بردي الأتابكي) أبو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي المتوفي سنة 874هـ.**

- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، قدّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/1، 1992م.

7. **(ابن حوقل) أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي المتوفى نحو سنة 367هـ.**

- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1979م.

8. **(ابن حيّان) أبو مروان حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان المتوفى سنة 469هـ:**

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه د. محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1973م.
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه د. عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت- لبنان، 1965م.
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، نشر ملشوار م. انطوانية، باريس، 1937م.
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، نشر شالميتا بالتعاون مع كونيطي و م. صبح وغيرها لضبطه وتحقيقه، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979م.

9. **(ابن خاقان) الفتح بن محمد بن عُبيد الله بن خاقان القيسي الإشبيلي المتوفى سنة 529هـ.**

- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه د. حسين خريوش، مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن، ط1، 1989م.

- مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في مَلِحْ أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي الشوابكة، دار عمّار، عمان- الأردن، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1983م.

10.(ابن الخطيب) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني الشهير بلسان الدين الخطيب المتوفى سنة 776هـ.

- الإحاطة في أخبار غَرناطة، شرحه وضبطه وقدّم له د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/1، 2003م.
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، حققه سيّد حسن كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/2، 1978م.

11.(أبن خلدون) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المتوفى سنة 808هـ.

- العِبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/2، 2003م.
- العِبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبطه خليل شحادة، راجعه سهيل زكاز، دارالفكر، بيروت- لبنان، 1981م.

12.(ابن خلّكان) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد المتوفى سنة 681هـ:

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، حققه د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، ط/1، 1977م، 1978م.

13. (ابن دحية) مجد الدين عمر بن الحسن بن علي أبو خطاب المتوفى سنة 633هـ.

- المطرّب من أشعار أهل المغرب، حققه د. إبراهيم الأبياري، دار العلم للجميع، بيروت- لبنان.

14.(ابن أبي زرع) **علي بن أبي زرع الفاسي المتوفى سنة 741هـ:**

- الأنيس المطرب، دار المنصور للطباعة، الرباط- المغرب، 1972م.

15.(ابن سعيد) **علي بن موسى بن سعيد الغرناطي المتوفى سنة 685هـ:**

- اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى، اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، حققه إبراهيم الأبياري وقرئ على الدكتور طه حسين، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأمريكية، القاهرة- مصر، 1959م.
- رايات المبرّزين وغايات المميّزين، حققه وعلق عليه محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق- سوريا، ط/1، 1987م.
- المرقصات والمطربات، دار حمدو محيو، القاهرة- مصر، 1973م.
- المُغْرب في حُلى المَغْرب، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/1، 1997م.

16.(ابن ظافر الأزدي) **جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي المتوفى سنة 613هـ:**

- بدائع البدائة، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، 1970م.

17.(ابن عبد الحكم) **أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المتوفى سنة 257هـ.**

- فتوح مصر وأخبارها، بريل- ليدن، 1920م.

18.(ابن عبد ربه) **أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي المتوفى سنة 328هـ.**

- العقد الفريد، شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته، أحمد أمين وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1983م.

19.(ابن عبد الملك المراكشي) محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي الأنصاري المتوفى سنة 703هـ.

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، حققه د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ط/1، 1973م (الأسفار من 1-6).
- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، حققه محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت- لبنان، (السفر الأول).

20.(ابن عذاري المراكشي) محمد المراكشي المتوفى سنة 695هـ.

- البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمَغْرب، حققه ج.س. كولان و. إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت- لبنان، (1-4).
- البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمَغْرب، نشر بعناية معهد مولاي الحسن، تطوان- المغرب، 1960- 1964م (القسم/ 3).

21.(ابن العماد الحنبلي) شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد المتوفى سنة 1089م.

- شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذَهَب، حققه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/1، 1998م.

22.(ابن غالب) محمد بن أيوب بن غالب الأندلسي المتوفى سنة 565هـ:

- فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تعليق منتقى، قطعة حقّقها لطفي عبد البديع تحت عنوان: نصّ أندلسي جديد، مطبعة شركة مساهمة، مصر، 1956م.

23.(ابن الفرضي) عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي المتوفى سنة 403هـ.

- تاريخ علماء الأندلس، حققه د. روحية السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/1، 1997م.

24.(ابن فضل الله العمري) شهاب الدين أحمد العمري المتوفى سنة 749هـ:

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، ط/1، 2003م.

25.(ابن قتيبة) عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة 276هـ:

- الشعر والشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2000م.

26.(ابن القوطية) أبو بكر محمد بن عمر القرطبي، المتوفى سنة 367هـ:

- تاريخ افتتاح الأندلس، حققه أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت- لبنان، 1957م.
- تاريخ افتتاح الأندلس، حققه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1982م.

27.(ابن الكردبوس) أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس المتوفى سنة 573هـ:

- تاريخ الأندلس، حققه، محمد مختار العبّادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.

28.(ابن منظور) محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري أبو الفضل المتوفى سنة 711هـ:

- لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط/3، 1999م.

29.(ابن هلال العكسري) الحسن بن عبد الله بن سهل بن هلال العسكري المتوفى سنة 395هـ. م.

- جمهرة الأمثال، حققه إبراهيم أبو الفضل وعبد المجيد قطامس، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط/4، 1988م.

30.(أبو الفداء) عماد الدين إسماعيل بن نور الدين بن علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمران ابن شاهنشهاة المتوفى سنة 733هـ:

- تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه، رينودو والبارون مالـك كـوكين، الدار السلطانية، باريس- فرنسا، 1840م.
- المختصر في أخبار البشر، علّق عليه ووضع حواشيه محمود ديـوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1997م.

31.(الإدريسي) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسـني المعروف بالشريف الإدريسي المتوفى سنة 560هـ:

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م.

32.(البكري) أبو عُبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكـري المتـوفى سـنة 487هـ:

- جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالـك، حققـه د. عبـد الرحمن الحجي، دار الإرشاد، بيروت، ط/1، 1968م.
- المسالك والممالك، حققه أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، الدار العربيـة للكتاب، والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق، تونس، ط/1، 1992م.

33.(الحُميدي) محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي المتوفى سنة 488هـ:

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق د. روحية السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/1، 1997م.

34.(الحِمْيَري أبو الوليد) إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب المتوفى سنة 440هـ.

- البديع في وصف الربيع، حققه وكتب الدراسة وعلّق عليه د. عبد الله عبـد الرحيم عسيلان، دار المدني، جدّة، السعودية، ط/1، 1987م.

35.(الحِمْيَري أبو عبد الله) محمد بن عبد المنعم الحِمْيَـري المتـوفى سـنة 866هـ:

- الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، دار القلم للطباعة، 1975م.
- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها إ. ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط/3، 1988م.

36.(الخُشَني) أبو عبد الله محمد بن الحارث الخُشني القيرواني القرطبي المتوفى نحو سنة 361هـ:

- قضاة قرطبة، الدار المصرية للترجمة والتأليف، مصر، 1966م.
- قضاة قرطبة، حققه ياسر أبو طعمه، دار الصميعي، الرياض- السعودية، 2008م.

37.(الذهبي) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة 748هـ:

- تذكرة الحفاظ، عن النسخة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، دار إحياء التراث.
- سير أعلام النبلاء، حققه شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/3، 1985م.
- العبر في تاريخ مَنْ عَبَر، حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد البسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/1، 1985م.

38.(الزهري) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، المتوفى سنة 556هـ:

- الجغرافية، حققه محمد حاج صادق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1958م.

39.(السلفي) أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سلفة المتوفى سنة 556هـ:

- أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السفر للسلفي، أعدّها وحققها، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، 1965م.

40.(السيوطي) جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911هـ:

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة- مصر، 1964م.

41.(الضبيّ) أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي المتوفى سنة 599هـ.

- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، حققه د. روحية السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/1، 1997م.

42.(العُذْري) أحمد بن عمر بن أنس العذري المتوفى سنة 478هـ:

- نصوص عن الأندلس عن كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، وبستان غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك، حققه عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد- إسبانيا، 1965م.

43.(العماد الأصفهاني) أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الصقلي الأنصاري المتوفى سنة 597هـ:

- خريدة القصر وجريدة العصر، حققه محمد المرزوقي، محمد العروسي، الجيلاني بن الحاج يحيى، الدار التونسية للنشر، 1966م، القسم الأول، والقسم/2 من تحقيق عمر الدسوقي وعلي بن عبدالعظيم، الدار التونسية للنشر، 1971م.
- خريدة القصر وجريدة العصر، القسم/2، 3، حققه أدرناش آذرنوش، نقّحه وزاد عليه محمد المرزوقي، ومحمد العروسي والجيلاني بن الحاج، الدار التونسية للنشر، 1972م.

44.(القاضي عياض) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي المتوفى سنة 544هـ.

- ترتيب المدارك، حققه أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان.

45.(القزويني) زكريا بن محمد بن محمود المتوفى سنة 682هـ.

- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت- لبنان.

46.(القلقشندي) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي المتوفى سنة 821هـ:

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصوّرة عن الطبعة الأميرية ومذيّلة، وزارة الثقافة المصرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

47.(مجهول):

- أخبار مجموعة في فتح الأندلس، نشره دون لافونتي، القنطرة الأكاديمية التاريخية الملكية، مدريد- إسبانيا، 1867م (ج4).

48.(المراكشي) عبد الواحد محيي الدين بن علي التميمي أبو محمد المتوفى سنة 647هـ:

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، حققه محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، القاهرة- مصر، 1963م.

49.(المقري) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى سنة 1041هـ:

- أزهار الرياض في أخبار عياض، حققه مصطفى السقّا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المملكة المغربية، الإمارات العربية المتحدة.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، ط2 جديدة، 1997م، ط/1، 1968م.

50.(الميداني) أحمد بن محمد النيسابوري الميداني المتوفى سنة 518هـ:

- مجمع الأمثال، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1955م.

51.(الناصري) أحمد بن خالد الناصري:

- الاستقصا، حققه جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء- المغرب، 1997م.

52.(النّباهي) أبو الحسن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المتوفى سن 792هـ:

- تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق الفتيا) تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، 1980م.

53.(النويري) شهاب الدين بن أحمد النويري المتوفى سنة 733هـ:

- نهاية الأرب في فنون الأدب، حققه عبد المجيد ترجيلي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،2004م، (الأجزاء 23- 25).

54.(اليافعي) عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي المتوفى سنة 768هـ:

- مرآة الجنان وعبرة اليقضان، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1997م.

55.(ياقوت الحموي) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي المتوفى سنة 626هـ:

- معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/1، 1991م.
- معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.

ب. المراجع العربية:

1. **(بالنثيا) آنخل بالنثيا:** تاريخ الفكر الأندلسي، نقله إلى العربية عن الإسبانية، د. حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط/1، 1995م.
2. **(بروكلمان) كارل بروكلمان:** تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، بيروت- لبنان، ط/4، 1997م.
3. **(بروفنسال) إليفي بروفنسال:** الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة د. لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية- مصر، 1990م.
4. **(حتاملة) محمد عبده حتاملة:** موسوعة الديار الأندلسية، منشورات الجامعة الأردنية، عمان- الأردني،ط/1، 1999م.
5. **(الحجّي)، عبد الرحمن علي الحجي:** التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق- سورية، بيروت- لبنان، الكويت، الرياض، 1976م.

* العلاقات الدبلماسية الأندلسية مع أوروبا خلال المدة الأموية، المجمع الثقافي، أبو ظبي- الإمارات العربية المتحدة، 2004م.

6. **(حسين) حمدي عبد المنعم حسين:** أضواء جديدة حول ثورات طليطلة في عصر الإمارة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية- مصر، 1988م.
7. **(حسين) كريم عجيل حسين:** الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية (92- 94هـ) (711- 1102م)، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/1، 1976م.
8. **(ديفر):** أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة عبد الحميد حمدي، الاسكندرية، مصر، 1958م.

9. **(الزركلي) خير الدين الزركلي:** الإعلام؛ قاموس تراجم لأشــهر الرجــال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايــين، ط/5، 1980م، ط/6، 1984م.

10. **(سالم) السيد عبد العزيز سالم:** تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس منذ الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية، دار النهضة، بيروت- لبنان، 1981م.

* في تاريخ وحضارة الإسلام في الأنــدلس، مؤسســة شــباب الجامعــة، الاسكندرية- مصر، 1985م.

11. **(الشنتاوي) خورشيد، يونس أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشــيد، عبد الحميد يونس:** دائرة المعارف الإسلامية: راجعها محمد مهدي علاّم، دار الفكر، بيروت- لبنان.

12. **(الشيخ) محمد محمد موسى الشيخ:** تــاريخ أوروبــا فــي العصــور الوسطى، دار المعرفة، الاسكندرية- مصر، 1994م.

* الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى، الاســكندرية- مصــر، ط/1، 1975م.

13. **الطاهر مكي:** ملحمة السيد (ملحمــة أندلســية باللغــة القشــتالية)، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط/1، 1970م.

14. **طرخان، ابراهيم علي طرخان:** دولة القوط الغربيين، مكتبــة النهضــة، القاهرة- مصر ، 1958.

15. **(أبو طعمة) ياسر أبو طعمة:** محمد بن أبي عامر في الشعر الأندلســي، دار الكتاب الثقافي، اربد- الأردن، 2005م.

16. **(عاشور) سعيد عبد الفتاح عاشور:** أوروبا في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، ط/7، 1994م، (ج1-2).

* تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيــروت- لبنان.

17. **(العبادي) أحمد مختار العبادي**: تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية- مصر، 2004م.
18. **(العدوي) إبراهيم أحمد العدوي**: المسلمون والجرمان، مطبعة رياض الصالحين، 1994م.
19. **(عفيف) عبد الرحمن عفيف**: معجم الشعراء الأندلسيين والمغاربة، المجمع الثقافي، أبو ظبي: الإمارات العربية المتحدة، 2003م.
20. **(عمران) محمود سعيد عمران**: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة، بيروت- لبنان، ط/2.
21. **(عنان) محمد عبد الله عنان**: دولة الإسلام في الأندلس، (العصر الأول، القسم الأول والثاني)، مطبعة الخانجي، القاهرة- مصر، ط/4، 1969م.
* دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي (العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس) مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، 1969م.
22. **(فرح) عيد فرح**: تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، 1995م.
23. **(كانتور)، نورمان ف. كانتور**: العصور الوسطى الباكرة، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، مصر، 1969م.
24. **(كحالة) عمر رضا كحالة**:معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان.
* معجم أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/5، 1984م.
25. **(لانجر) وليام لانجر**: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة، دار النهضة المصرية، مصر، ج/2.
26. **(محمود) حسن أحمد محمود**: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ط2، 1996م.

27. (أبو مصطفى) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ مدينة بلنسية الإسلامية، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية– مصر.
28. (مؤنس) حسين مؤنس: فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة– مصر، 1959م.
* ثورات البربر في إفريقية والأندلس بين سنتي 102- 136هـ/ 721- 753م، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد 10، المجلد 1، مايو 1948م.
* معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة– مصر، ط/1، 1980م.
29. (موس) هـ. سانت ل.ب. موس: ميلاد العصور الوسطى، (395- 811)، ترجمة عبد العزيز توفيق/ السيد الباز العريني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.

ج. المراجع الأجنبية

1. **Aguddo, Bleye**: Manule La Historia de Espana T.1, Madrid, 1947.

بلي أجويدو: دليل حول تاريخ إسبانيا.

2. **Bory (J.B): History** of the Later Roman Empire, (2 vols), London, 1923.

(جي. بي) بوري: تاريخ الامبراطورية الرومانية المتأخرة.

3. **Bradley (H):** the Goths, from the Earlist times of the gothic domin in Spain, London, 1887.

برادلي: عصر القوط، من المراحل المبكرة لفترة القوط في إسبانيا.

4. **Caramona, D, Fransesco diaz,** compendio de, historia de Espaňa, Barcelona, 1911 .
5. **Deanesly (M):** A History of Early Medlieval Europe, London, 1956.

دينيسلي: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى المبكرة.

6. **Dozy (R.): Histoire** des Musulmanes d'Espagne, Leiden, 1932.

دوزي: تاريخ المسلمين في إسبانيا.

7. **Garicia Gomez (Emilio):** Notas sobre La Topografia Cordobesa en Las Anales de Al- Hakam 11, par ISA- Razi, Al- Andalus, vol, III, 1965 fasc, 2.

جارسيا قومز (إيميليو): ملاحظات حول طوغرافية القوط في سنوات الحكم الثاني.

8. **Hussey (J.M):** the Byzantine world, London, 1967.

هوسي: العالم البيزنطي.

9. **Leviprovenal:** Histoire de L'Espagne Musolmone, 3 vols, Leiden, 1950- 1954.

ليڤي بروڤنسال: تاريخ إسبانيا المسلمة.

10. **Moss (H. Sant. L.B. Moss):** the Birth of the middle ages, Oxford, 1947.

موس (هــ- سانت ل.ب. موس): ميلاد العصور الوسطى.

11. **Oman sir Charles**: the Dark ages, 476- 918, London, 1962.

أومان سير تشارلس: العصور المظلمة.

12. **Osthoge rsky (C.):** History of the Byzantine state, Oxford, 1956.

اوستوج رسكي: تاريخ الدولة البيزنطية.

13. **Palencia (GonZales):** Los Mozarabes de Toledo en los siglos XII YXIII. Madrid, 1926.

بالنثيا (جونزاليس):

14. **Rafale Altamiraa**: Histoire of Spain from the present Date thans. By Munalee, London, 1952.

رافاييل التامير: تاريخ إسبانيا منذ التاريخ الحالي.

15. **Saavedra (Edourdo):** Estudio Sobre la Invasion de los arabes en Espana, Madrid, 1992.

سافيدرا (ادواردو): دراسة حول غزو العرب لإسبانيا.

16.**Sanches- Albornoz:** La Jornada del Guadaceletc, dans B.R.A. H, T, C, 1932.

سانشيز البورنز:

17.**Vasilieve A,:** The Byzantine Empire Madison. 1952.

فازيسليف: الامبراطورية البيزنطية.

18.**Wallace- Hadrill (J.M):** the Barbarian west, London, 1952.

واليس هادريل: الغرب البربري.

الأعلام المترجم لهم

ت	اسم العلم
1.	إبراهيم بن الفخار اليهودي
2.	أحمد بن سعيد بن كوثر
3.	أحمد المكادي أبو العباس
4.	إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون (الظافر)
5.	تمام بن علقمة أبو العبادس
6.	حبيب بن عبد الملك بن حبيب
7.	الحسن بن حسان السناط
8.	حفصة بنت حمدون الحجارية
9.	الحكم بن عبد الرحمن (المستنصر بالله الأموي)
10.	الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الربضي الأموي
11.	درى بن عبد الرحمن الصقلّي
12.	راشد بن عريف
13.	عاصم بن زيد بن يحيى (المخشي)
14.	عباس بن فرناس القرطبي المنجّم
15.	عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط الأموي)
16.	عبد الرحمن بن غزوان المنجّم
17.	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الأموي
18.	عبد الرحمن بن محمد (الناصر لدين الله)
19.	عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)
20.	عبد العزيز بن محمد
21.	عبد الله بن حصن أبو مروان
22.	عبد الله بن خليفة القرطبي المصري
23.	عبد الله بن فرج بن غزلون (ابن العسال)

ت	اسم العلم
24.	عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأموي
25.	أبو عبد الله المجريطي
26.	أبو عبد الله الطليطلي
27.	عبد الملك بن غصن الحجاري
28.	أم العلاء بنت يوسف
29.	عمر بن أحمد بن عبد الله (ابن عطيون)
30.	عمر بن محمد بن عبد الله (ابن الأفطس المتوكل)
31.	عمروس بن يوسف المولد
32.	عيسى بن دينار بن واقد الغافقي
33.	عيسى بن محمد بن دينار بن واقد الغافقي
34.	غالب بن رباح الحجام
35.	قاسم بن العباس بن عبد الملك
36.	القاسم بن عبد الرحمن بن مسعدة
37.	أبو القاسم بن الخياط
38.	لب بن موسى بن فرتون
39.	لُذَرِيق (ملك القوط Rodrigo)
40.	محمد إبراهيم بن عيسى
41.	محمد بن أحمد بن إسحاق (ابن طاهر)
42.	محمد بن أرفع رأسه
43.	محمد بن سعيد بن رستم
44.	محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي
45.	محمد بن عبد الله بن إبراهيم الحجاري (جاحظ المغرب)
46.	محمد بن عبد الله بن أبي عيسى (قاضي الجماعة)
47.	محمد بن عبد الله بن عيشون
48.	محمد بن عبد الملك بن أيمن

ت	اســـم العلـــم
49.	محمد بن قاسم أشكهباط
50.	محمد بن لب بن موسى بن فرتون
51.	مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب
52.	المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأموي
53.	موسى بن محمد بن سعيد بن حدير
54.	هشام بن الحكم بن عبد الرحمن (المؤيد بالله)
55.	هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (الرضي الأموي)
56.	هشام بن عبد العزيز
57.	يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون (المأمون)
58.	يحيى بن إسماعيل بن يحيى بن ذي النون (القادر)
59.	يحيى بن سعيد بن يحيى الحديدي أبو بكر
60.	يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي
61.	يعيش بن محمد يعيش

الأماكن والمدن المترجم لها

ت	الاسم العربي	الاسم الإسباني
.1	أُبذة	Ubeda
.2	أندوشر/ أندوجر	Andujar
.3	ترجالة	Trujilo
.4	حصن سكتان	
.5	حصن الفهمين	Al-Fahmin
.6	حصن قنالش	Canales
.7	حصن مورة	Maura
.8	رُكانة	Rucana
.9	شنتمرية	Santamrade
.10	شندلة	Jaandula
.11	قسطلونة	Casttlone/ Cazalona
.12	قورية	Coria
.13	مدينة المائدة	
.14	وادي سليط	Guazalete

الأشعار والقوافي

ت	الروي	القافية	البحر	الشاعر
1.	الغضبِ	بِ	الطويل	أحمد المكادي أبو العباس
2.	هاربُ	بُ	الطويل	عبد الله بن عبد العزيز الأموي (الحجر)
3.	مردّاتُ	تُ	البسيط	مجهول
4.	براحُ	حُ	الطويل	ابن عطيون
5.	نصحى	حِ	السريع	أم العلاء بنت يوسف الحجابة
6.	محمدُ	دُ	الطويل	ابن غروان
7.	الموردِ	دِ	الطويل	أبو محمد المصري
8.	لغدِ	دِ	الوافر	يحيى بن محمد بن بقي الطليطلي
9.	بعيدِ	دِ	الوافر	مجهول
10.	تصيّدا	دَ	الطويل	المتنبي
11.	اعورارُ	رُ	الطويل	أبو المخشي
12.	موتورُ	رُ	البسيط	مؤمن بن سعيد
13.	ثغورُ	رُ	الوافر	مجهول
14.	يقدرِ	رِ	الكامل	أبو المخشي
15.	النصرِ	رِ	السريع	عباس بن فرناس
16.	الصقرِ	رِ	السريع	أبو محمد المصري
17.	أسترُ	رُ	الطويل	عيسى بن دينار
18.	الصّغارا	رَ	الكامل	عبد الملك بن غصن الحجاري
19.	نهرِ	رِ	البسيط	ابن أرفع رأسه
20.	ميّاسِ	سِ	البسيط	محمد بن عبد الله بن أبي عيبيسى
21.	عويصا	صَ	الرمل	ابن طاهر
22.	نهوضُ	ضُ	الوافر	غالب بن رباح الحجّام

ت	الروي	القافية	البحر	الشاعر
23.	فَمضى	ضَ	الرمل	أبو المخشي
24.	القرميطِ	طِ	الرمل	صفوان بن عباس
25.	الغلطِ	طِ	البسيط	ابن العسّال
26.	نتنصّفُ	فُ	الطويل	حرقة بنت النعمان
27.	ملتفِّ	فِ	الطويل	عباس بن فرناس
28.	غريقُ	قُ	المتقارب	عبد الملك بن غصن الحجاري
29.	قليلُ	لُ	الطويل	مجهول
30.	دليلُ	لُ	الوافر	عبد الله بن إبراهيم الحجاري
31.	المفتّلِ	لِ	الطويل	امرؤ القيس
32.	النجومُ	مُ	البسيط	راشد بن عريف
33.	ينسجمُ	مُ	الطويل	ابن العسال
34.	للنّقمِ	مِ	البسيط	حبيب بن عبد الملك
35.	الحِمامِ	مِ	الوافر	المتنبي
36.	الزمنُ	نُ	الرمل	أم العلاء الحجارية
37.	معنونه	هـ	الطويل	عبد الملك بن حصن
38.	تيها	هـ	الخفيف	حفصة بنت حمدون
39.	ورائيا	ي	الطويل	عمر بن الافطس
40.	أذني	ي	الطويل	محمد بن قاسم بن أشكهباط
41.	راضيا	ي	الطويل	عبد الرحمن بن مسعدة
42.	الشجي	ي	الوافر	الحسن بن حسان النساط

الأمثال العربية

ت	المثـــل
1.	أجْبَنُ من صافِرِ
2.	أدقُّ من خيطِ باطلِ
3.	أضلُّ من يدٍ في رحم
4.	أُكلتُ يوم أُكلُ الثورُ الأبيض
5.	يسّرُ حسواً في ارتغاء ويرمي بأمثال القطا فؤاده

الفهرس العام

الموضـــوع	الصفحة
الفَصْلُ الثَّانِي	79
الباب الأول: طُلَيْطُلَة من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس (93هـ/ 711م- 400هـ/ 1009م)	79
فتح طُلَيْطُلَة	81
طُلَيْطُلَة في عهد الولاة	85
طُلَيْطُلَة في عهد الإمارة	88
عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)	88
عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (الرضي)	99
عهد الأمير الحكم بن هشام (الربضي)	102
عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط)	107
عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأوسط	110
عهد الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن	125
عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن	126
الباب الثاني: طُلَيْطُلَة في عهد الخلافة الأموية	131
عهد الخليفة عبد الرحمن بن محمد (الناصر لدين الله)	133
عهد الخليفة هشام بن الحكم (المؤيد بالله) وحجابه من آل عامر	155
الفَصْلُ الثَّالِثُ	159
الباب الأول: طُلَيْطُلَة في عهد ملوك الطوائف حتى سقوطها	159
تمهيد	161
طُلَيْطُلَة في عهد بني ذي النون	163
عهد يحيى بن إسماعيل بن ذي النون (المأمون)	165
عهد يحيى بن إسماعيل بن يحيى (القادر حفيد المأمون)	177

الموضـــوع	الصفحة

(TOLEDO)



Bibliotheca Alexandrina
1241037
الحامد
دار الحامد للنشر والتوزيع
الأردن-عمان
هاتف: 5231081 فاكس: 96265235594+
ص.ب:366 عمان 11941 الأردن
E-mail:dar_alhamed@hotmail.com
E-mail:Daralhamed@yahoo.com
9 789957 328412